

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 51 JULY 1981.

مجلة الفصل العدد (٥١) - رمضان ١٤٠١ هـ السنة الخامسة - تموز (يوليو) ١٩٨١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

رئيس التحرير

علي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

الطبعة الخامسة

العدد ١٥١

العدد ١٥١

في هذا العدد

- ٤ من كتاب هذا العدد
- ٥ الحركة الثقافية في شهر
- ١٥ الطريقة المثلى لدراسة الفقه الإسلامي د. محمد محروس المدرس
- ١٩ حماية الشبكات .. في نظام التجارة السعودي د. إلياس حداد
- ٢٦ أسباب المرض النفسي في النظرة الإسلامية
- (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. حسن الشراوي
- مهندس كيميائي :
- ٢٨ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) محمد عبد القادر الغني
- ٣٥ بلاد الشمس المشرقة (في بلاد الله) د. عبد اللطيف أبو السعود
- ٤٥ متحف طرباني في إسطنبول (من متاحف العالم)
- ٥١ (لقاء مع) الشيخ محمد الغزالي عاطف مصطفى
- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات القدماء
- ٥٧ واثنين (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) عبد المنعم شميس
- ٦١ فاتح شطر بلاد الروم ومنعبد شطر إرمينية اللواء الركن محمود شيت خطاب
- ٧١ بين شاعرين (قصيدة وفصيدة)
- ٧٤ اثر الصحراء في الشعر السعودي د. عبدالله الخادم
- ٧٦ شخصية الكفيف (بمناسبة العام الدولي للمعوقين) د. ماهر محمود الهواري
- ٨٣ حضارة العرب (رحلة في كتاب) عرض وتقديم : محمود الأرناؤوط
- وأخيراً .. انطلق مكوك الفضاء (موضوع خاص) د. مهندس : مظفر صلاح الدين شعبان
- ٩١ مهندس : محبر صلاح الدين شعبان
- ١٠٤ في رحاب المآذن (الوحة وفتان) د. زينب عبد العزيز
- ١٠٧ رمضان (قصيدة) محمد منذر لطفي
- ١٠٨ مدخل إلى الثقافة العسكرية اللواء ركن يوسف إبراهيم السلوم
- المدرسة المستنصرية في بغداد
- ١١٢ أول جامعة إسلامية في العالم د. محمد حسين عساف
- ١١٨ كولن ولسون .. وإنسان هذا العصر جلال العشري
- ١٢٥ التربية الجالية في عصر التكنولوجيا فوزي سليمان
- إبراهيم بن العباس الصولي - الأدب الشاعر
- ١٣١ (صورة من التاريخ) الفريق بحسب عبدالله المعلمي
- ١٣٧ الصيحات والخيال (قصة) زهر العلاف
- ١٣٩ وأخيراً .. وجدت السنوسي (مطالعات في الكتب) عبد الرحمن محمد الرفاعي
- ١٤٤ دائرة معارف (في الفقه المالكي «العبادات»)
- ١٥٢ مسابقة مجلة الفیصل

★ «مكوك الفضاء

الأمريكي» (كولومبيا) أول رائد للجيل الثاني من مركبات الفضاء المأهولة بالرواد، وهو يمثل الخطوة الأولى على الطريق إلى أرض مجهولة، ويعد وسيلة الإنسان لولوج حقبة «تسخير» الفضاء في خدمة صالح الإنسان ورفاهه .. وربما حتى تدمير حضارته . طالع

ص (٩١) ★

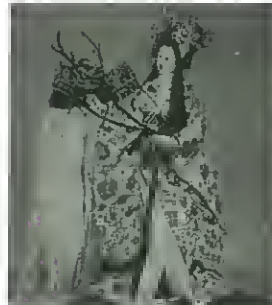


★ المدرسة المستنصرية في

بغداد تعد أول جامعة إسلامية كبرى في العالم الإسلامي جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة في بناية واحدة وعينت بدراسة القرآن والسنة النبوية .

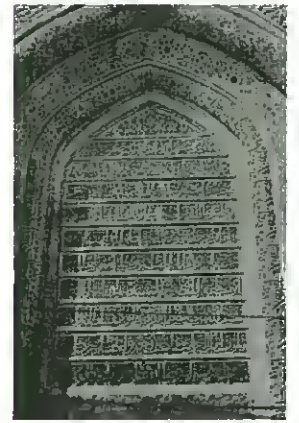
تأسست عام ٦٢٥ هـ، حيث تردد عليها طلاب العلم والعلماء وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمان . طالع

ص (١١٢) ★



★ اليابان : «بلاد الشمس

المشرقة» حباها الله بالمناظر الطبيعية الخلابة . تتألف من أربع جزر رئيسية .. بالإضافة إلى (٣٥٠٠) جزيرة أصغر حجماً . لغتها مزيج من الحروف الصينية التي انتقلت إليها من الصين القديمة . لأهلها زي ذو طراز خاص عرف باسم «الكيمونو» . طالع ص (٣٥) ★



الإدارية ، والمصطلحات الفلسفية وعلم الاجتماع .

★ له ستة مؤلفات منها :
التنظيمات الإدارية والاقتصادية في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، موقف العراق القومي من قضية الجزر العربية الثلاث .



الدكتور محمد حسين عساف الزبيدي

★ ولد بمدينة « الخلة » - العراق عام ١٩٣٠ م .
★ دكتوراه في التاريخ الإسلامي .
★ دكتوراه في التاريخ السياسي الحديث .

★ أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد .
★ عضو المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب .

★ خبير في جامعة الدول العربية .
★ حضر عدة مؤتمرات عربية عن التاريخ العربي ، والمأثورات الشعبية ، وتدريس العلوم

التجاري في كلية الحقوق - جامعة دمشق ، ومدرساً للقانون التجاري في كلية الاقتصاد والتجارة ، ووكيلاً لكلية الحقوق في الجامعة نفسها ، ثم رئيساً لقسم القانون التجاري .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية العلوم الإدارية بجامعة الرياض ، ومستشاراً قانونياً لمدير جامعة الرياض .

★ عضو الوحدة القانونية للخبرة والمشورة والدراسات بجامعة دمشق .

★ له عدة بحوث في القانون التجاري (بري ، بحري ، جوي) .



لواء ركن يوسف إبراهيم السلوم

★ ماجستير في الإدارة العامة وماجستير في العلوم العسكرية ، وحاصل على دبلوم الزمالة الدولية في العلوم العسكرية من كلية الحرب بأمريكا ، ومحضر لنيل شهادة الدكتوراه .

★ عمل في عدد من الوظائف العسكرية ، ويعمل حالياً مديراً عاماً للتخطيط والميزانية والمتابعة بوزارة الدفاع والطيران .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة ، وله مجموعة من المحاضرات والمفالات التي نشرت في عدد من المجلات - مجلة الإدارة العامة ومجلة الدفاع ، مجلة الجندي المسلم ، مجلة الحرس الوطني .



د. الياس حداد

★ من مواليد حمص - سورية عام ١٩٤٠ م .

★ دكتوراه دولة في الحقوق - فرنسا .

★ عمل مدرساً للقانون



الفريق يحيى المعلمي

★ من مواليد جيزان - المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٧ هـ .

★ ماجستير في إدارة الشرطة من جامعة ولاية ميشيغان بالولايات المتحدة .

★ تدرج في أعماله الوظيفية من مدير شرطة في عدة مدن بالمملكة ، إلى مدير التحقيقات الجنائية بالرياض ، فمديراً للمكتب الثقافي بالأمن العام ، فمديراً للإدارة العامة لشؤون الضباط بوزارة الداخلية ، ثم مديراً للإدارة العامة للسنجون بوزارة الداخلية .

★ يتولى حالياً منصب « مساعد مدير الأمن العام » .

★ ساهم في عدد من المؤتمرات الدولية في مجال الشرطة ومكافحة المخدرات .

★ له عدة مؤلفات منها : الأمن والمجتمع ، الأمن في القرآن ، الشرطة في الإسلام ، الأمن والتخطيط .

★ نشر له عدد من المفالات والقصائد في الصحف والمجلات السعودية .

★ يدرس حالياً في معهد الإدارة ، ومحاضر في الأنثوية والمعاهد الخاصة بالأمن العام .



عبد الرحمن محمد الرفاعي

★ من مواليد المملكة العربية السعودية .

★ ليسانس في اللغة العربية وآدابها - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

★ يعمل حالياً مدرساً .

★ عضو مجلس إدارة نادي جازان الأدبي .

★ له كتاب تحت الطبع بعنوان « الحميني .. الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح » ، هذا إلى جانب عدد من البحوث في اللغة والأدب والنقد .

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق * *

- إقامة متحف للآثار التاريخية بمنطقة الأحساء في المملكة العربية السعودية .
- اكتشاف قاموس تاريخي بعدة لغات في اليمن .
- ندوة عالمية عن (الهمداني) تقام في صنعاء .
- موسوعة لأعلام العراق ، وأخرى عن أدباء القصة في مصر .
- السيرة والسنة النبوية في مؤتمر عالمي سيقام بالرباط في المغرب .
- وفاة ثلاثة شعراء عرب .

- إقامة معرض عن روائع المخطوطات الإسلامية في لندن .
- الحضارة السومرية والآشورية والبابلية في معرض بباريس .
- قاموس عن الأعشاب الطبية يصدر في اليابان .
- اكتشاف أثري في جيبوتي .
- معرض للتراث والفن العربي في ألمانيا .



★ الأمير عبد الله الفيصل ★

أثر تاريخي قديم

أثناء الحفر في (مدارس الزاهر) بمكة المكرمة تم اكتشاف أثر تاريخي قديم لم يجد تاريخه ، وهو عبارة عن أواني والأواح عليها بعض الكتابات القديمة ، ربما تعود إلى عصور تاريخية غير معروفة حتى الآن ، واهتماماً بهذا الأثر سيقوم عدد من الخبراء وعلماء الآثار بمعابنتها لتحديد عصرها .

ندوة عن التراث الشعبي

عقدت في الرياض تحت إشراف عمادة كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ندوة عن (التراث الشعبي ووجوب المحافظة عليه بالمملكة) اشترك فيها كل من الدكتور عبد الرحمن الأنصاري رئيس قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الرياض ، والدكتور عبد الله حسن مصري مدير عام الآثار والمتاحف بوزارة المعارف ، والدكتور محمد الربيع مدير مركز البحوث المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وأحمد حسين شرف الدين خبير التراث بعمادة المكتبات بجامعة الإمام . . أدار الندوة الدكتور زكي محمد إسماعيل ، وقد عرض في هذه الندوة فيلم عن الخلفية التاريخية لآثار المملكة .

شعر بني تميم وأمسية شعرية

ذلك هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور عبد الحميد المعيني وذلك تحت إشراف وتنظيم نادي الرياض الأدبي ضمن نشاطه ، وقد دعي إليها جمع من المهتمين ، كما أقيم النادي أمسية شعرية خمسة من الشعراء هم : محمد المنصور ، أحمد هكلي ، معيض البختان (من السعودية) ، هادي الخفاجي (من العراق) ، راشد علي عيسى (من الخليج) .

معرض فني للحويطي

أقام مدرس التربية الفنية بمتوسطة الإمام علي بن أبي طالب بتيوك سليم سالم الحويطي معرضاً شخصياً ضم العديد من لوحاته الفنية التي تمثل طبيعة المنطقة الشالية من المملكة العربية السعودية ، وذلك خلال الفترة من ٦/٢٨ إلى ١٤٠١/٧/١ هـ ، بقاعة فندق العادل بتيوك ، وقد افتتح المعرض صاحب السمو الملكي الأمير عبد الحميد بن عبد العزيز آل سعود أمير المنطقة .

* كتب جديدة *

● «ضياع» ، الديوان الثاني للشاعر ماجد الحسيني ، صدر عن النادي الأدبي بالرياض ، وقد سبق أن صدر ديوانه الأول منذ

مخطوطات لجامعة أم القرى

دعياً لجامعة أم القرى ، وهي أحدث جامعة تنشأ في المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة وتعتبر سابغ جامعة ، فقد أهدى صاحب السمو الملكي الشاعر الأمير عبد الله الفيصل عدداً من المخطوطات النادرة لمكتبتها تضم أكثر من ثلاثمائة مخطوطة في مختلف المباحث الدينية والرياضيات والعلوم المختلفة .

متحف للآثار التاريخية

تعتزم جامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية افتتاح متحف للآثار التاريخية بفرعها بمنطقة (الأحساء) وذلك بهدف خدمة المجتمع ، ومحاولة إعطائه نبذة وافية عن تاريخ بلده من خلال هذا المتحف ، الذي سيحتوي على جميع المعلومات ذات الطابع الحضاري والثقافي للمنطقة ، وجمع المخطوطات وكتب التراث والفنون الشعبية ، والمعلومات الزراعية والحيوانية ، والبحرية والتجارية ، والعمرانية والاجتماعية .

ابن إدريس رئيساً لنادي الرياض الأدبي

عين الأستاذ عبد الله بن إدريس الشاعر والأديب السعودي المعروف ، رئيساً لنادي الرياض الأدبي خلفاً للأستاذ أبي عبد الرحمن ابن عقيل . والمعروف أن ابن إدريس كان أحد أعضاء مجلس إدارة النادي ، وهو شاعر وكاتب معروف سبق أن أصدر أول دراسة عنيت بالشعر المعاصر في نجد بعنوان «شعراء نجد المعاصرون» منذ أكثر من خمس عشرة سنة . . وهو إلى جانب ذلك له مجموعة من القصائد الشعرية المتناثرة التي لم يضمها بعد في ديوان . وقد شهد نادي الرياض الأدبي أثناء رئاسة أبي عبد الرحمن نشاطاً كبيراً ولموسماً سواء على مستوى الندوات أو الإصدارات ، حيث التزم النادي بإصدار كتاب شهري بصورة مستمرة ساهمت في إثراء المكتبة السعودية .

كلمة

(٩) الحركة الأدبية في المملكة

كانت الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية تفتقر في السابق إلى المجالات القادرة على إيصال أصوات وعطاءات الأدباء والشعراء والمفكرين السعوديين إلى قراء وأدباء العالم العربي الذين يتمتعون إلى التعرف على ماهية الأدب السعودي ، ومعالجه ، ومعالجة الخاصة المميزة في الوقت الذي تحتل فيه المملكة مركزاً رائداً في السياسة والاقتصاد ومظاهر النهضة العمرانية ، وتطور البيئة على المستوى العربي والدولي .

كان ينبغي أن يصاحب هذا الدور أو يسبقه ، طلائع فكرية وأدبية تعكس جانباً هاماً من جوانب النهضة .. على أساس أن النهضة - أية نهضة - تقوم على عنصرين :
● أحدهما مادي يتمثل في التطور المادي .

● والآخر معنوي يتمثل في التطور الفكري والأدبي والثقافي بكل ما يشتمل عليه من متغيرات نفسية واجتماعية وفردية ، وما يشوق إليه من طموحات لصناعة متغيرات جديدة تشكل البنى الحديثة للتركيبة الاجتماعية بكل أبعادها النفسية والشعورية .

وحين يغيب أحد العنصرين فإن النهضة القائمة تصبح نهضة مصابة بالشلل .. خاصة إذا كان العنصر الغائب هو العنصر المعنوي .

وقد تداعت الأصوات الأدبية إلى ضرورة قيام مجالات أدبية تنقل تجربتنا الأدبية والفكرية إلى أشقائنا العرب ، مجالات تحقق من خلال التوزيع والشكل والمضمون انتشاراً طيباً في سوق الأدب .. ومع وجود بعض المجالات التي كانت - وما زالت - تصدر مثل مجلة «العرب» لصاحبها الشيخ حمد الجاسر ، ومجلة «المنهل» لصاحبها الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، ثم مجلة «الدارة» التي يرأس تحريرها الأستاذ محمد حسين زيدان .. إلا أن هذه المجالات لم تكن في انتشارها على مستوى جواهر القراء ما يجعلها قادرة على تحقيق الأهداف المنشودة ، هذا إلى جانب أن بعضها يختص بالجانب التراثي والجغرافي والتاريخي .. وأسباب عدم قدرتها على الانتشار أن بعضها متخصص ، والبعض الآخر يصدرها أفراد لا تمكنهم مواردهم المالية من توسيع رقعة انتشارها . لهذا نجد أن الصحف اليومية السيارة والمجلات الأسبوعية بملاحقها وصفحاتها الأدبية ملأت هذا الفراغ على مستوى جواهر القراء «في الداخل» حيث استطاعت أن تعرف بعدد من الأقلام الشابة الواعدة التي أثبتت قدرتها على التخطي والتجاوز .

وفي السنوات الأخيرة صدرت مجالات سعودية حققت انتشاراً جيداً على مستوى الساحة الأدبية العربية مثل «المجلة العربية» ، ومجلة «الفصل» .

وكان المفروض أن تسد هاتان المجلتان الفراغ الذي كان يشكو منه الأدباء فتحقق لأعمالهم الانتشار المنشود ، وهذا ما حاولته منذ نشأتها ، إلا أن هذه المحاولة لم تحقق ما كانت تتطلع إليه ، لأن صدورهما جاء في فترة شغل فيه الأدباء بمعطيات خطط التنمية السريعة .

والنقاد يشاركون الأدباء يتطلعون أن تتمخض مشاريع خطط التنمية إلى ولادة أدبية جديدة نتيجة للمتغيرات التي تحدث داخل المجتمع السعودي .. وهذا ما نأمل أن يتحقق في المستقبل القريب إن شاء الله .

علوي طه الصافي

● «من الإنتاج الطلابي الفائز في المسابقات الثقافية للعام الجامعي ١٤٠٩/١٤١٠هـ» ، صدر عن عمادة شؤون الطلاب بجامعة الرياض .

● «على مرافق التراث» ، تأليف الدكتور أحمد محمد الضبيبي ، صدر عن دار العلوم بالرياض .

● «لحظات حنان» ، ديوان شعر للشاعر عبد العزيز الشرفي ، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

● «نبض» ، تأليف الأستاذ عبد الله جفري ، صدر عن تهامة للنشر وهو عبارة عن مجموعة مقالات قصيرة وجدانية .

● «ثمرات قلم» ، تأليف الأستاذ محمد حسين زيدان رئيس تحرير مجلة «الدارة» ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .

● «من وراء الحدود» ، مشاهدات ، خواطر ، ذكريات ، تأليف فهد العريفي ، صدر عن نادي الرياض الأدبي ضمن سلسلة «كتاب الشهر» .

● «البناء القبلي والتَّحضر في المملكة العربية السعودية» ، بحث أعده سعيد فالح الغامدي ، صدر في كتاب عن دار الشروق بمكة .

● «التدين والجهنم في شعر شوقي» ، دراسة أعدها عانض نبية الرادادي ، صدرت في كتاب عن النادي الأدبي بالرياض .

● «النشيرة والقصيد المضاة» ، مجموعة من القضايا في الأدب والنقد أعدها محمد ياسر شرف ، صدرت في كتاب عن النادي الأدبي بالرياض .

ندوة عالمية عن الهمداني

ستنظم (جامعة صنعاء) ندوة عالمية خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) من هذا العام ١٩٨١م ، احتفالاً بالذكرى الألفية للمؤرخ اليمني «الحسن بن أحمد الهمداني» ، وقد دعي لحضور هذه الندوة ما يزيد على العشرين أستاذاً في التاريخ من الجامعات العربية والأجنبية وسيحضران بأبحاث وموضوعات تدور حول مؤلفات (الهمداني) في التاريخ والجغرافيا واللغة والأدب والأنساب والعلوم الإنسانية . والمعروف أن الهمداني ولد في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ، وهو واحد من العلماء البارزين في القرن الرابع الهجري ، ومن أشهر مؤلفاته موسوعته التاريخية الثقافية (الإكليل) و«صفة جزيرة

تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي وهي فترة صعود نجم اليمن في ذلك الحين ، ويضم القاموس حوالي (٢٢٠٠) كلمة مكتوبة باللغة العربية والأرمنية والتركية واليونانية والمنغولية والفارسية ، ويشتمل القاموس على كراسات علمية تتضمن معرفة بزراعة الحبوب والصحة والفلك والفروسية .



★ عبد الله جفري ★

العرب» و«أخبار اليمن القديمة» إضافة إلى عدد من كتب الفقه والأدب والشعر .

السيرة والسنة النبوية في مؤتمر عالمي

سيقام مؤتمر عالمي حول (السيرة والسنة النبوية) في مدينة الرباط بالمغرب في ربيع عام ١٩٨٢ م ، وذلك تحت إشراف وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، وسيستعرض المؤتمر الذي دعي إليه نخبة من رجال الفكر الإسلامي أبحاثاً ودراسات عن التحديات التي يواجهها الإسلام في العصر الحاضر ، وما يثار حوله من شبهات ، مع الإشارة إلى دور السنة النبوية ومكانتها في الفكر الإسلامي .

معرض للكتاب

أنيم في (صنعاء) المعرض الدولي الثالث للكتاب وذلك تحت إشراف (جامعة صنعاء) ، شارك فيه أكثر من ثمانين مكتبة ودار نشر محلية وعربية ، كما اشترك فيه عدد من دور النشر العالمية الأخرى .

اكتشاف قاموس تاريخي

تم أخيراً اكتشاف (قاموس تاريخي) بعدة لغات في اليمن يعود

تدخين السجارة الأخيرة .

والآن في المستشفيات والعيادات الطبية ، وعند الرغبة بشكل خاص في التأكد من أن مريض القلب والأوعية الدموية والرئتين قد واطبوا على الامتناع عن التدخين ومقارنة هذا مع التحسن في براء المرض ، لذلك يجري فحص إدرار هؤلاء المرضى لوجود مادتي النيكوتين والكوتينين ، وترسم بيانات حسابية توضح انخفاض هذه المواد في البول وتقارن مع تحسن حالة المريض .

والمهم أنه عندما يسأل الطبيب مريضه (هل امتنعت عن التدخين؟) فإنه يستطيع الآن أن يتحقق من الجواب بفحص مخبري بسيط يعينه على مساعدة المريض وتقديم العلاج الناجع .

د . عصام غنيم

المستشفيات أن هناك صعوبة حقيقية في التأكد من صحة قول المريض ، أي التأكد من امتناعه عن التدخين .

وأخيراً نوصل الطب إلى التأكد من هذه الحقيقة ، ومن أن المريض لم يدخن طيلة الـ ٣٦ ساعة الأخيرة على الأقل أو حتى فيما إذا خفض نسبة تدخينه .

والفكرة بسيطة ، فقد أجريت تجارب على مدخنين وغير مدخنين ووجد أن نسبة عالية من النيكوتين وأهم مشتقاته «الكوتينين» توجد في الإدرار البولي وتناسب كميتها مع كمية التدخين ، وقد استخدمت هذه الحقيقة مع المدخنين المرضى فوجد أن نسبة النيكوتين والكوتينين تنخفض وتكاد تنعدم بعد ٣٦ ساعة من

هناك سؤال حرج لكل مريض

بالقلب ، أو الأوعية الدموية ، أو أمراض الرئتين المختلفة وهو : «هل امتنعت بتاتا عن التدخين؟» .

وبالرغم من أن قلباً من المرضى فحسب الذين يجيبون على السؤال غير صادقين ، بدافع الجهل بمصلحتهم أو ضعف الإرادة عندهم إلى درجة خضوعهم التام للتدخين ، إلا أن هذه النسبة قد تكون مهمة اعتباراً لخطورة المرض الذي يشكون منه ومدى تأثير هذا المرض باستمرارية تدخين المريض .

وقد لوحظ في كثير من العيادات الطبية ، وحتى

الدائمة
الطبية

● «متجزات وآفاق لجنة القدس»، صدر في الرباط.

يهدف المحافظة على مدينة فاس المغربية التي أسست في القرن الثاني الهجري على يد المولى (إدريس الأزهري) والتي تعتبر الآن شاهداً فريداً على استمرارية العطاء الثقافي المتنوع، تسعى لجنة شكلت من قبل الحكومة المغربية ومنظمة اليونسكو لتنوير الرأي العام لجمع ما يمكن جمعه لصيانة المدينة والمحافظة عليها وتلك اللجنة مكونة من:

ندوة حول الطاقة الشمسية

عقدت في دمشق الندوة العربية الدولية (للتاقة الشمسية) التي نظمتها إدارة الإسكان والتعمير بجامعة الدول العربية بالتعاون مع وزارة الإسكان السورية، وقد نقّش فيها عدد من الموضوعات المتعلقة بالطاقة واستخداماتها المنزلية بالدول العربية، شارك فيها وفود من مختلف الدول العربية والأوروبية وأمريكا بالإضافة إلى محاضرين يمثلون الجامعات العربية، وقد استمرت هذه الندوة ثلاثة أيام.

معرض أثري متجول

تستعد المديرية العامة للأثار والمتاحف السورية لإقامة معرض متجول في دول أوروبية وفي أميركا يضم (٢٧٠) قطعة أثرية

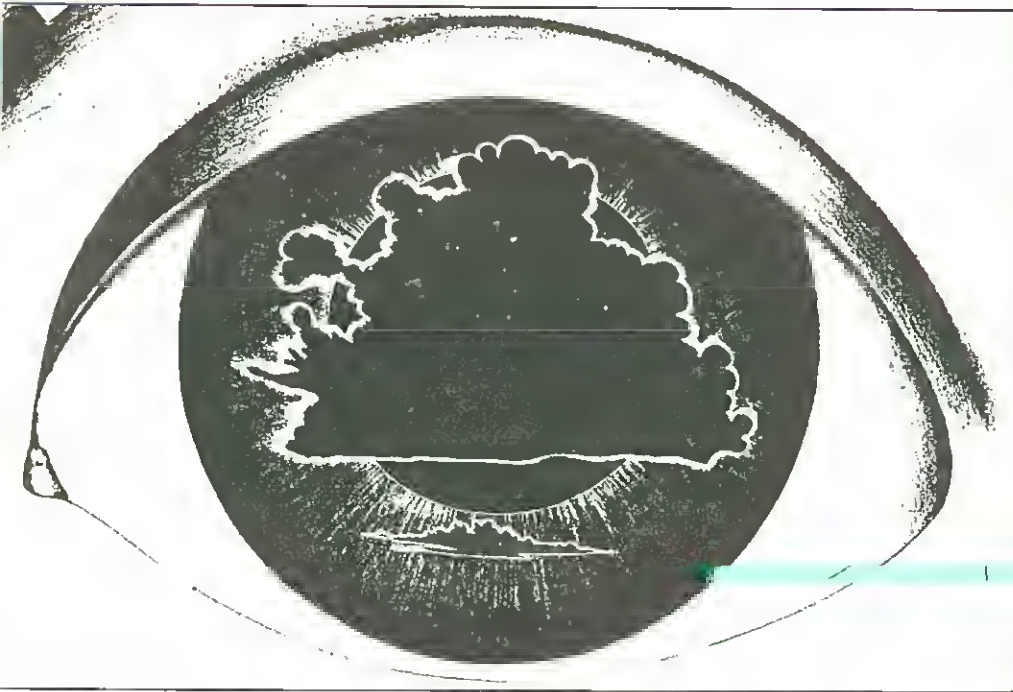
★ الدكتور عبد الهادي التازي، السفير والباحث المعروف وعضو أكاديمية المملكة المغربية، ورئيس تحرير مجلة «البحث العلمي» الدورية التي تصدر في الرباط.

★ الدكتور بنسالم الكوهن، رئيس المجلس البلدي في مدينة فاس.

★ الدكتور محمد المختار ولدبايه، مستشار اليونسكو في الشؤون الثقافية للدول العربية.

★ الأستاذ عبد اللطيف الحجاجي.

وقد زارت البعثة المملكة العربية السعودية، وسعدت بمجلة «الفيصل» بزيارة أعضائها... وتأمل المجلة أن تقوم بدورها في دعم هذه الدعوة لصيانة فاس مدينة جامعة القرويين وآثارها.



صورة وتعليق



مجلد ٥١ - العدد ٩

الطبعة الأولى: ١٩٨١

الطبعة الثانية: ١٩٨٢

الطبعة الثالثة: ١٩٨٣

الطبعة الرابعة: ١٩٨٤

الطبعة الخامسة: ١٩٨٥

الطبعة السادسة: ١٩٨٦

الطبعة السابعة: ١٩٨٧

الطبعة الثامنة: ١٩٨٨

الطبعة التاسعة: ١٩٨٩

الطبعة العاشرة: ١٩٩٠

الطبعة الحادية عشرة: ١٩٩١

الطبعة الثانية عشرة: ١٩٩٢

الطبعة الثالثة عشرة: ١٩٩٣

الطبعة الرابعة عشرة: ١٩٩٤

الطبعة الخامسة عشرة: ١٩٩٥

الطبعة السادسة عشرة: ١٩٩٦

الطبعة السابعة عشرة: ١٩٩٧

الطبعة الثامنة عشرة: ١٩٩٨

الطبعة التاسعة عشرة: ١٩٩٩

الطبعة العشرون: ٢٠٠٠

الطبعة الحادية والعشرون: ٢٠٠١

الطبعة الثانية والعشرون: ٢٠٠٢

الطبعة الثالثة والعشرون: ٢٠٠٣

الطبعة الرابعة والعشرون: ٢٠٠٤

الطبعة الخامسة والعشرون: ٢٠٠٥

الطبعة السادسة والعشرون: ٢٠٠٦

الطبعة السابعة والعشرون: ٢٠٠٧

الطبعة الثامنة والعشرون: ٢٠٠٨

الطبعة التاسعة والعشرون: ٢٠٠٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠١٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠١١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠١٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠١٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠١٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠١٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠١٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠١٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠١٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠١٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٢٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٢١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٢٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٢٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٢٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٢٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٢٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٢٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٢٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٢٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٣٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٣١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٣٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٣٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٣٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٣٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٣٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٣٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٣٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٣٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٤٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٤١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٤٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٤٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٤٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٤٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٤٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٤٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٤٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٤٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٥٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٥١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٥٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٥٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٥٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٥٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٥٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٥٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٥٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٥٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٦٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٦١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٦٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٦٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٦٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٦٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٦٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٦٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٦٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٦٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٧٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٧١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٧٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٧٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٧٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٧٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٧٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٧٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٧٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٧٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٨٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٨١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٨٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٨٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٨٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٨٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٨٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٨٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٨٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٨٩

الطبعة الثلاثون: ٢٠٩٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢٠٩١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٩٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢٠٩٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢٠٩٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢٠٩٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢٠٩٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢٠٩٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢٠٩٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢٠٩٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٠٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٠١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٠٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٠٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٠٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٠٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٠٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٠٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٠٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٠٩

الطبعة الثلاثون: ٢١١٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١١١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١١٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١١٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١١٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١١٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١١٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١١٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١١٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١١٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٢٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٢١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٢٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٢٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٢٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٢٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٢٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٢٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٢٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٢٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٣٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٣١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٣٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٣٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٣٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٣٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٣٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٣٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٣٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٣٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٤٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٤١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٤٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٤٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٤٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٤٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٤٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٤٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٤٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٤٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٥٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٥١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٥٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٥٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٥٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٥٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٥٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٥٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٥٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٥٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٦٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٦١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٦٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٦٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٦٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٦٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٦٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٦٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٦٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٦٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٧٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٧١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١٧٢

الطبعة الثالثة والثلاثون: ٢١٧٣

الطبعة الرابعة والثلاثون: ٢١٧٤

الطبعة الخامسة والثلاثون: ٢١٧٥

الطبعة السادسة والثلاثون: ٢١٧٦

الطبعة السابعة والثلاثون: ٢١٧٧

الطبعة الثامنة والثلاثون: ٢١٧٨

الطبعة التاسعة والثلاثون: ٢١٧٩

الطبعة الثلاثون: ٢١٨٠

الطبعة الحادية والثلاثون: ٢١٨١

الطبعة الثانية والثلاثون: ٢١



★ أحمد رامي ★

من عصور مختلفة ، سيداً المعرض في مطلع العام القادم ١٩٨٢ م ، ويشمل ألمانيا الغربية ، وفرنسا ، وإنجلترا ، والنمسا ، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفاة الياس قنصل

توفي الأديب السوري المهجري (الياس قنصل) عن عمر يناهز السابعة والستين ، وقد ولد الشاعر في مدينة «يبرود» السورية عام ١٩١٤ م ، وتلقى مبادئ تعليمه في مدرسة مدينته الابتدائية ، وهاجر إلى (البرازيل) برفقة والده عام ١٩٢٥ م ، ثم انتقل فيما بعد إلى (الأرجنتين) . نولى في حياته رئاسة تحرير «الجريدة السورية اللبنانية» في مدينة (بوينس أيرس) . كما أصدر مجلة «المناهل» ، وفي دمشق أصدر مجلة «الفنون» . كما كان في الأرجنتين يلقي المحاضرات التي تلقى الضوء على حضارة العرب باللغة الإسبانية . له من الأعمال الأدبية المطبوعة شعراً ونثراً (٤٢) كتاباً باللغتين العربية والإسبانية . وهو أحد كتّاب مجلة «الفصل» ، وكانت آخر قصيدة نشرت له بها بعنوان «صلاح الدين» .

وفاة الشاعر عدرة

توفي الشاعر السوري (إسماعيل عدرة) عن عمر يناهز الرابعة والخمسين ، فقد ولد بمحافظة حماة - سلمية بسورية عام ١٩٢٧ م ، وهو محاز في الأدب العربي من جامعة دمشق ، اشترك في عدد من الأمسيات والندوات الشعرية في المدن السورية ، وقد نشر بعض نتاجه الأدبي وبخاصة الشعري في الصحف السورية وغيرها . له مجموعات شعرية منها «الليل الأخير» .

مصر —

جائزة الإسكندرية للشعر

خصصت محافظة مدينة الإسكندرية جائزة سنوية للشعر باسم «جائزة الإسكندرية» يقام لها مهرجان سنوي خلال شهر يونيو

(حزيران) من كل عام بساحة قلعة «قايتباي» الشهيرة ، وذلك لإحياء لجد المدينة الثقافي ودورها الحضاري ، وستكون المسابقة باللغتين العربية والإنجليزية ، وسيكون الباب مفتوحاً لكل الشعراء عرباً وغير عرب .

وفاة أحمد رامي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر المعروف أحمد رامي عن عمر يناهز التاسعة والتسعين ، وقد ولد عام ١٨٨٢ م ، وعمل في حياته مدرساً للجغرافيا ، ثم أميناً لمكتبة مدرسة المعلمين بالقاهرة ، وأرسل في بعثة إلى فرنسا ، وشغل منصب عميد دار الكتب ، كما حصل على درجة الدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفنون المصرية ، وميدالية الخلود من أكاديمية الفنون بفرنسا ، ألف ستة دواوين شعرية ومسرحيتين وترجم (١٢) مسرحية ورواية ، وكتب بالإضافة إلى ذلك أكثر من (٥٠) أغنية ، وقد أطلق عليه في حياته «شاعر الشباب» ، كما ترجم رباعيات الخيام ، واشتهر بشعره الغنائي .

موسوعة عن أدباء القصة

ستصدر موسوعة لأدباء القصة في مصر ، هذه الموسوعة سوف تضم أدباء القصة منذ الحملة الفرنسية حتى عام (١٩٥٠ م) مع تراجم مفصلة عن حياتهم وكتبهم وأعمالهم التي ترجمت .

مجلد لأبحاث الندوة الأولى عن التراث

أصدرت الأمانة الفنية للجنة التراث في المجلس الأعلى للثقافة المصرية مجلداً يحتوي على مجموعة الأبحاث التي أقيمت في (الندوة الأولى عن التراث) التي عقدت في القاهرة ، ويضم المجلد الأبحاث التالية :

- ★ «لماذا نعتى بالتراث» ، للدكتور أحمد الحوفي .
- ★ «منهج تحقيق التراث العربي وقواعد نشره» ، للدكتور حسين نصار .
- ★ «التراث والحضارة» ، للدكتورة نعيات أحمد فؤاد .
- ★ «النخطيط لإحياء التراث» ، لعبد المنعم عمر .
- ★ «التراث اللغوي ومحاذاة نشره» ، لمحمد شوقي أمين .
- ★ «تراثنا العلمي بين الشرق والغرب» ، للدكتور أحمد سعيد الدمرداش .
- ★ «حاجة تراثنا اللغوي إلى التنقية والتنقيح» ، للدكتور رمضان عبد التواب .
- ★ «مشكلات التراث بين الحاضر والمستقبل» ، للدكتور أحمد هيكمل .

نافذة

مدينة بابل والكنوز الثمينة

الأديب العربي .. وقضية النشر

لماذا يكتب الكاتب؟

هل ينتج الكاتب أعماله الأدبية ليجعلها حبيسة أدراج مكتبه
مخوفة الأنفاس خرساء الصدى؟

أم أنه حين يكتب يحلم بتلك المراسلة الفنية الغالية التي تتم
بينه وبين المتلقي ، أي بينه وبين قارنه حتى لو كان قارئاً واحداً؟!
إن الإجابة - بالقطع - تتمثل في أن إبداع الأديب ما هو إلا رسالة
مطولة يبتئها من مكتون نفسه إلى قارنه ، ومن الكتاب المجيدين من يرسل
ملايين القراء ، ومنهم من يرسل آلافاً أو مئات .. إلخ .

وأيضاً ما كان العدد فإن ذلك لا يهم كثيراً .. المهم وجود القارئ ، آية
ذلك أن الكتاب - غالباً - ما يتخذون لهم من صفوة أصدقائهم من يشترهم
خواطرهم الأولى وهي لما تزل في بكارتها .. ذلك شيء ينبئ عن ضرورة ذلك
التراسل الفني بين الكاتب وقارنه .

نقلنا ذلك التمهيد إلى تساؤل :

من ذا الذي يوصل تلك الرسالة الفنية إلى المتلقي؟

إنه الناشر بلا جدال .

هنا نصل إلى القضية ، قضية النشر ..

ولو حاولنا إلقاء نظرة على ما يمسن الأديب إزاء قضية النشر لواجهتنا
ملاحم عديدة للمشكلة .

لن ناحية قد نجد النشر متاحاً أمام أعمال غثة غير ناضجة لا تضم إضافة
حقيقية لرصيد الإنسان . ومن ناحية أخرى قد نجد باب النشر موصداً أو نادراً
أمام أعمال أخرى طيبة .

ومن ناحية ثالثة قد نجد المؤلف يقع فريسة الأساليب التجارية من لدن
بعض الناشرين .. بل إن تطور هذه الأساليب بلغ حد السطو الأدبي إذا
جاز التعبير ، لا سيما وقد بلغ فن الطباعة عالمياً في العصر الحديث مبلغاً من
التقدم الفني فاق تصورات العصور الماضية وطموحها ، فأصبح من الميسور على
بعض دور النشر أن تسطو على أي كتاب يروق لها فتعيد طبعه ونشره متجاهلة
حقوق ذلك الإنسان الرهيف وعذابه مع الكلمة وأجزاء من عمره ذابت
معه . بل إن المحيطين به من أهله وذويه قد يشاركونه التضحية في سبيل ميلاد
هذا العمل الفني .

أما أن الأوان لوضع نظام من التنسيق العربي لقضية النشر تحقياً
لنوع من التكامل بين البيئات الثقافية العربية يلبي حاجة كل بيئة ، وبحول
دون تكرار كثير من الجهود في مجال تحقيق المخطوطات والدراسات حيث
تتكرر دراسة أو تحقيق في نبات عديدة ، كذلك فإن مما يحقق ذلك إيجاد نوع
من التقارب بين المؤلفين العرب قد يحقق تأليفاً جماعياً حول موضوع واحد
تتصافر فيه الجهود ، وقد يحقق حماية هؤلاء المؤلفين من السطو الأدبي ، ثم قد
يحقق أخذاً بيد ناشئة الأدب فبما يمكن أن نسميه بفكرة « الكتاب
الأول » .

د . يوسف نوفل

جامعة الرياض



موسوعة لأعلام العراق

يزعم المجمع العلمي العراقي إصدار موسوعة عراقية عن عدد
كبير من أعلام العراق ، وهي الموسوعة التي كان قد وضعها الكاتب
الراحل صادق الملائكة والد الشاعرة المعروفة نازك الملائكة .
ستخرج الموسوعة في سنة أجزاء ، يقع كل جزء في حوالي خمسين
صفحة .

موسوعة

الفن التشكيلي في كتاب

أصدرت المنظمة العربية للثقافة والعلوم والآداب كتاباً
خاصاً عن (الفن التشكيلي العربي المعاصر) للدكتور عفيف
بهنسي ، رصد فيه لتاريخ الفن التشكيلي العربي المعاصر مع نماذج من
لوحات لفنانين من كل بلد عربي .

الأردن

معرض للفنون التشكيلية

أنتم في مدينة (العقبة) الأردنية معرض للفنون
التشكيلية تحت عنوان « معرض مهرجان الربيع » شارك فيه أكثر
من (١٣٠) فناناً أردنياً بما يزيد على (٤٠٠) عمل فني تجمع كل أنواع
الفنون من النحت والخزف والتصوير والرسم بالزيت والماء والفحم ، وقد
مثلت هذه الأعمال الحياة الأردنية اليومية ولها التصاق وثيق بالقضية
الفلسطينية ، وبالقضايا الإنسانية ، استمر هذا المعرض عشرة
أيام .

المعارك التاريخية في معرض

أقيم في العاصمة الفرنسية معرض عرضت فيه نماذج للمعارك التاريخية التي تعكس مختلف الحضارات ولكن بطريقة جديدة ، حيث طبعت أحداث تلك المعارك على أقمشة وعرضت بطريقة شيقة ، وظهرت صور أبطال تلك المعارك مطبوعة ببيضاء على النسيج لفتت أنظار الذين شاهدوا المعرض .



★ ناتالي ساروت ★

الصقر الذهبي

حصلت الروائية الفرنسية المعاصرة (ناتالي ساروت) على جائزة (الصقر الذهبي) وذلك عن مجموعة أعمالها التي عرضت في المهرجان الدولي الثالث عشر للكُتّاب ، الذي أقيم مؤخراً في مدينة (نيس) الفرنسية .

وناتالي أدبية فرنسية ولدت عام ١٩٠٢ م ، من أشهر رواياتها « بورتيري لرجل مجهول » ، وقد انجذبت للمسرح ، ومن مسرحياتها « الكذب » .

روائع المخطوطات الإسلامية

أقيم في (لندن) معرض لروائع المخطوطات الإسلامية نظّمته « جمعية المهرجان الإسلامي العالمي » ، وعرضت فيه (٥٥)

مخطوطة إسلامية جرى اختيارها من بين (٣٥٠٠) مخطوطة نظراً لقيمتها الأكاديمية ، ويعد هذا المعرض الأول من نوعه في العالم والذي استمر تسعة أيام .

اليوم والغد

● ناسخاً من خط الشرعية ●

قامت شركة ديبون كوكا اليابانية

بصناعة السفينة لصفت السريعة «شين ايتوكومار» التي يبلغ طولها ٢١٦ قدماً ، وقطعت المسافة الفاصلة بين الصين واليابان بسرعة ١٢ عقدة . وبواسطة هذه الأشعة أمكن تخفيض كمية الوفود المستهلكة إلى النصف مقارنة بناقلة مماثلة .

زودت السفينة بشرايين عرض كل منها ٢٦ قدماً وارتفاعه ٤٠ قدماً ، وهما مصنوعان من الكتان المثين ، تحملهما إطارات معدنية . بحارة (شين ايتوكومار) لا يضطرون إلى المغامرة بجيائهم ، والصعود إلى صواري السفينة لفتح الأشعة ، ذلك لأن فتح الشرايين وتوجيهها يتم بواسطة حاسب إلكتروني .

ديوان وليامز مترجماً

ترجم إلى اللغة الفرنسية ديوان الشاعر الأميركي (وليام كارلوس وليامز) الذي يعتبر من أشهر الشعراء في أمريكا في فترة الخمسينات ، ويحمل هذا الديوان عنوان « بنات الفلاحين » ، وصدرت ترجمته في باريس .

معرض للتراث العربي

أقيم في (فرانكفورت) خلال الفترة من ٤ يونيو (حزيران) إلى ١٢ أغسطس (آب) ١٩٨١ م ، معرض للتراث والفولكلور والفن العربي ، وذلك تحت إشراف جمعية الصداقة العربية الألمانية .

معرض فني سعودي

أقامت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمملكة العربية السعودية في العاصمة الألمانية ولأول مرة معرضاً فنياً خارج الوطن العربي ، احتوى على أكثر من خمسين لوحة فنية ، وثلاثين لوحة رسم أطفال ، ومجموعة من الصناعات التقليدية القديمة تزيد على مائة قطعة .

وفاة أوجست كورنو

توفي في (برلين) الفيلسوف والمؤرخ الألماني (أوجست كورنو) عن (٩٢) عاماً ، ومن المعروف بأنه قد ولد عام ١٨٨٨ م ، ودرس الفلسفة في إحدى الجامعات الألمانية ، وكان قد نال درجة الدكتوراه عام

الحضارة السومرية والآشورية والبابلية في معرض

أقيم في (باريس) في قاعة «بيتي باليه» معرض عن آثار الحضارة السومرية والآشورية والبابلية ضم مجموعة من التماثيل التي نقلت من متحف بغداد ومتحف اللوفر الفرنسي ، ومن بينها تمثال من الجبس للواعظ من «تل الأسمر» يرجع تاريخه إلى (٢٧٥٠) قبل الميلاد ،

كما عرضت فيه بعض الأدوات التي استخدمت في تلك العصور ومن بينها كأس يرجع تاريخها إلى (٥٠٠٠) قبل الميلاد .

ليرد غوغينس رجل أميركي ذو طموحات عادية جداً ، لكنه في يوم من الأيام قرر أن يصمم أكبر مولد للكهرباء في العالم يدور بقوة

الرياح . اخترع غوغينس يعتمد على «طاحونة هوائية» من نوع غير مألوف على الإطلاق : إنها عنفة ذات فراشات «حررة الحركة» . عنفة غوغينس سوف تتكون من ١٤ شراعاً ضخماً ، ارتفاع كل منها ٢٠٠ قدم ،

محمولة على عربة متحركة تستند إلى عجلات (دواليب) . تقوم هذه الأشعة بدفع العربات حول مسكة حديدية مسارها بيضوي الشكل يبلغ طوله نصف ميل . عجلات مسكة الحديد هي التي ستقوم بتدوير مولدات كهربائية .

سيبدأ إنشاء هذه العنفة المتحركة في صيف ١٩٨١ م ، على بقعة قاحلة بالقرب من مدينة سالت ليك سيتي في جنوب غربي

الولايات المتحدة . ويتوقع غوغينس أن يصبح مشروعه الذي يموله بماله الخاص جاهزاً للعمل في عام ١٩٨٤ م ، هذا المشروع الذي سيولد كمية من الكهرباء تغطي احتياجات مدينة عدد سكانها (٨٠) ألف نسمة ، وهذه

الاستطاعة أكبر بـ ٢٠ مرة من مجموع استطاعات المراوح الهوائية الأميركية مجتمعة . ومن المفروض أن يقوم حاسب إلكتروني (كمبيوتر) خاص بتوجيه الأشعة حسب حركة الرياح .



★ وليم سارويان ★

١٩٢١م ، وانتخب عضواً في (أكاديمية العلوم الألمانية) كما كان عضواً في أكاديميات أخرى خارج ألمانيا .

وفاة بول غرين

توفي في نيويورك الكاتب الأمريكي «بول غرين» عن (٨٧) عاماً ، الذي يعرف عنه بأنه من المدافعين عن الحقوق المدنية في أمريكا من خلال كتبه ومقالاته . حصل على جائزة (البوليتزر) للأدب عام ١٩٢٧م ، وذلك عن مسرحية (قلب أبراهام) .

وفاة وليم سارويان

توفي الكاتب الأمريكي (وليم سارويان) عن عمر يناهز الثانية والسبعين ، وسارويان كاتب موهوب ، له من الأعمال ما يزيد على (السبعين) عملاً روائياً ومسرحياً لذلك فهو يعد من أشهر الكتاب الأمريكيين في الثلاثينات والأربعينات . من أعماله «أفضل أوقات حياتك» وهي مسرحية كتبها في سنة أيام .

الأعشاب الطبية في قاموس

صدر في (اليابان) عن المتحف الوطني للأعراق البشرية «باوزاكا» أول قاموس من نوعه عن «الأعشاب الطبية» . ويوضح القاموس الذي يتضمن (ألف نوع) من هذه الأعشاب فوائدها للإفريقيين الذين يستخدمونها تلقائياً دون أن يعرفوا ميزتها في علاج بعض الأمراض ، كما يوضح العلاقة بين الطب الفطري والطب الحديث ، وقد صدر باللغة الفرنسية واللغات الإفريقية .

معرض عن نيويورك

أقيم في العاصمة اليابانية معرض أمريكي فني تحت عنوان «ملاح من مدينة نيويورك» وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور (٢٠) عاماً على توقيع اتفاقية الصداقة والتبادل الفني بين مدينتي (طوكيو) و(نيويورك) ، ضم المعرض مائة لوحة رسمها أكثر من (٤٩) فناناً أمريكياً معظمهم من مدينة نيويورك ، وهي تعكس ملاح الحضارة الأمريكية .

معرض دولي للكتاب

ستقيم الهيئة القومية الهندية للكتاب المعرض الدولي الخامس للكتاب في (نيودلهي) وذلك خلال الفترة من ٥ - ١٥ فبراير (شباط) لعام ١٩٨٢م ، وقد دعي لحضور هذا المعرض عدد كبير من دور النشر الهندية والعالمية .

مسابقة القرآن الكريم

أقيمت المسابقة السنوية العاشرة في القرآن الكريم (بمحافظة ايش) الأندونيسية ، وقد شارك فيها أكثر من (٢٤٠) متسابقاً يمثلون أكثر من سبع وعشرين محافظة ، وهم من طلبة وطالبات المدارس ، وتعقب هذه المسابقة مسابقة تصفية نهائية ، وقد أعد لهاتين المسابقتين جوائز قيمة منها (تذكرة سفر الحج بيت الله الحرام) .

اكتشاف أثري

رغبة في معرفة الكثير عن ثقافة القرن الإفريقي التي لا تزال غير معروفة حتى الآن ، فقد جرى التنقيب في منطقة أثرية يرجع تاريخها إلى بداية العصر المسيحي في (اندوجا) التي تقع على بعد حوالي (١٢٥) كيلومتراً من جيبوتي ، وقد عثر فيها على (منازل ومبان مختلفة) ذات أحجام مختلفة بنيت بعضها بأحجار البازلت المقطعة الموضوع بعضها فوق بعض بانتظام شديد ، وقد عثر في كل منزل على (رحى وآثار رماد وعدد كبير من الأواني الخزفية التي زين بعضها بزخارف هندسية ، وكذلك اكتشفت أساور وعقود مصنوعة بدقة) .



★ محمد بن عبد الرحمن ★



★ عبد الرحمن بن ناج ★

الطريقة المشايخ لدراسة

الفتحة للدارس

بصنام :

د. محمد محروس المدرس

إذا استبعدنا بعض الدعوات التي لا تقوم على أساس ، والداعية لفتح الباب لكل مسلم بأن يعمل وفق ما يوصله إليه فهمه لكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وهي دعوات ضيقة المدى ، وأثرها لم يصل بعد إلى الدراسات الجامعية . فإن الدراسات الفقهية الآن تدور بين منهجين بارزين :
الدراسة المقارنة . والدراسة المذهبية .

وإذا استبعدنا النصوص المحققة ، فإن الدراسة المذهبية بالصورة التي أشرنا إليها ، لم تتناول غالباً ، غير بعض شؤون العبادات التي لا زال الناس بحاجة إليها ، فترى الكتيبات الصادرة في ، الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو الحج ، وفق هذا المذهب أو ذاك . على أن بعض الرسائل الجامعية قد عمدت إلى جمع فقه بعض الأئمة الذين اندرست مذاهبهم ، وتفرقت آراؤهم في بطون الكتب . وهذا فيه إثراء لفقهنا الإسلامي ، ولفت لأنظار الباحثين إلى كنوز ثمينة لم يكن الوصول إليها متيسراً من قبل .
ومع أن الدراسة المقارنة — بالصورة التي أوضحناها — فيها توسعة للمدارك ، وتنمية للملكة الحجاج والمناظرة والمناقشة ، وتوقف الدارس على تيارات متعددة ، ومسالك متنوعة ، وطرق تفكير مختلفة متباينة في معالجة المسألة الواحدة .

فالدراسة المقارنة تكون : بإيراد أقوال أئمة كل مذهب في مسألة معينة ، ثم يعتمد الدارس إلى اختيار أحد الآراء حسبما يترأى له . وغالباً ما يبني اختياره على مناسبة هذا القول لمتطلبات زماننا أو مسأيرته لروح العصر!! . ونادراً ما ينظر إلى الدليل ، أو مأخذ الحكم .
أما الدراسة المذهبية فتكون : ببحث الموضوع ، أو المسألة المعنية ، في نطاق مذهب معين من المذاهب الإسلامية المعروفة ، ووفق أصول هذا المذهب ، أو تخريجها على أقوال أئمة .
إن الدراسات الجامعية المعاصرة ، قد اتجهت نحو الدراسة المقارنة باندفاع شديد ، ويندر وجود رسالة جامعية — اليوم — تتناول موضوعاً وفق مذهب واحد . وبقي ذلك محصوراً ببعض الكتّابين وخارج نطاق الجامعات ، ولم يعد دور هؤلاء — في الغالب — غير محاولة كتابة بعض المواضيع الفقهية بأسلوب عصري مبسط لا غير .

كما أن الذي يتطلع لبلوغ رتبة الاجتهاد في الشرع لا يستغني عن معرفة آراء فقهاء المذاهب في كل مسألة ، ليعرف مواطن الإجماع ، وموارد الاختلاف لئلا يحدث فولا يخرق به إجماعاً . فيعرف آراء السلف في المسألة ، ورأي علماء الأفاق من زعماء المذاهب الكبرى في تلك المسألة ، ليكون على بينة من أمره عندما يعطي رأياً في أمثالها .

الالتزام بمذهب واحد

إلا أن الدراسة المقارنة — كما نرى — أحوج ما يكون إليها ، والينحاز ما تكون بالنصدي لإعداد تشريع معين ، لينفذ قانوناً على العباد . فيدرس الآراء المتعددة ، ويختار منها ما هو أصح للجماعة وأنسب للعصر ، وذلك باعتبار أن إمام المسلمين ، يحق له تخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها ، بحيث يتعين العمل بقوله ، وهذا ما حدا بالعثمانيين في إلزام المحاكم بالعمل بالمذهب الحنفي ، ووضعوا مجلة الأحكام العدلية — وهي قانون مدني إسلامي — مستقاة من هذا المذهب وحده ، وإن لجأوا إلى غيره بعدئذ في تعديلات لها لاحقة .

وانطلاقاً من نفس القاعدة ومن أجل هذا فقد كثرت أمثال هذه الدراسات في كليات الحقوق في العالم الإسلامي ففتحت هذه الكليات صدرها لفقه هذه الأمة ، بعد أن انجذبت غالب تشريعات دول المسلمين إلى الأخذ من المصادر الغربية ، فلم تكن تلك الدراسات عقيمة الفائدة ، بل نجد آثارها قد انعكست في بعض القوانين المدنية خاصة لبعض الدول العربية ، والتي جمعت بين مصدرين في أصولها هما الفقه الإسلامي والفقه الغربي ، كالفانون المدني العراقي .

أما إذا كنا غني النفس بدفع الفقه الإسلامي إلى الأمام ، ليستوعب الحوادث الجديدة والنوازل الحادثة ، والوافعات المستحدثة ، فسوف لن نجد ضاللتنا في تلك الطريقة من الدراسة إضافة إلى بعض مخاطر قد نضر بهذا النبيل انشامخ ضرراً عظيماً .

فأما أمثال هذه الدراسات لا تدفع عجلة الفقه الإسلامي إلى الأمام ، فلأن الدارس لا يعدو دوره نقل أقوال الأئمة في المسألة ليرتبها متسلسلة ، فلا يعمد — في غالب الأحوال — إلى الوقوف على مأخذ هذا القول أو ذاك فهي حكاية آراء لا غير ، وهذه الحكاية المجردة للآراء لا تعطي الدارس ملكة في استبانة كيفية التوصل إلى هذا الرأي أو ذاك . وهو بالنالي يصبح باحثاً عن قول الأفدين في المسألة ، فإن لم يجد وقف حائراً ، بل قد يعمد إلى التصريح .

وهنا نكن خطورة عظمى بأن الشريعة الإسلامية لم تعرف المعاملة الفلانية ، أو لم يكن لها رأي في المسألة الفلانية . إذن ستكون هذه الدراسات — من هذه الجهة — إدانة هذه الشريعة الغراء ، فضلاً عن وقوف الدارس مكتوف اليدين تجاه المسألة الجديدة التي لم تكن قد وقعت

من قبل ، ولم يكن للأقدمين فيها رأي . وكأنهم قد غاب عن ذهنهم أن الوقائع والحوادث لا تنتهي ، وأن أقوال الفقهاء تنتهي معها كثرت — و (ما لا ينتهي لا يضبطه ما ينتهي) فهذه النتيجة ستصل بنا إلى الوقوف بالفقه الإسلامي إلى حد لا تعداه ، ونقف بسيره عند هذه النقطة ، وقد نخرج بحكم خطير عليه لا نرتضيه وذلك بوصمه بالعجز . وهذا ما يدعيه الخصوم .

ومن ناحية أخرى فإن في كل مذهب الكثير من الأقوال في المسألة الواحدة وقد يعمد أحد المرجحين إلى اختيار قول يرجحه ، ويعمد الآخر إلى ترجيح غيره ، فيذكر الأول ما تنبه في كتاب بؤلفه ، والآخر في متن يصوغه ، وقد يأتي ثالث فيخرج على قواعد مذهبه قولاً ، فيفتي بتخريجه في مسألة ، وقد يفتي بقول للضرورة وبآخر لتغير الزمان ، وشالت مراعاة لحال المستفتي فكل هذه مسائل دقيقة يندر عارفوها بين مقلدي المذهب نفسه ، فكيف سيميز بينها دارس جامعي لم يبلغ درجة التخصص بذلك ! .

فالذي يحصل — حينئذ — أن يتناول الدارس أي كتاب تقع عليه يده في المذهب المعين ، فينقل رأي ذلك المذهب منه ، وقد بظلم المذهب كله ، وحتى فقه الشريعة الإسلامية كلها بهذا النقل إذ قد يكون المنقول رأياً شاذاً لأحد الفقهاء ممن لم يفت بقوله ، ولم يؤخذ برأيه ذاك .

ويؤيد ما نذهب إليه من وقوع هذا الخلط أو الاعتماد على الضعيف من الأقوال ما استدلت به محمد طلعت حرب ، مثلاً ، لجواز تأسيس البنوك التي نتعامل بالربا — عند بدء دعونه لتأسيس بنك مصري وطني — ، بفتوى محمد بن سلمة البلخي كما أوضح ذلك بكتابه علاج مصر الاقتصادي ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة^(١) — وهذه الفتوى تفيد — إن الذي يريد أن يصيب نفعاً من قرضه ، فعليه أولاً أن يبيع الذي ينوي الاستقراض منه شيئاً قيمته عشرون درهماً مثلاً بأربعين ، يقرضه^(٢) مائة ، ويحصل للمستقرض ثمانين ، ويضمنه مائة^(٣) . — ولفضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر — رحمه الله — رد يفتقر ووجهة نظرنا في هذه المسألة .

أما إذا كانت المقارنة بين القوانين الرضعية وأحكام الشريعة الإسلامية ، فنرى الخلط أكثر ، إذ يعمد الدارسون إلى نقل رأي ما من أي مذهب إسلامي ليعمموا في إشارتهم عند النقل بنسبته إلى الشريعة الإسلامية مع أنه رأي أحد فقهاء مذهب من المذاهب ، وقد يكون هذا الرأي معتمداً في ذلك المذهب .

وكثيراً ما ينجني المتجنون بسبب تعميم من هذا النوع ، أو بسبب حكم شمولي يتناقض مع أصول البحث العلمي الذي يجب أن يتسم بالدقة . نعم هناك كثير من الآراء الغربية وحتى غير المعقولة نجدها في خضم الآراء الكثيرة في المذاهب الإسلامية المتعددة . وإن أفحش

فقهاء المذهب الحنفي

وبهذا يمكننا أن ندفع عجلة الفقه الإسلامي إلى الأمام ونسير به في رحلته الطويلة المباركة بدلاً من الوقوف إلى الحد الذي وصل إليه الأقدمون ، إن وجدنا لهم قولاً فهو منتهى الطلب ، وإن لم نجد كذا أعجز من أن نحاول تلمس الطريق ، أو معرفة الجهة التي لا بد أن نسير نحوها ، لكي نصل إلى المطلوب أو إلى الحد الأدنى منه .



★ طلعت حرب ★

إن هذا الذي نهدف إليه من دراسة الفقه الإسلامي بهذه الطريقة لا يكون على طريقة الدراسات التي تحكي أقوالاً من غير معرفة درجة كل قول ، أو منزلته بين الأقوال الواردة في المسألة . بل اهدف منها فتح الباب إلى دراسة أوسع وأشمل ، وذلك بالسعي إلى أن يتجه الدارسون بدراساتهم ، لكي يعدوا أنفسهم إلى درجة التخرج - على الأقل - بعد أن تقاصرت الهمة عن بلوغ رتبة الاجتهاد . فالوصول إلى درجة التخرج أسهل وأيسر ، وسيبدأ الدارس من حيث انتهى سابقوه في هذا المذهب أو ذلك بعد أن يقف على آرائهم ، وطريقتهم في معالجة المسائل ، ثم يحاول دراسة المسائل المستحدثة والحادثة وفق طريقة معينة ، ويستهدي بطريقة السابقين ممن بلغوا هذه الرتبة في تخرج المسائل الجديدة والحادثة ، والتي لم يسبق إبداء الرأي فيها للفقهاء المتقدمين . وقد اتضح لنا من دراسة تطبيقية في المذهب الحنفي ، أن فقهاء هذا المذهب المتأخرين عن مؤسسي المذهب ، لم يقفوا عاجزين حيال المسائل الجديدة رغم عدم بلوغهم رتبة الاجتهاد ، بل لجأوا إلى التخرج ، فأتوا بأراء معتبرة أصبحت مفتياً بها في المذهب ، ومانحواً بها من أتباعه .

وعلى هذا فإن هناك ضرورة في سير الدراستين المقارنة والمذهبية أو المنهجية جنباً إلى جنب فنعيد الحياة إلى الثانية ، لكي تمثنا بالأراء الجديدة للمشاكل الحادثة ، ثم يأتي دور صاحب الدراسة المقارنة ، ليختار ما يشاء من الأراء المتعددة ، وفقاً لما تتطلبه دراسته ، كإعداد تشريع أو إجراء مقارنة بالمذاهب الفقهية غير الإسلامية

ضرورة التخرج .. لا يعني الأمة من الاجتهاد

وقد اتضحت لنا من تلك الدراسة أيضاً أمور هامة هي :

(١) أن الثروة الفقهية في كل مذهب من المذاهب الإسلامية ، هي حصيلة جهود الجيم الفقير من علماء وفقهاء ذلك المذهب ، وشئ طبقاتهم . فليس كل ما في مذهب أو مدرسة معينة ، هو من إسهام المذهب ، أو زعيم المدرسة الفقهية المسماة باسمه . فكل مذهب فقهي هو بنيان شامخ ، تضافرت جهود جمهرة علمائه على تقويمه ورفعته .

(٢) أن الوقائع المتكررة تحتاج إلى متمكنين بالدراسات الفقهية

الخطأ أن يكون رأي فقيه ما هو رأي الشريعة الإسلامية ، فهناك آراء لا يمكن اعتبارها آراء للمذهب الذي ينتسب إليه هذا الفقيه أو ذاك ، فكيف يجوز لنا أن نعتبرها رأي الشريعة الإسلامية ؟ .

هذه بعض غاطر هذه الدراسة ، ويدفعها إذا كان الدارس متمكناً من أصول الفتوى ، ومن طبقات المسائل والكتب وكذلك طبقات العلماء . وذلك في كل مذهب من المذاهب الإسلامية جمعاء ، ليحقق له نسبة الرأي الذي يستند إليه إلى ذلك المذهب ، أو ليتسنى له الاعتداد به . وهذا أمر صعب جداً على فرد واحد وقد يستحيل ، اللهم إلا إذا كان البحث في مسألة واحدة فرعية أو بضع مسائل فقط ، ويتوافر على تلك الدراسات مجموعة من المختصين . وهذا ما يحصل في اللجان التي تعد التشريعات ، أو لجان إعداد الموسوعات الفقهية .

وعلى هذا فكل دراسة للفقه الإسلامي يجب أن تتم وفق أسس منهجية وعلمية متقنة يرتضيها أهل هذا العلم ، وذلك ابتعاداً عن المزالق التي ذكرناها . هذه الأسس المنهجية تكون بتقييم الرأي أو القول وفق أسس المذهب الفقهي الذي ينتسب إليه القائل فلذا توفر لنا دارسون أو باحثون يستطيعون تقييم الأقوال الفقهية الواردة في كل مذهب فقهي ، وتقييمهم هذا يكون عن معرفة وإطلاع لدروب ومسالك هذه المدرسة الفقهية أو تلك ، نكون حينئذ قد ابتعدنا عن المزالق ، وسلكنا السبيل العلمي القويم في عدم التجني على المذهب الفقهي المعين ، إذا ما قلنا : هذا الرأي أو القول هو رأيه أم لا ، أو هو رأي فيه أم لا .

وحينئذ يمكننا أن نأمن الوصول إلى الرأي المعتمد والمصحح والمصيب في كل مذهب فإن لم نجد رأياً لمسألة حادثة ، أو نازلة جديدة ، أمكننا أن نعتد أدلة المذهب المعين وأساليبه في البحث للوصول إلى الحكم في الجديد من الوقائع ، والحادث من النوازل .

بهم المطاف إلى رتبة الاجتهاد ، فلا أقل من وصوفهم إلى رتبة القدرة على التخرج على الأقوال المعتمدة الواردة في المذاهب التي تمكن منها الباحث .

المنهجية (أي المذهبية) التي تكون وفق أسس مدرسة فقهية معينة . فإن ضرورة أن يكون هناك حل لكل معضلة أو نازلة ، واستحالة وجود إجابة للمتقدمين في كل النوازل المحتملة ، يجعلنا ملزمين بالبحث ، الذي يجب أن يتم وفق أسس وقواعد معينة فيكون بحثاً عقلانياً ، لا بحثاً تخبطياً عشوائياً .

والبحث العقلاني يكون إما وفق أسس وقواعد يضعها الباحث لنفسه ، وإما وفق أسس كان قد وضعها غيره ، فيرتضيها هو على ألا يتحول إلى الثانية إلا إذا وجد العجز في نفسه عن تحقيق الأولى .

إن العجز عن الأول قائم ومحقق ، والغالب في علماء الطبقة التي تلت أصحاب مؤسسي المذاهب هو العجز عن استعمال حتى قواعد مؤسس المذهب في الرجوع إلى النصوص الأصلية ، فضلاً عن وضع أسس وقواعد خاصة بهم . فنجمت الحاجة إلى قياس الوقائع على مسائل سبق لإمام المذهب أو لأحد أصحابه الإجابة عنها . فكان هذا عمل المخرجين . فلزمت الحاجة إلى إيجاد المخرجين في كل زمن لملاحقة الوقائع المتتالية ، ويكون تحريجهم وفق قواعد معينة ، بعيدة عن الهوى ، أو القول بالتشبه .

والقول بضرورة وجود المخرجين في كل مذهب ، لا يعني الأمة عن واجبها بالسعي إلى إيجاد المجتهدين الذين إن لم يكونوا مجتهدين مطلقين ، فلا أقل من كونهم مجتهدين في المسائل . وذلك هو الطريق الصواب ، والمهيج المستقيم ، وما رضاؤنا بالمخرجين ، إلا بعد أن قصرت الهمم ، وتكاسلت الأمة عن واجبها في تهيئة المجتهدين ، لا بل ندر حتى وجود المخرجين .

(٣) أن حباة كل مذهب واستمراريته مرهون بكثرة المخرجين فيه . فالذي توصلت إليه نتيجة تلك الدراسة ، أن كثرة وجود المخرجين في المذاهب الإسلامية الكبرى ، قد أعطتها الحياة إلى يومنا هذا . فإن الناس منتشرون في الآفاق ، ووقائع الحياة متشابكة معقدة ، وغير متناهية . فإذا لم يجد المقلد جواباً لوقائعه لدى علماء مذهبه ، تحول إلى غيرهم . وقد تولى تطمين رغبات الناس خلال العصور المتتالية المخرجون ، فكسبوا ثقة الناس وأبقوهم على علاقتهم بمدارسهم الفقهية . إذن **المخرجون هم عنصر ديمومة المدرسة الواحدة ، وسر بقائها .**

(٤) أن التخريج قد يغني عن الاجتهاد المطلق . فإن عجز الأمة عن إيجاد مجتهدين ، وحتى المتسبين ، يجعلنا أمام فراغ كبير . فالمطلوب من الفقه ملاحقة الوقائع بأحكامه ، والحكم لا يكون اعتباراً فإذا لم يكن للمتقدمين من مجتهد في الأمة قول في المسألة ، وذلك بسبب عدم وقوعها في أزمانهم ، وإذا لم يكن في زماننا من يستطيع الرجوع إلى المصادر الأصلية للتشريع ، فلا يعني أن نقف أمام المسائل عاجزين ونسجل على فقهاءنا الإسلامي ، وبالتالي على الإسلام كدين وشريعة ، وصمة طالما حاول كل غلص دفعها عنه ، وهي وصمة العجز عن مسايرة الزمان .

فالتكهن من دراسة المدارس الإسلامية ، وفتاوى فقهاءها والوقوف على ضوابط أقوالهم ، وقواعدها العامة ، وطريقتهم في الإجابة في المسائل ، مع التمكن من كل هذا ، سيجعل في الأمة طبقة من المخرجين يفتون وفق قواعد المذاهب الإسلامية ، وسيغني ذلك الفقه الإسلامي بحلول كثيرة جداً ، لكثير من النوازل والوقائع .

معالجة المسائل الجديدة

فإن من سبقنا من الأجيال اللاحقة لعصر أئمة المذاهب ، لم يقف من النوازل موقفاً سلبياً ، كما نقف اليوم من كثير منها . بل أفتوا على قدر علمهم وتمكنهم ، ووفق أصول أقوال مذهب إسلامي معين على أننا نلاحظ اليوم ، أن معالجة المسائل الجديدة في العصور المتأخرة جداً اتخذت أشكالاً شتى ، ففي مسألة واحدة وهي (التأمين التجاري) ، نرى ثلاثة اتجاهات :

● **الأول - التحريم مطلقاً ،** وذلك بعرض هذه المعاملة الجديدة على القواعد الفقهية الكلية والأصول العامة . وهذا ما يتبادر إلى ذهن كل مشتغل بالفقه لأول وهلة . وهو الذي توصل إليه أيمن عابدين الشامي (رحمه الله) المتوفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف هجرية^(١) .

● **الثاني - الجواز مطلقاً ،** وذلك بالنظر إلى ظاهر منافع هذه المعاملة الجديدة . والقول بالحل إما لعدم انعام النظر في حقيقتها ، أو لأجل أن يدفع القائل بذلك عن فقه الشريعة الإسلامية ما قد توصم به من جود أو ابتعاد عن الأخذ بالنظم والمعاملات الجديدة المفيدة .

من هذا القبيل فتوى الشيخ محمد عبده (رحمه الله) عندما كان مفتياً للديار المصرية ، حين أفتى بالحل وقد أثير بسببها نقاش وجدال طويلين لا نريد هنا الخوض في تفاصيله^(٢) .

● **الثالث - التآني والبحث الحثيث ،** للوصول إلى حكم لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية من جهة ، مع عدم التفريط بالمنافع التي قد تنطوي عليها هذه المعاملة الجديدة وأمثالها . وهذا الاتجاه يتمثل واضحاً في بحوث دورات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف . وكذلك بما يصدر عن بعض الباحثين هنا وهناك من جهات العالم الإسلامي . وهنا نؤكد مرة جديدة على ضرورة الدراسة المنهجية لكي نصل إلى الحل الأسلم بما يرضي الله ، ويحقق المنافع للعباد .

الهوامش

(١) راجع بنوك بلا فوائد ، د . عيسى عبيد ، ط ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢) راجع كتابنا مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية ، ج ٢ ، ص ٧٩٥ مسألة رقم ٥٥٢ .

(٣) راجع رد المختار ، ١٧/٤ وما بعدها .

(٤) راجع كتابنا مشايخ بلخ ، ج ٢ ، ص ٨٥٣ - ٨٥٤ .

حماية الشيك

في نظام التجارة السعودي

بقلم : د. إلياس حداد

نظراً للدور الكبير الذي يتعاظم به استعمال الشيك في الحياة المدنية والتجارية ، رأينا من المفيد أن نستجلي بعض الأحكام التي تتعلق به ، وبخاصة منها تلك التي تعمل على تعزيز الثقة به ، وحماية حقوق حامله باستيفاء قيمته حين تقديمه للوفاء . وقد ابتغي أن نسيغ على هذه الدراسة طابعاً سعودياً بارزاً فلا نعرض للأوضاع والأحكام في الأنظمة الأجنبية الأخرى إلا بالقدر الذي تقتضيه طبيعة المقارنة . علماً أن القواعد التي تنظم الشيك في البلاد العربية تتقارب فيما بينها تقارباً أملت وحدة المصدر الذي استقت منه هذه القواعد وهو اتفاقيات جنيف الثلاث لعام ١٩٣١ م .

تعريف الشيك وتمييزه

ذكر نظام الأوراق التجارية السعودي ثلاثة أنواع من الأوراق التجارية^(١) هي : الكبيالة ، والسند لأمر ، والشيك . فالكبيالة^(٢) هي صك محرر وفق شك معين حدده النظام ، يأمر بموجبه شخص يسمى المحرر أو الساحب ، شخصاً آخر يسمى المسحوب عليه ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين ، أو قبائل

للتعيين ، أو بمجرد الاطلاع ، لأمر شخص ثالث يسمى المستفيد . والسند لأمر^(٣) هو صك محرر وفق شكل معين حدده النظام ، يتضمن تعهد شخص يسمى المحرر أو الساحب ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين ، أو قبائل للتعيين أو بمجرد الاطلاع ، لأمر شخص آخر يسمى المستفيد . أما الشيك^(٤) فهو صك محرر وفق شكل معين حدده النظام ، يأمر بموجبه شخص يسمى المحرر أو الساحب ، شخصاً آخر يسمى المسحوب

عليه ، ويكون في العادة مصرفاً ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود بمجرد الاطلاع لأمره أو لأمر شخص ثالث يسمى المستفيد .

يتضح من هذه التعاريف أن السند لأمر يختلف عن الكبيالة والشيك في أنه لا يتضمن عند تحريره سوى شخصين هما الساحب والمستفيد ، بينما تتضمن الكبيالة والشيك وجود ثلاثة أشخاص هم الساحب والمسحوب عليه والمستفيد .

لكن إذا كان الشيك يقترب في شكله من الكبيالة من حيث أنه يتضمن مثلها ثلاثة أطراف هم الساحب والمسحوب عليه والمستفيد ، ويفترض مثلها وجود علاقتين أساسيتين سابقتين : الأولى بين الساحب والمسحوب عليه وتسمى بـ «مقابل الوفاء» ، والثانية بين الساحب والمستفيد وتسمى بـ «القيمة الواصلة» ، فإنه يظل متميزاً عنها من وجوه عديدة أهمها :

١ - يجب أن يكون المسحوب عليه في الشيك دائماً مصرفاً بينما يجوز أن يكون المسحوب عليه في الكبيالة مصرفاً أو فرداً عادياً ، أو شخصاً اعتبارياً غير مصرف . ولزوم كون المسحوب عليه في الشيك مصرفاً تبرره ضرورة اجزاء الثقة بالشيك وتمكينه من أداء وظيفته كأداة وفاء يقبل الناس على اقتنائه والتعامل به . فالساحب وهو الأمر بالدفع لا بد أن يكون مطمئناً لأمانة من أودع لديه نقوده وملاءمته ليسدد قيمة الشيكات التي يسحبها فور عرضها عليه . وكذلك الأمر بالنسبة للحامل ، إذ لا بد أن تتوفر له الثقة والطمأنينة في استيفاء قيمة الشيك حال تقديمه للوفاء . وهذه الطمأنينة لكلا الطرفين أكثر ما تتوافر في المصارف التي تبقى مليئة على وجه العموم .

٢ - يجب أن يكون الشيك دائماً مستحق الوفاء لدى الاطلاع لأنه أداة وفاء فحسب ، بينما تسحب الكبيالة لتدفع لدى الاطلاع أو بعد أجل معين فهي أداة وفاء وأداة ائتمان أيضاً .

٣ - يجب أن يكون للشيك مقابل وفائه عند إصداره ، بينما لا يشترط وجود مقابل الوفاء في الكبيالة إلا في تاريخ استحقاقها .

٤ - لا يخضع الشيك لإجراءات القبول فهو حين يقدم للمسحوب عليه يكون ذلك بغرض استيفاء قيمته لأنه يستحق الدفع لدى الاطلاع ، بينما يجوز تقديم الكبيالة إلى المسحوب عليه لقبولها قبل وفائها .

أهمية الشيك

يقوم الشيك في وقتنا الحاضر بخدمات اقتصادية جلية إذ يعمل على تيسير المعاملات التي تنشأ بين الأفراد ، وإنماء النشاط التجاري في البلاد . لقد ظهر الشيك في الأصل كأداة لاسترداد النقود التي أودعها الساحب لدى المصرف بسحب الشيك لأمر نفسه وقبض قيمته بالذات من المصرف المسحوب عليه . إلا أنه أصبح على ممر الزمن أداة لوفاء الديون بحيث يحل في ذلك محل النقود . فالشخص الذي أودع نقوده لدى مصرف ما

وأصبح له رصيد دائن عنده ، بدلا من أن يفي دائنه مباشرة بتقديم مبلغ من النقود ، فإنه يسحب شيكاً بمقدار الدين على مصرفه باسم هذا الدائن وفاء للدائن . وقد يحدث أن يقوم الشيك الواحد بالوفاء بقيمة الديون عدة مرات وإذا ما تم تداوله عن طريق التظهير من مستفيد إلى آخر بحيث يصبح في النهاية تنبيهاً بالنقود .

وللوفاء بطريق الشيك مزايا أخرى : فهو من جهة يحمل الناس على إيداع أموالهم لدى المصارف بدلا من تجميعها في جيوبهم ، أو في خزائهم الخاصة ، فيقل بذلك تداول واستعمال النقود الورقية والمعدنية ، ويم بالتالي تفادي مخاطر ضياعها أو سرقتها . وهو من جهة أخرى يوفر للساحب وسيلة لإثبات وفاء ديونه إذ جرت العادة في المصارف على القيد في دفاتها بأن الشيك قد أوفي لفلان من الناس .

حماية الشيك

لكي يستطيع الشيك تأدية وظيفته كأداة وفاء تقوم مقام النقود كان لا بد لنظام الأوراق التجارية من تأمين الحماية لحامله بحيث يطمئن إليه ويثق بأن حصوله عليه مقابل حقه عند الساحب أو المظهر يعادل الوفاء النقدي . وكلما زادت الثقة بالشيك ودبت الطمأنينة في نفوس المتعاملين به انتشر استعماله وعمت الفائدة المرجوة منه . ومن أجل إشاعة هذه الثقة فقد تضمن قانون الصرف^(٥) عدة قواعد تهدف بمجموعها إلى تدعيم حق حامل الشيك وإحاطته بعدد من الضمانات التي تؤكد الوفاء به . وأهم هذه القواعد :

١ - انتقال ملكية مقابل الوفاء . ٢ - جرعة إصدار شيك بدون رصيد . ٣ - استقلال التواريخ . ٤ - تطهير الدفع . ٥ - تضامن الموقعين . ٦ - حماية خاصة لبعض أنواع الشيكات .

١ - انتقال ملكية مقابل الوفاء

مقابل الوفاء^(٦) في الشيك هو دين نقدي مساو على الأقل لقيمة الشيك ، يكون للساحب عند المصرف المسحوب عليه بتاريخ السحب ، وقابل للتصرف بموجب شيك . وقد جرى العرف لدى المصارف على تسمية مقابل الوفاء في الشيك بعبارة «رصيد» .

قد يكون مصدر مقابل الوفاء نقوداً أودعها الساحب عند المسحوب عليه ، أو قرضاً منحه الساحب للمسحوب عليه ، أو ثمن بضائع باعها الأول للثاني أو أوكل إليه بيعها لحسابه .

وقد يمثل مقابل الوفاء أيضاً قيمة أوراق تجارية أوكل الساحب إلى المسحوب عليه مهمة قبضها لحسابه بتظهيرها إليه بتظهيراً توكيلياً . كما يمكن أن يكون مقابل الوفاء قيمة اعتماد فتحه المسحوب عليه لصالح الساحب وأجاز له سحب شيكات لقبضه .

إن وجود مقابل الوفاء ليس شرطاً لصحة الشيك . فلا يترتب على تخلف مقابل الوفاء حين إصدار الشيك بطلانه بل يقع هذا الإصدار صحيحاً . وفي هذا تقول المادة (٩٤) من نظام الأوراق التجارية السعودي : « لا يجوز إصدار الشيك ما لم يكن للساحب لدى المسحوب عليه وقت إنشاء الشيك نفوذ يستطيع التصرف فيها بموجب شيك طبقاً لاتفاق صريح أو ضمني . . . ولا يترتب على عدم وجود مقابل الوفاء أو عدم كفايته بطلان الشيك » .

هذا ويلعب مقابل الوفاء في الشيك دوراً بالغ الأهمية بالنسبة لمراكز أصحاب الشأن فيه :

● فالمصرف المسحوب عليه إذا أذعن للأمر الصادر إليه من الساحب وأوفى الحامل قيمة الشيك تكون قد انقضت علاقة السدائية والمديونية التي نشأت بين الساحب والمسحوب عليه .

● كما يترتب على تنازل الساحب إلى المستفيد عن مقابل الوفاء الذي له بئمة المسحوب عليه واستلام المستفيد لهذا المقابل (أي قبضه قيمة الشيك) ، انقضاء العلاقة الأصلية (القيمة الواصلة) التي نشأت بين الساحب والمستفيد والتي حرر الشيك لوفائها

● ثم يختلف مركز الحامل تجاه الساحب بحسب ما إذا كان الساحب قد قدم مقابل الوفاء إلى المسحوب عليه أم لم يقدمه . فإذا كان الساحب قد قدم مقابل الوفاء وظل هذا المقابل موجوداً عند المسحوب عليه حتى انقضاء ميعاد تقديم الشيك ، جاز له أن يدفع مطالبة الحامل المهمل الذي لم يقدم الشيك للوفاء أو لم ينظم الاحتجاج لعدم الوفاء ضمن المواعيد المحددة لذلك ، بسقوط حقه في الرجوع عليه . أما إذا كان الساحب لم يقدم مقابل الوفاء أو أنه قدمه ثم انتفى أو انتقص قبل انقضاء مهلة تقديم الشيك للوفاء ، فلا يقبل منه الاحتجاج بسقوط حق الحامل المهمل بالرجوع عليه (مادة ١١٥) .

لكن الدور الكبير الذي يلعبه مقابل الوفاء في الشيك هو أن النظام قد أقر حقاً خاصاً للمستفيد ومن ثم للحامل عليه . فقد نصت المادة (٣١) على ما يلي :

« تنتقل ملكية مقابل الوفاء بحكم النظام إلى حملة الكمبيالة المتعاقبين . وإذا كان مقابل الوفاء أقل من قيمة الكمبيالة كان للحامل على هذا المقابل الناقص جميع الحقوق المقررة له على المقابل الكامل » . ويسري حكم هذه المادة على الشيك بدلالة المادة (١١٧) من النظام .

يتضح من هذا النص أن مقابل الوفاء في الشيك لا يظل ملكاً للساحب ، بل إن ملكيته تنتقل إلى المستفيد والحملة المتعاقبين تبعاً لسحب الشيك وتظهيره . ومما لا شك فيه أن هذه الرعاية التي أسبغها النظام على حامل الشيك بتملكه مقابل وفائه تعتبر من أهم أوجه الحماية التي تقرر لحامل الشيك وبالتالي لسلامة تداوله وضمان تحقيق دوره كوسيلة للوفاء .

يلاحظ أن تعبير « ملكية مقابل الوفاء » الوارد في نظام التجارة السعودي وغيره من الأنظمة الأجنبية الأخرى ، هو تعبير غير دقيق من الناحية القانونية^(٧) لتجاهله طبيعة مقابل الوفاء . فالملكية حق عيني لا يرد إلا على عين مادية ، بينما مقابل الوفاء هو حق شخصي كما ذكرنا ، أو دين نقدي للساحب في ذمة المسحوب عليه .

هذا ويترتب على انتقال الحق في مقابل الوفاء إلى حملة الشيك المتعاقبين الآثار القانونية التالية :

١ - إذا أفلس الساحب بعد إصدار الشيك فإن مقابل الوفاء ينتقل سلباً بالحامل الذي اكتسب حقاً عليه قبل إفلاس من نقل إليه هذا الحق . وهذه حالة امتياز خص النظام بها الحامل إذ يتقدم فيها على غيره من دائني الساحب فيدراً بذلك قسمة العرفاء . وعلى ذلك لا يجوز لأمين مجلس التفليسة وأمناء الديانة استرداد مقابل الوفاء من المسحوب عليه إذا كان الشيك قد صدر عن الساحب قبل إعلان إفلاسه (المادتان ٣٤ و ١١٧) من النظام .

٢ - يتمتع على الساحب استرداد مقابل الوفاء من المسحوب عليه ، أو المعارضة في وفاء الشيك ويعبر عن هذا الحكم بأن الشيك لا يجوز الرجوع فيه^(٨) متى سلم إلى المستفيد .

٣ - لا يجوز لدائني الساحب توقيع حجز ما للمدين لدى الغير تحت يد المسحوب عليه . فطالما أن الحق في مقابل الوفاء قد انتقل من الساحب إلى المستفيد بمجرد إصدار الشيك ، فالحجز يقع عندئذ على مال خارج ذمة المدين ويكون بالتالي باطلاً .

٤ - إذا أصدر الساحب عدة شيكات ولم يكن مقابل الوفاء كافياً للوفاء بها جميعاً ، فإنه يجب الوفاء بها حسب تواريخ سحبها . وإذا كانت الشيكات المقدمة مفصلة من دفتر واحد وتحمل تاريخ إصدار واحد فضل وفاء الشيك الأسبق رقماً (المادة ١٠٦) .

٥ - قضت (المادة ١٠٠) من نظام الأوراق التجارية السعودي بأنه لا يجوز للمسحوب عليه أن يوقع على شيك بالقبول وكل قبول مكتوب يعتبر كأنه لم يكن . ومبرر هذا الحكم هو أن الشيك واجب الأداء فور تقديمه للمصرف المسحوب عليه . إلا أن المادة نفسها قد أجازت للمسحوب عليه أن يؤثر على الشيك باعتماده ، كأن يكتب مثلاً « يعتمد » ويوقع . وأوضحت أن هذه العبارة تفيد وجود مقابل الوفاء في تساريخ التأشير .

وفي رأينا أن التأشير على الشيك يحمل نبأ إصدار الشيك إلى المسحوب عليه ، وهذا يلزم الأخير بالاحتفاظ بالرصيد الذي يقابله أي بتجميده^(٩) ، لاستعماله في وفاء الحامل حينما يقدم الشيك إليه . وليس ذلك إلا لأن رصيد هذا الشيك (أي مقابل وفائه) قد انتقل بحكم النظام إلى حامل الشيك .

نشير بالنسبة إلى أنه يغلب استعمال الشيكات المعتمدة من قبل الأفراد والمؤسسات الذين يتعاملون مع الجهات الحكومية لتنفيذ بعض عقود التوريد أو الأشغال معها، أو لتسديد الرسوم المتوجبة للدولة.

٢ - جريمة سحب شيك بدون رصيد

نظراً لانتشار استعمال الشيك كاداة للسوفاء في الحياة المدنية والتجارية، ودعماً للثقة التامة لدى المتعاملين به، وإبعاداً للخوف من لجوء بعض الأفراد إلى التهرب من السوفاء بالتزاماتهم بإصدار شيكات لا رصيد لها، فقد حددت معظم أنظمة التجارة في العالم الساحب بإنزال العقاب الرادع بمقحمه إذا أصدر شيكاً دون أن يقابله رصيد كاف لتغطية قيمته. وقد أسبغت هذه الأنظمة على فعل الساحب الذي يصدر شيكاً دون رصيد وصف الجريمة وفرضت بشأنه عقوبة الحبس والغرامة. وبالنسبة لنظام الأوراق التجارية السعودي فقد نصت (المادة ١١٨) منه بهذا الشأن على ما يلي:

«كل من سحب بسوء نية شيكاً لا يكون له مقابل وفاء قائم وقابل للسحب، أو يكون له مقابل وفاء أقل من قيمة الشيك، وكل من استرد بسوء نية بعد إعطاء الشيك مقابل الوفاء أو بعضه بحيث أصبح الباقي لا يفي بقيمة الشيك، أو أمر وهو سيء النية المسحوب عليه بعدم دفع قيمته يعاقب بغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال والسجن مدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً ولا تزيد عن ستة أشهر أو بإحدى هاتين العقوبتين».

يتضح من هذا النص، أن لجريمة إصدار شيك بدون رصيد أركاناً ثلاثة:

أ - سحب الشيك.

ب - عدم وجود رصيد.

ج - القصد الجرمي.

أ - سحب الشيك: يقصد بسحب الشيك تحريكه وطرحه في التداول بتسليمه إلى المستفيد أو إرساله إليه. لهذا فإن من حرر شيكاً ولم يكن له رصيد لوفائه ثم احتفظ به أو أخرج من حيازته رغماً عنه كما في حالة السرقة، لا ينطبق^(١) على فعله وصف الجريمة ولا يعاقب بأحكام (١١٨) المذكورة أعلاه. كذلك لا يعاقب من ظهر شيكاً دون أن يكون له رصيد لأن نطاق الجريمة المنصوص عنها يقتصر على راقعة سحب شيك دون تظهيره^(٢).

نشير أيضاً إلى أن جريمة سحب شيك بدونه رصيد لا تتحقق إلا إذا كان الصك المسحوب تنطبق عليه أحكام الشيك الصحيح الذي يجب أن تتوافر فيه جميع البيانات الإلزامية الواردة في (المادة ٩١) من النظام بدءاً من ذكر كلمة شيك في متن هذا الصك وانتهاء بتوقيع الساحب عليه.

ب - عدم وجود مقابل وفاء (رصيد): إن المقصود بانتفاء مقابل الوفاء هو الحالات التي لا يستطيع الحامل فيها الحصول على قيمة الشيك من المسحوب عليه إذا كان ذلك يعود لأسباب تتعلق بالساحب. وبالرجوع إلى نص (المادة ١١٨) المشار إليه أعلاه نجد أن الحالات التي يتحقق فيها انتفاء المقابل هي ثلاث:

★ الحالة الأولى: عدم وجود مقابل وفاء وقت سحب الشيك أو عدم كفايته: يشترط لتطبيق أحكام العقوبة المنصوص عنها في (المادة ١١٨) أن يكون الشيك الذي سحبه الساحب بدون رصيد وقت سحب الشيك كما لو كان الساحب غير دائن بشيء للمسحوب عليه. ويترتب على ذلك أن الجريمة تتحقق ويتعرض الساحب للعقاب حتى ولو توافر المقابل أو الرصيد فيما بعد وقبل تقديم الشيك للمسحوب عليه الوفاء. ذلك أن العبرة في وجود الرصيد هو تاريخ سحب الشيك لا تاريخ عرضه اللاحق على المسحوب عليه للوفاء. لهذا فإن الحالات التي يقوم فيها بعض الساحبين بتأخير تاريخ الشيك، أي يذكرون تاريخاً له لاحقاً لسحبه لتوقيعهم إيجاد مقابل الوفاء لدى المسحوب عليه في التاريخ المذكور في الشيك، لا تؤثر بشيء على تحقق الجريمة وتعرضهم للعقاب، طالما يحق للمستفيد تقديم الشيك للمسحوب عليه للوفاء فور استلامه له لكونه قابلاً للوفاء لدى الاطلاع كما نعلم.

هذا ويقصد أيضاً بعدم وجود مقابل وفاء ليس فقط حالة انعدام وجود الرصيد كلية بل الحالة التي يوجد فيها رصيد أيضاً لكنه غير قابل للسحب، كأن يكون الرصيد محجوزاً عليه أو كان الساحب تاجراً قد شهر إفلاسه.

وتتحقق كذلك جريمة إصدار شيك بدون رصيد ولا يعفى الساحب من المسؤولية الجنائية إذا كان مبلغ الرصيد غير كاف للوفاء بقيمة الشيك.

★ الحالة الثانية: استرداد مقابل الوفاء أو بعضه: لا يكفي أن يكون للساحب لدى المسحوب عليه وقت سحب الشيك رصيداً، بل يجب أن يظل هذا الرصيد قائماً إلى أن يتم الوفاء للحامل. لهذا يمتنع على الساحب بعد سحب الشيك أن يعتمد إلى استرداد مقابل وفائه كله أو بعضه.

★ الحالة الثالثة: إصدار أمر من الساحب إلى المسحوب عليه بعدم الدفع: إن الأهمية التي يعولها الحامل على وجود مقابل وفاء كاف لتغطية قيمة الشيك تستند إلى أمله في الحصول على حقه بالوفاء حين تقديم الشيك للمسحوب عليه. لذلك فإن هذه الأهمية تنتفي فيما إذا تعطل حق الحامل على هذا المقابل بسبب يرجع إلى الساحب كما لو أصدر أمراً للمسحوب عليه بمنعه فيه من وفاء الشيك إلى الحامل. وعلى هذا إذا امتنع المصرف المسحوب عليه عن دفع قيمة الشيك نتيجة أمر الساحب فإنه يترتب على ذلك انتفاء المقابل وتحقق الجريمة. ولا عبرة

للأسباب التي دفعت الساحب إلى إصدار مثل هذا الأمر حتى ولو كانت مشروعة ، لأنها من قبيل البواعث التي لا تأثير لها في قيام المسؤولية الجنائية^(١٢) .

ج - **القصد الجنائي** : يشترط أخيراً لقيام جريمة سحب شيك بدون رصيد توافر القصد الجرمي لدى الساحب . وإلى ذلك أشارت (المادة ١١٨) من النظام حين قالت : «كل من سحب بسوء نية ... أو كل من استرد بسوء نية ... أو أمر وهو سيء النية المسحوب عليه بعدم دفع قيمة الشيك ...» . وقد ثار الخلاف حول ما يقصده النص بسوء النية في هذا الشأن . فهل يقتضي سوء النية أن يتوفر لدى الساحب نية الإضرار بالحامل أم يكفي مجرد علم الساحب وقت سحب الشيك بعدم وجود مقابل الوفاء أو عدم كفايته ، أو علمه عند استرداده المقابل بأن الشيك لم يدفع بعد ، أو علمه أيضاً عند إصدار الأمر للمسحوب عليه بمنع الدفع بأنه يترتب على ذلك عدم دفع قيمة الشيك . ففي حين استقر الفقه والقضاء الأجيبان على تبني المفهوم الثاني ، أي أن المقصود بعبارة سوء النية هو أن يتوافر مجرد علم الساحب بعدم وجود الرصيد أو كفايته ... لكي يقوم الركن الثالث (القصد الجرمي) لجريمة سحب شيك بدون رصيد . فإن نظام الأوراق التجارية السعودي قد اعتمد المفهوم الأول حين رأى أنه لا يتوافر عنصر سوء النية بمجرد علم الساحب بعدم وجود مقابل الوفاء أو بعدم كفايته ، أو علمه عند استرداده مقابل الوفاء بأن الشيك لم يدفع بعد ، أو علمه بمذلول الأمر الصادر منه بعدم الدفع ، بل يلزم أن يقصد الساحب في هذه الأحوال الثلاثة إلى الإضرار بحقوق الحامل . على أنه يفترض في الساحب سوء النية متى ثبتت واقعة من الوقائع الثلاث التي عدها (المادة ١١٨) ، ويبقى عليه هو أن يدفع عن نفسه سوء النية بالتدليل على أنه لم يقصد الإضرار بحقوق الحامل . هذا ولا ينتفي سوء نية الساحب وبالتالي لا يقلل من وقوع الجريمة كون المستفيد على بينة وقت سحب الشيك بعدم وجود مقابل وفاء له ، إذ لم يقصد النظام حماية المستفيد بذاته وإنما تعزيز الثقة بالشيك وتمكينه من أداء رسالته كأداة وفاء . إضافة إلى ذلك ، فقد عاقبت الفقرة الثانية من (المادة ١١٨) المستفيد ، في حال تسلمه الشيك مع علمه بدون وجود مقابل وفاء له ، بنفس العقوبات التي تطبق بحق الساحب ، أي بالغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال وبالسجن مدة لا تقل عن (١٥) يوماً ولا تزيد عن (٦) أشهر ، أو بإحدى هاتين العقوبتين مع مراعاة ما قد تنص عليه أحكام الشريعة الإسلامية .

٣ - استقلال التوقييع

نصت (المادة ٩) من نظام الأوراق التجارية السعودي على أنه : «إذا حملت الكبيالة توقيعات أشخاص ليست لهم أهلية الالتزام

بها ، أو توقيعات مزورة ، أو توقيعات لأشخاص وهميين ، أو توقيعات لا تلزم لأي سبب آخر الأشخاص الذين وقعوا الكبيالة ، أو الذين وقعت بأسمائهم ، فإن التزامات غيرهم من الموقعين عليها تظل مع ذلك صحيحة » كما قضت (المادة ١١٧) من هذا النظام بريان أحكام هذا النص على الشيك .

يقصد بمبدأ استقلال التوقيعات أن كل من وقع على الشيك سواء كان الساحب أو المظهر أو الضامن يعتبر توقيعه مستقلاً عن التوقيعات الأخرى . بتعبير آخر ليس للالتزام الصرفي لكل موقع علاقة بالالتزام الصرفي لموقع آخر . فإذا تضمن الشيك بطلان التزام الساحب لعدم مشروعية السبب (وفاء دين قار للمستفيد مثلاً) فإن أثر هذا البطلان يقتصر على علاقة الساحب بالمستفيد ولا يتسرب إلى الالتزامات الأخرى الناشئة عن التوقيع على الشيك ، لأن لكل منها كياناً قائماً بذاته . وبناء على ذلك إذا قام المستفيد بتظهير الشيك إلى شخص آخر فإن التزام المستفيد يكون صحيحاً بالنسبة إلى المظهر إليه الجديد .

من الواضح أن هذا المبدأ يعتبر خروجاً على القواعد العامة التي تقضي بالبطلان المطلق لإصدار الشيك لعدم مشروعية سببه . لكن هذا الخروج تبرره حماية النظام التجاري لحامل الشيك وتشجيعاً له على التعامل به دون التخوف من بطلان التوقيعات الموجودة عليه . ويتفرع عن قاعدة استقلال التوقيعات قاعدة صرفية هامة أخرى هي قاعدة تطهير الدفع .

٤ - تطهير الدفع

تعتبر قاعدة تطهير الدفع من أهم القواعد التي تضمنها قانون الصرف ، ومن أهم آثار تطهير الأوراق التجارية . ويقصد بتطهير الدفع أنه لا يجوز للمدين في الشيك سواء أكان المسحوب عليه أو الساحب أو أحد المظهرين أن يمتنع عن الوفاء للحامل حسن النية مستنداً إلى الدفع التي كان بإمكانه أن يتمسك بها قبل أحد الموقعين السابقين . بعبارة أخرى أن **تظهير الشيك ينقل الحق الثابت به من المظهر إلى المظهر له خالياً مطهراً من جميع الدفع** . ولذا يقال إن «**التظهير يطهر الدفع**» . والمقصود بالدفع في هذا المجال هو أوجه الرد التي يلجأ إليها المدين للتوصل من التزاماته كادعائه بطلان التزامه لعدم مشروعية السبب .

لقد تبني نظام الأوراق التجارية السعودي قاعدة تطهير الدفع في (المادة ١٧) منه التي تنص على ما يلي : «ليس لمن أقيمت عليه دعوى الكبيالة أن يحتج على حاملها بالدفع المبينة على علاقته الشخصية بساحبها أو بحاملها السابقين ما لم يكن قصد الحامل وقت حصوله على الكبيالة الإضرار بالمدين» . ويسري حكم هذه المادة على الشيك بدلالة (المادة ١١٧) من نظام الأوراق التجارية نفسه . وبناء على ذلك إذا افترضنا أن المصرف قد امتنع عن الوفاء لعدم

٥ - تضامن الموقعين

تشكل قاعدة تضامن الموقعين ، ويطلق عليها بالتضامن الصرفي ، حماية أخرى هامة لحامل الشيك أراد النظام إضافتها إلى سبلح الضمانات السابقة التي أحاطه بها . وجاء ذكر هذه القاعدة في (المادة ٥٨) من نظام الأوراق التجارية ، المطبقة على الشيك بدلالة (المادة ١١٧) من نفس النظام ، وهي تقضي بأن صاحب الشيك ومظهره وضامنه الاحتياطي مسؤولون جميعاً بالتضامن نحو حامله . وللحامل مطالبته منفرداً أو مجتمعين دون مراعاة أي ترتيب . وبشبه هذا الحق لكل موقع على الشيك وفي قيمته تجاه المسؤول نحوه . والدعوى المقامة على أحد الملتزمين به لا تحول دون مطالبة الباقي ولو كان التزامهم لاحقاً لمن وجهت إليه الدعوى ابتداء .

يتضح من هذا النص أن الحامل الذي لم يتمكن من استيفاء قيمة الشيك من المصرف المسحوب عليه باستطاعته الرجوع على أي من الموقعين السابقين على انفراد بكامل مبلغ الشيك إذا اعتقد أنه موسر وأقدر من غيره على الوفاء ، أو إن يجمعهم كلهم في مطالبة واحدة ليتدبروا وفاء قيمة الشيك فيما بينهم . كما له الرجوع على أي موقع سابق أو لاحق للموقع الذي بدأ برفع الدعوى عليه لمطالبته بقيمة الشيك .

وقد أجاز النص أيضاً لأي موقع على الشيك قام بوفائه بأن يرجع على سائر الموقعين الآخرين وبكامل قيمة الشيك الذي أوفاه . وبإلاظ هنا أن هذه القاعدة تتعارض مع أحكام القواعد العامة في التضامن التي تقضي بانقسام الدين بين المتضامنين ، أي أنه ليس للمدين المتضامن الذي أوفى كامل قيمة الدين الرجوع على المدينين الآخرين إلا بمقدار حصته فقط من الدين الموفى .

لكن لكي يتمكن حامل الشيك من الاستفادة من أحكام قاعدة التضامن الصرفي والرجوع على الملتزمين بالشيك ، أوجب عليه (المادة ١٠٨) من النظام تقديم الشيك أولاً للمسحوب عليه ضمن الميعاد النظامي وتبني امتناعه عن الوفاء باحتجاج رسمي لدى الكاتب بالعدل . هذا ومن المفروض أن تقدم الشيكات المسحوبة في المملكة والمستحقة الوفاء فيها خلال مدة شهر من تاريخ إصدارها ، أما المسحوبة خارج المملكة والمستحقة الوفاء فيها فخلال مدة ثلاثة أشهر (المادة ١٠٣) .

مع ذلك للمسحوب عليه أن يوفي قيمة الشيك ولو بعد انقضاء ميعاد تقديمه طالما يتوفر لساحبه رصيد بذمته (المادة ١٠٥ من النظام) .

٦ - حماية خاصة لبعض أنواع الشيكات

أ - الشيك المسطر : الشيك المسطر هو شيك عمر وفق شكل

وجود رصيد لساحب الشيك عنده فإنه يحق للحامل ، كما سترى بعد قليل ، الرجوع على الموقعين السابقين من صاحب ومظهرين وضامين للمطالبة بقيمة الشيك . فإذا كان الشيك قد ظهر عدة مرات لكن الحامل رجع على الساحب دون غيره وطالبه بالوفاء ، وكان التزام الساحب قبل المستفيد الأول باطلاً لعدم مشروعية السبب (وفاء صفقة مخدرات) ، فإن الساحب لا يستطيع التمسك في مواجهة الحامل ببطلان التزامه الأصلي ، ويجبر على الوفاء ، طالما كان الأخير حسن النية ويجهل ما يشوب العلاقة التي كانت تربط الساحب بالمستفيد . وهكذا نرى أن الساحب قد نقل إلى الآخرين ، نتيجة سحب الشيك ومن ثم تظهيره ، حقاً ما كان بإمكانه هو بلذات مطالبة المستفيد فيه لعدم شرعيته .

من هنا تعتبر قاعدة تظهير الدفع خروجاً على القواعد العامة التي تقضي بأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وأنه لا يجوز لشخص أن ينقل إلى غيره من الحقوق أكثر مما يملك . فالخيل في حوالة الحق المدنية لا ينقل للمحال له إلا ذات الحق الذي كان له قبل المحال عليه بكل ما يلحق به من مزايا وعيوب . لذا فللمحال عليه أن يتمسك في مواجهة المحال له بكافة الدفع التي كان يستطيع التمسك بها في مواجهة الخيل وقت نفاذ الحوالة في حقه . لكن يلاحظ أنه رغم سلامة القواعد العامة من الناحية القانونية ، فإن تطبيقها على الأوراق التجارية أمر لا تبرره ضرورات الحياة التجارية والاقتصادية . فلو جاز للمدين في الشيك أن يتمسك في مواجهة حامله بالدفع التي كان يستطيع التمسك بها تجاه حامل سابق لما أقدم أحد على التعامل بالشيك قبل أن يجري تحريات عن الظروف التي التزم من خلالها كل موقع ليتأكد من خلو هذا الشيك من العيوب التي قد تنخر فيه . وهذا ما قد يفضي إلى إحجام الناس عن التعامل بالأوراق التجارية ومنها الشيك وشلبها بالتالي عن أداء وظيفتها كأداة للوفاء بالديون تقوم مقام الدفع النقدي . لهذه الأسباب خالف النظام التجاري القواعد العامة وأحاط حامل الورقة التجارية برعايته حين أقر قاعدة تظهير الدفع .

لكن لكي تشمل هذه الرعاية والحماية حامل الشيك والمستفيد من التمسك بقاعدة تظهير الدفع أوجب النظام أن لا يكون شيء النية . ولا يكفي مجرد علم حامل الشيك في مثلنا السابق بأن العلاقة التي تربط الساحب بالمستفيد هي باطلة للدلالة على سوء نيته ، إنما يجب أن يتوافر لديه قصد الإضرار بالمدين الساحب عن طريق حرمانه من التمسك بالدفع التي كانت له تجاه المستفيد . والعبرة بوجود سوء نية الحامل هو

في وقت إجراء تظهير الشيك . فإذا كان جاهلاً بوجود العيب في هذا الوقت اعتبر حسن النية ولو علم به بعد ذلك . ووفقاً للقواعد العامة يعتبر حامل الشيك حسن النية إلى أن يثبت صاحب المصلحة الدليل على عكس ذلك .

الشيك العادي ، لكنه يتميز بوجود خطين متوازيين - عادة مائلين - على صدر الشيك موضوعين بخط اليد أو بواسطة ختم . ويترب على هذا التسطير وجوب امتناع المصرف المسحوب عليه عن الوفاء بقيمة الشيك إلا إلى أحد عملائه أو إلى بنك (مادة ١١٢ من النظام) ، وإلا تعرض لمسؤولية التعويض عن الضرر الحاصل بما لا يتجاوز قيمة الشيك (مادة ١١٤) .

إن الحكمة من التسطير هي تفادي خطر تزوير الشيك أو ضياعه أو سرقة ، إذ لا يستطيع المزور أو الواجد أو السارق أن يقبض قيمة الشيك إلا إذا كان عميلاً للمصرف المسحوب عليه أو ظهر الشيك إلى مصرف آخر . ففي الحالة الأولى قد يصعب على المزور أو الواجد أو السارق أن يتقدم إلى مصرفه الذي يتعامل معه لتحصيل قيمة الشيك خوفاً من انكشاف الأمر مستقبلاً واختلال ثقة المصرف به . وفي الحالة الثانية لا تقبل المصارف عادة خصم الشيكات المسطرة التي تقدم إليها إلا بعد التحقق جيداً من شخصية الحامل ومن كيفية حصوله عليه . يجوز تسطير الشيك من الساحب ومن الحامل (مادة ١١١) وسواء أكان الشيك صادراً للأمر أم للحامل أم كان الشيك اسماً .

والتسطير على نوعين : تسطير عام وتسطير خاص . فالتسطير العام هو الذي يترك فيه الفراغ بين الخطين المتوازيين على بياض دون كتابة أية كلمة ، أو إذا كتب لفظ (مصرف) من غير تعيين اسم مصرف بالذات ، وفي هذه الحالة يجوز للمصرف المسحوب عليه وفاء قيمة الشيك إلى أحد عملائه أو لأي مصرف يتقدم به ؟ أما التسطير الخاص فهو الذي يذكر فيه اسم مصرف معين فيما بين الخطين ، وعندئذ يمتنع على المصرف المسحوب عليه وفاء قيمة الشيك إلا إلى هذا المصرف بالذات وإلا تعرض للمسؤولية بالتعويض عن الضرر بما لا يتجاوز قيمة الشيك (مادة ١١٤ من النظام) . هذا ويجوز تحويل التسطير العام إلى تسطير خاص بذكر اسم مصرف معين بين الخطين ، أما التسطير الخاص فلا يتحول إلى تسطير عام .

وقد حظر النظام شطب التسطير العام أو التسطير الخاص بقصد تحويل الشيك المسطر إلى شيك عادي ، وإذا حصل الشطب فلا يعتد به ، إذ متى وضع التسطير على شيك وجب أن تظل له هذه الصفة حتى توفي قيمته (مادة ١١١ من النظام) .

ب- الشيك المقيّد في الحساب : هو عبارة عن شيك عادي يضيف إليه الساحب أو الحامل عبارة تفيد عدم جواز الوفاء بقيمته نقداً بل عن طريق القيود الكتابية ، كأن يكتب على صدر الشيك عبارة «للقيد في الحساب» أو أية عبارة أخرى تفيد نفس المعنى (مادة ١١٣) . وفي هذه الحالة لا يكون للمسحوب عليه تسوية قيمة الشيك إلا بطريق قيود كتابية كالتفيد في الحساب أو النقل المصرفي أو المقاصة ، وتقوم هذه القيود مقام النقود - لا يجوز شطب بيان «للقيد في الحساب» وإذا

حصل هذا الشطب فلا يعتد به . ثم إذا أوفى المصرف المسحوب عليه قيمة الشيك نقداً على الرغم من وجود عبارة «للقيد في الحساب» كان مسؤولاً عن تعويض الضرر الحاصل بما لا يتجاوز مبلغ الشيك (مادة ١١٤) .

إن الغرض من وفاء هذه الشيكات عن طريق قيدها في سجلات المصارف هو الاستغناء عن استعمال النقود والتقليل من مخاطر ضياع الشيكات أو سرقتها أو تزويرها ، لكن يفترض في هذه الحالة وجود حسابات لدى المصارف للمتعاملين بهذه الشيكات .

الهوامش

- (١) يطلق على الأوراق التجارية في التشريعين السوري واللبناني «الاسناد التجارية» .
- (٢) الكيبالة كلمة مأخوذة عن الإيطالية Cambiale ويطلق عليها «سنتجة» في بعض تشريعات البلدان العربية كسورية ولبنان والعراق .
- (٣) يطلق على السند لأمر في التشريع المصري «السند الإذني» .
- (٤) يقال إن كلمة شيك تعود في أصلها إلى الكلمة العربية «صك» وهو الرقاع الذي كان يحصل عليه العميل من الصراف لقاء إيداعه أمواله لديه . انظر في ذلك : د. هشام فرعون : الحقوق التجارية البرية ، دمشق ١٩٧٣ م ، ص ٤٥٦ ؛ د. محمود محمد بابلي : الأوراق التجارية في المملكة العربية السعودية ١٣٩٧ هـ ، ص ٢٦٢ .
- (٥) يقصد بقانون الصرف مجموع القواعد التي تضمنها نظام التجارة وتحكم الأوراق التجارية . وترجع التسمية «الصرف» إلى أن نشأة الكيبالة ، إحدى الأوراق التجارية ، قد ارتبطت تاريخياً بتنفيذ عقد الصرف المسحوب الذي يقوم على مبادلة النقود بين مكانين مختلفين .
- (٦) يطلق على مقابل الوفاء في التشريع اللبناني «المؤتة» .
- (٧) انظر : د. جاك الحكيم : الاسناد التجارية ، دمشق ، ١٩٧٣ م ، ص ١٢٣ ؛ د. علي البارودي : الأوراق التجارية ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٩٤ .
- (٨) د. مصطفى كمال طه : الموجز في القانون التجاري ، القاهرة ١٩٧٣ م ، ص ٢٠٩ .
- (٩) د. محسن شفيق : القانون التجاري الكويتي ، ١٩٧٢ م ، ص ٣٤٤ ؛ بعكس ذلك رأي الدكتور هشام فرعون ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .
- (١٠) د. سميحة القليوبي : الموجز في القانون التجاري ، القاهرة ١٩٧٨ م ، ص ٢٠٢ .
- (١١) د. مصطفى كمال طه : نفس المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- (١٢) د. مصطفى كمال طه : نفس المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
- (١٣) نقض جنائي مصري ١٩٥١/١/١٥ ؛ محكمة الكويت الكلية ١٩٧٠/١٢/٣٠ ، أشير إلى القرار الأخير من قبل الدكتور محمد حسني عباس في مؤلفه : الأوراق التجارية في التشريع الكويتي ، ص ٢٦٩ ؛ انظر أيضاً الدكتور علي حسن يونس : الأوراق التجارية ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ١٩٣ .
- (١٤) انظر في ذلك المذكرة التفسيرية لهذا النظام ص ٦٢ ، والدكتور محمود بابلي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٨ .

يرجع كثير من علماء النفس الغربيين الأمراض النفسية إلى أسباب ومسببات وعلل ومعلولات وظروف بيئية ونواحي وراثية ، ويفترضون لذلك الفروض ويفرقون في التخمينات ويجمعون إرهابات لا تستند إلى دليل عقلي ، ولا برهان علمي ، لذلك فإن كثيراً من تفسيرات الشخصية ، وتعليلات السلوك تحتاج إلى تفسير .. فهي غامضة أشد الغموض .



أسباب المرض النفسي

فالإنسان متى اكتمل رشد ، وبلغ من العمر ما يؤهله أن يعرف الحق من الباطل ويميز بين الصحيح والفساد ، عليه أن يتجنب الشر ويقبل على الخير بما أودع فيه من موهبة العقل فلا يطيع هواه ولا سقط في براثن الشرك والضلال .

كما أننا لا نتفق مع علماء النفس الغربيين الذين يزعمون أن عقدي «أوديب» و «الكتر» إذا لم يتسام بها الشخص أو إذا لم يتخذ لنفسه طرقاً تحويلية في مقابلها ، عجز عن التكيف وأصيب بالنكوص وظهرت عليه الأعراض المرضية .

فليست العلاقة بين الأم ولولدها علاقة جنسية كما يزعم فرويد ، كما أنه ليست العلاقة بين الأب وابنته من هذا النوع ، فكيف تدنس أظهر علاقة في الوجود ، وأعظم حب لا مصلحة فيه ولا منفعة ، ليصبح علاقة حيوانية تهبط بالإنسان إلى أسفل سافلين وقد خلقه تعالى في أحسن تقويم .

هناك أسباب أخرى أعمق وأصدق للمرض النفسي ولن نفترضها أو نخمنها كما يفعل علماء النفس الغربيون ، لكننا سرجع إلى القرآن الكريم ، في آياته البينات خير مرشد ومعين ...

يقول تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٠٨) .

فالغفلة هي نسيان الحق ، وتجاهل الفطر السليمة ، وظلم للنفس ، وإتباع للهوى ، وموافقة للغواية الشيطانية :

﴿ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية ٩٧) .

إذن ترتبط الغفلة بظلم النفس وهو الذي يقود إلى الشرك : ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (سورة لقمان ، الآية ١٣) .

فالغفلة تقود إلى الظلم ، والظلم للنفس يقود إلى الشرك ، ومتى وصل

ومن تلكم الأسباب التي يفترضون أنها تلعب دوراً في (نشوء المرض النفسي ، وظهور السلوك الشاذ ، والتصرفات غير السوية ، والشعور بالنقص والاضطهاد والضعف وجنون العظمة و « المازوخية » والسواس والهلوسة والهواجس والاكنتاب النفسي واليأس والقنوط إلى غير ذلك من الاشكال المرضية النفسية) .. من تلكم الأسباب التي يفترضون أنها تلعب دوراً في نشوء المرض النفسي ، عدم التكيف وعدم التوافق وضغوط البيئة وعقدنا «أوديب» و «الكتر» .

ويركز علماء النفس الغربيون أيضاً على فترة الطفولة المبكرة باعتبارها الفترة التي تتكون فيها الشخصية ، وأما فترة المراهقة والشباب فهي بمثابة طلاء لها ، فالتدليل الزائد للطفل يسبب فيها بعد شخصية متسببة رعناء ، كما أن التذبذب في معاملة الطفل يجعله غير قادر على التعرف على السلوك الواجب الاتباع ، ومن ثم إخفاقه في التمسك بالقيم والمفاهيم .. فتتكون لهذا الطفل فيما بعد شخصية مترددة متشككة في كل شيء ، كما أن القسوة في معاملة الطفل تجعله شخصاً مكتئباً قاسي القلب .

وربما تكون هذه الأسباب عوامل مساعدة للمرض النفسي .. لكنها في واقع الأمر ليست الأسباب الحقيقية للمرض النفسي ، فكم من أطفال نشأوا وترعرعوا في ظروف فاسية أو بيئات فاسدة لكنهم اتخذوا لأنفسهم خطأ مستقيماً وسلوكوا سلوكاً سليماً ، ورفضوا تقليد ذويهم في النواقص أو ارتكاب المعاصي ، والآيات القرآنية الكريمة شاهدة على صدق ما نقول . فهذا إبراهيم عليه السلام كان والده كافراً يصنع الأصنام ، فحطم إبراهيم عندما شب عن الطوق الأصنام ، وهذا ابن نوح نشأ في بيت النبوة لكنه اتبع هواه وظلم نفسه وكفر برب العالمين ،

والأمثلة كثيرة ومتعددة تظهر أن كل إنسان مسؤول عن عمله وإلا كان يلزم أن يكون ابن الفاسق فاسقاً ، وابن التقي تقياً ، وفي هذا بقول عز من قائل : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ١٣) .

في النظرة الإسلامية

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ (سورة المجادلة ، الآية ١٩) .

وإذا ما استحوذ الشيطان على النفس فسدت ومرضت ، وأصبحت نفساً أخرى غير نفس صاحبها ، لأنها تقع في الأفكار الخاطئة والدعاوى المغرضة ، فضلاً عن الهواجس والوساوس والخوف والاكتئاب :

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ (سورة الحشر ، الآية ١٩) .

وكما ترتبط الغفلة بالنسيان والنسيان بالنفاق ، كان النفاق يرتبط بالكذب :

﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (سورة المنافقون ، الآية ١) .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«ما زال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»

وبالجمله فإن أسباب المرض النفسي من وجهة النظر الإسلامية يمكن إيرادها في النقاط الآتية :

- ١ - الكذب ٢ - النفاق والرياء ٣ - النسيان
- ٤ - الغفلة ٥ - ظلم النفس ٦ - الشرك .

وأما الظروف البيئية والاجتماعية والعوامل الوراثية والضغوط النفسية إلى آخر ذلك من العوامل ، فهي يمكن أن تلعب دوراً إيجابياً أو سلبياً .. بمعنى أنها ربما تقود إلى الصحة النفسية وذلك باستخدام النفس معاملة كظم الغيظ أو الصبر ، أو ترتفع النفس إلى العفو والتسامح ثم إلى الإحسان .

كما أن النفس الغافلة الكاذبة الناسية لأمر الله تنقاد إلى الأهواء وتظل نفسها فتقع في اليأس والقنوط وتنهشها الوسواس وتكدرها الهواجس .. وتنزل بها الخوف والقلق الشديد .

الإنسان إلى هذا الحال عطب نفسه وفسدت موازينه ، ووقع فريسة للريبة والشك والرجفة والوسوسة واليأس والقنوط ، وربما تظاهر تجبراً واغتراراً بالقدرة أو العبقرية فيقع في أمراض نفسية أكثر فتكاً به مثل جنون العظمة أو «الرجسية» أو ما يسمونه «عبادة الذات» ، وكثيراً ما يصل هؤلاء إلى الفشل الذريع أو الاخفاق فيلجأون إلى الانتحار وهذا أظلم نهاية لحياتهم .

وكما ترتبط الغفلة بظلم النفس ، فإنها ترتبط من ناحية أخرى بالنسيان ، وذلك النسيان هو الذي يقود بدوره إلى الغفلة ، والنسيان بهذا المعنى أول مراتب الغفلة ، لأنه ثمرة ضعف الإرادة ، وقلة العزيمة :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ (سورة طه ، الآية ١١٥) .

لكن استمرار النسيان ، كالتكاسل عن أداء الحقوق ، والخمول في القيام بالتكاليف يؤدي في نهاية الأمر إلى الغفلة والظلم للنفس ، لأنه أصبح رياء ونفاقاً ، فيستظهر الإنسان الطاعات ويخفي في قلبه حب المعصية والمخالفات :

﴿ نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٦٧) .

إن المنافق مريض نفسي ، فهو المرآة المظلمة للقلب ، الكاذب الذي يكذب على نفسه أولاً ثم يكذب على الآخرين ثانياً :

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٥٧) .

لذلك لكي تحقق الصحة النفسية للإنسان يجب عليه أن يذكر الله تعالى كلما نسي :

﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٢٤) .

ذلك أن الشيطان في حال النسيان يستولي على النفس فيهول إليها الأمر ، ويلهبها عن الحق ، ويحسن لها القبيح ويقبح لها الحسن ، ويكدرها ويوسوس لها حتى تظلم ، وعند ذلك يتركها في الشرك العظيم :



البترول في العالم

يشغل العالم الإسلامي مساحة هائلة من مساحة العالم تبلغ حوالي (١٢) مليون ميل مربع ، وهو بذلك يكون مكافئاً لقارة كبرى تبلغ مساحتها ما يزيد عن مساحة القارة الإفريقية ، كما أنها تكون أكبر من مساحة قارتي أوروبا وأمريكا الجنوبية معاً ، وأقل من مساحة آسيا التي تبلغ (١٥,٥) مليون ميل مربع .

المضيق يعم الاتصال بين المحيط الهادي والمحيط الهندي ، كما يوجد مضيق باب المندب في أراض إسلامية أيضاً حيث يتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر الذي يعد هو الآخر بحيرة إسلامية خالصة ، ولعل من نافلة القول أن نذكر أن مدخلي المحيط الهندي بالناحية الشرقية والغربية هما المتحركان في خطوط التجارة والملاحة بين دول العالم شرقاً وغرباً .

وتتزايد أهمية العالم الإسلامي باحتوائه على أغلب حقول البترول الموجودة بالعالم ، التي تتركز في منطقة الخليج العربي ، وحول البحر الأسود الذي يقع في وسط الجمهوريات الإسلامية الموجودة بالاتحاد السوفيتي ، وفي منطقة السواحل الغربية لقارة إفريقيا .

وقبل أن نتناول بالتفصيل أهمية العالم الإسلامي من حيث تواجد البترول والغاز الطبيعي فيه لا بد من الإشارة أولاً إلى ماهية البترول .

ماهية البترول

إن هناك العديد من النظريات التي تناولت بالتفسير كيف نشأ البترول والغاز الطبيعي بيد أنه إلى الآن ما زال عسيراً أن نحدد منشأ البترول بالضبط ، وذلك لعدم القدرة على تشخيص المكان أو المواد التي نشأت منها تجمعات بترولية معينة .

وتمتد العالم الإسلامي من نهاية العالم القديم في إفريقيا ، ابتداء من شواطئ المحيط الأطلنطي غرباً ، حتى الباكستان وإقليم سينكيانج بالصين شرقاً ، في كتلة واحدة متصلة البنيان تنحصر بين خطي الطول : ١٨ غرباً و ٩٠ شرقاً ، وبين خطي العرض : ٥٧ درجة شمالاً إلى خط الاستواء ، وذلك بالإضافة إلى الدول الإسلامية الواقعة في جنوب شرقي آسيا (إندونيسيا واتحاد ماليزيا) ، والبنانيا الدولة الإسلامية الواقعة في قارة أوروبا ، وتبلغ مساحتها (١١٠٠٠) ميل مربع .

ويتحكم العالم الإسلامي في العالم القديم والجديد معاً ، حيث تمر من خلال بحاره خطوط الملاحة والتجارة العالمية ، مما يكسب أهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة على موقع العالم الإسلامي ، وإذا كانت السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط تقع في بلاد إسلامية ، فإن مدخلي هذا البحر يقعان أيضاً في أراض إسلامية ، إذ إن قناة السويس التي تتحكم في طرق التجارة بين الشرق والغرب تقع في جمهورية مصر الإسلامية ، وتعتبر القناة مدخلاً شرقياً للبحر المتوسط ، كما أن مضيق جبل طارق يقع أيضاً في الأراضي الإسلامية ، ويعتبر المدخل الغربي للبحر المتوسط ، وقديماً عندما كان العرب في الأندلس ، كان مضيق جبل طارق يعد كله واقعاً في المياه الإقليمية الإسلامية العربية ، كذلك فإن المحيط الهندي أيضاً مدخله يقعان في أراض إسلامية حيث يوجد مضيق ملقا في الشرق بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة إحدى جزر إندونيسيا ، ومن خلال هذا

نعرفها اليوم .

وعلى مدى ملايين السنين كانت الأنهار تنساب إلى البحار عملة بكميات هائلة من الطين والطفلة والرمال ، لتنتشر وتتوزع بفعل التيارات البحرية ، وفعل المد والجزر على طول قاع البحر قريباً من الشواطئ التي كانت تتغير خطوطها تدريجياً ، وبمرور الآلاف من السنين تراكمت الطبقات على قاع البحر طبقة تعلو طبقة تعلو أخرى ، ونتيجة للثقل المتزايد لهذه الطبقات والضغط الناتج عن هذا الثقل ، بالإضافة إلى الحرارة الناشئة من جراء الضغط ، فقد تحللت المواد الهيدروكربونية بمرور الزمن لتعطي الزيت والغاز ، وساعد على ذلك بعض أنواع البكتيريا والمواد المشعة .

أماكن تواجد البترول

إذا سلمنا بالنظرية العضوية لمنشأ البترول ، فإنه من الجلي أن البحث عن البترول يجب أن ينحصر في المناطق التي تتواجد فيها تراكيمات طبقيية من الصخور الرسوبية ، وذلك لأنها الصخور التي دفنت فيها المواد الحيوانية والنباتية والبقايا البحرية التي تعتبر مصدراً للبترول . إن الأبحاث النظرية التي تمت في مناطق مختلفة في جميع أنحاء العالم ، ومن خلال بيوت الخبرة العملية في أعمال البحث والتنقيب عن البترول والغاز ، تبين أن تكون البترول والغاز في القشرة الأرضية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصخور الرسوبية التي اكتشف فيها أكثر من ٩٩,٩ ٪ من تراكيمات



بقتلهم : مهندس كيميائي / محمد عبد القادر المنصفي

ولقد ظهرت نظريتان علميتان لتفسير منشأ البترول ، وهما النظرية غير العضوية ، والنظرية العضوية ، فأما النظرية غير العضوية فإنها تفترض أنه قد تم اتحاد بين عنصري الهيدروجين والكربون تحت ضغط وحرارة عاليين في أعماق الأرض مما أدى إلى تكون الهيدروكربونات المكونة لزيت البترول والغاز الطبيعي اللذين وجدا طريقهما خلال الصخور المسامية لينجما في المصائد الطبيعية في التكوينات الأرضية تحت سطح الأرض .

ولقد كان العالم الروسي الشهير (مندليف) أول من أعلن حقيقة الأصل غير العضوي للبترول ، وكان ذلك في عام ١٨٧٦ م ، معتمداً في ذلك على التجارب العملية التي أجريت آنذاك ، والتي أوضحت أن تمرير بخار الماء على كربيدات المعادن الثقيلة ينتج الهيدروكربونات ، وافترض مندليف على هذا الأساس أن الهيدروكربونات التي تدخل في تكوين البترول والغاز الطبيعي قد تكونت بنفس الطريقة ، وأما النظرية العضوية فإنها تفترض أن كلا من الهيدروجين والكربون المكونين للبترول قد جاءا من النباتات والحيوانات التي كانت تعيش منذ ملايين السنين على اليابسة ، وفي البحر ، ومن المعتقد أن هذه المادة العضوية كانت في أغلب الاحتمالات لكائنات ونباتات تعيش في مياه البحار والمستنقعات أكثر من كونها أحياء تعيش على الأرض ، هذه الكائنات والنباتات الدقيقة عندما ماتت ترسبت على قاع البحار القديمة التي كانت تغطي مساحات شاسعة من الأراضي اليابسة والبحار التي



البترو في العالم الإسلامي

إن الظروف الجيولوجية التي تكون فيها البترول في العالم الإسلامي هي كغيرها في أنحاء دول العالم الأخرى ، غير أن الشيء الملفت للانتباه أن الباحثين لا يهتمون إطلاقاً بموضوع الثروات المعدنية الهائلة الموجودة في شتى أنحاء العالم الإسلامي من بترول ، وغاز طبيعي ، وفحم ، وحديد ، وفوسفات ، وذهب ، وفضة ، وغير ذلك من المعادن الموجودة في أراضيه ، تلك الأراضي الغنية بثرواتها المعدنية ، وبتربتها الخصبة ، ومساحتها الشاسعة ، ولكن سكانها ما زالوا متخلفين كثيراً ، وكثيراً في مجال الحضارة والتقدم .

وإذا كان الدين الإسلامي يدعو إلى العلم والمعرفة ، ويجعل للعلماء منزلة عظيمة ، فإن من الواجب على علماء الأمة الإسلامية - وما أكثرهم - أن يهتموا بثروات العالم الإسلامي ، لقد اختص الله العالم الإسلامي بأكبر كميات من البترول مدفونة في باطن أراضيه ، ويكفي أن أشير إلى أن منطقة الشرق الأوسط تحتوي وحدها على ٥٥٪ من احتياطي بترول العالم كما يتضح في الجدول رقم (١) .

جدول رقم (١)

احتياطي دول العالم من مصادر الطاقة

النسبة المئوية لاحتياطي البترول	النسبة المئوية لاحتياطي الغاز الطبيعي	
٥٥	٢٣	الشرق الأوسط
٤	٦	أوروبا
٣	٣	أستراليا
١٧	٤٤	آسيا
١٠	٨	إفريقيا
٦	١٢	أمريكا الشمالية
٥	٤	أمريكا الجنوبية
١٠٠	١٠٠	إجمالي العالم

وقبل أن نخوض في ذكر ما ينتجه العالم الإسلامي من البترول ، وما تحتويه أراضيه من مخزون احتياطي له ، أحب أن أشير في عجالة إلى الحقائق التالية :

(١) يتوزع المسلمون في جميع أنحاء دول العالم ، (٧٣٪ بقارة آسيا ، ٢٥،٣٪ بقارة إفريقيا ، وتتنوع النسبة القليلة الباقية على أوروبا

البترو والغاز ، والنسبة الضئيلة الباقية عثر فيها على هذه التراكبات في الصخور البلورية ، إلا أن رواسب البترول والغاز في المناطق هذه قد تكونت نتيجة لهجرة البترول والغاز من الطبقات الرسوبية المتاخمة للصخور البلورية ذات الشقوق .

وهناك شبه إجماع بين علماء البترول يؤكد ارتباط حقول البترول بالتضاريس الأرضية ، ففي ثمانينات القرن الماضي أعلن مندليف عن افتراضه ارتباط حقول البترول بالمناطق الواقعة أمام الجبال ، وكذلك بأطراف السلاسل الجبلية ، موضحاً الارتباط العضوي بين حقول البترول في هذه المناطق ، وبين حركات القشرة الأرضية عبر الصخور الجيولوجية ، كذلك لاحظ العالم الفرنسي (دي لوني) في عام ١٩١٣م ، الارتباط بين تراكبات حقول البترول والمناطق الطرفية من السلاسل الجبلية ، ونفذ عمليات البحث الجيولوجي والجيوفيزيائي في معرفة هذه الأماكن ، وفي التنبؤ بإمكانية وجود البترول والغاز في الصخور الرسوبية بهذه الأماكن .

غير أنه لكي يكون هذا التنبؤ مبنياً على أساس علمي فإن الباحثين عن البترول والغاز ، لا يهتمهم فقط معرفة الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها البترول ، أو معرفة الظروف التي قد تكون فيها ، وإنما يهتمهم أيضاً معرفة الظروف التي تحفظ تراكبات البترول والغاز التي تكونت في الصخور الرسوبية ، والتي لا تبقى في وضع ثابت ، وإنما تتعرض بمرور العصور الجيولوجية لتأثير عوامل فيزيائية وكيميائية وغير ذلك مما يسبب تغيرها .

إن الهيدروكربونات المكونة للبترول لها القدرة على الانتقال خلال المسامات الموجودة في الصخور الرسوبية ، وهذه القدرة يمكن أن تؤدي في ظروف كثيرة إلى بعثرة هذه الهيدروكربونات ، وكثيراً ما هاجر البترول من الصخور التي تكون فيها إلى صخور أخرى أحدث في تكوينها ، وإن أفضل الظروف لمنع هجرة البترول والغاز هو ما يعرف بالمصائد البترولية ، والتي تكون جنباتها مكونة من صخور غير مسامية لا تسمح بهجرة الزيت أو الغاز من خلالها .



والأميركتين وأستراليا) .

(٢) تكون الشعوب العربية والباكستانية والاندونيسية حوالي ٥٦,٣٪ من مجموع السكان المسلمين .

(٣) يمثل المسلمون المركز الثاني بين الديانات التي يعتنقها سكان العالم بعد المسيحيين .

(٤) تتمتع دول العالم الإسلامي بأعلى نسبة في الخصوبة ، فالعراق مثلاً سيتضاعف عدد سكانه في عشرين عاماً ، ومصر سيتضاعف عدد سكانها في ٢٦ عاماً ، وذلك يعني أنه لو استمرت معدلات الخصوبة في الارتفاع ، فمن المتوقع أن يمثل المسلمون المركز الأول بين معتنقي الديانات في غضون ثلاثة قرون ، إذ إن معدل الخصوبة بباقي دول العالم أقل بكثير ، إن فرنسا يلزمها ١,٨٦ عاماً لكي يتضاعف عدد سكانها ، والولايات المتحدة يلزمها هي الأخرى ٩٩ عاماً ، أما السويد فهي تحتاج إلى ١,٣٨٦ عاماً ، إذ إن معدل الخصوبة بها أقل معدل بالعالم .

وإذا كان البعض يحذر من خطر الانفجار السكاني ، فإن العالم الإسلامي يزخر بثروات هائلة ومساحات شاسعة في حاجة إلى الزراعة ، ولكن سوء التخطيط والتخلف لا يزال عائقاً أمام ذلك .

جدول رقم (٢)

المسلمون موزعون بين قارات العالم حسب تقدير عام ١٩٧٥ م .

آسيا	٤٦٩ مليوناً
إفريقيا	١٦٢ مليوناً
أوروبا	٧ ملايين
الأميركتين وأستراليا	٣/٤ المليون
مجموع المسلمين في العالم	٦٣٩ مليوناً

إنتاج العالم الإسلامي من البترول

إذا نظرنا إلى العالم ككتل دينية فسنجد أن الكتلة التي تشمل الأقطار التي تدين بالإسلام أكبر الكتل إنتاجاً للبترول والغاز الطبيعي ، فقد بلغ متوسط إنتاج العالم الإسلامي عام ١٩٧٨ م ، وذلك دون الجمهوريات الإسلامية الموجودة في الاتحاد السوفيتي وإقليم سينكيانج بالصين حوالي ٤٧,٢٤٪ من إجمالي الإنتاج العالمي ، وهذه النسبة تعادل ٢٨٠١٣ مليون برميل يومياً ، أنتجت المملكة العربية السعودية وحدها (٧٥١٩) ألف برميل يومياً ، أي بما يعادل ١,٣٪ من إجمالي الإنتاج العالمي .

أما عن حقول البترول الموجودة بالاتحاد السوفيتي وإقليم سينكيانج بالصين فإن الحصول على معلومات متكاملة عن هذه الحقول غير متاح ، ومن المعروف أن أشهر الجمهوريات الإسلامية المنتجة للبترول

في الاتحاد السوفيتي هي تلك التي تطل على بحر قزوين . حيث يتم إنتاج أغلب البترول السوفيتي في أقاليم تركستان وأزبكستان وباشكيريا وترستان ، وقازقستان ، وكلها جمهوريات إسلامية سوفيتية ، ولقد بلغ متوسط حقول جمهورية ترستان من الزيت الخام عام ١٩٧٥ م ، ما يعادل ٢,٠٧ مليون برميل يومياً ، وإن تضاعف هذا الإنتاج ليصل إلى ١,٩ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٨ م .

كذلك فإن إقليم قازقستان قد أنتج عام ١٩٧٨ م ، أيضاً (٧٢٠٠٠) برميل يومياً ، وفي نفس العام فإن حقول أريان Arian بباشكيريا وصل إنتاجه (١١٠) ملايين برميل في السنة ، كما بلغ إنتاج حقول روماشكينو Romashkino الموجود بين حدود ترستان وباشكيريا (٥٣٠) مليون برميل في السنة ، وهي نسبة عالية جداً ، وهناك بعض الحقول الأخرى الكثيرة تنتشر في أنحاء الجمهوريات الإسلامية السوفيتية ،

أما إقليم سينكيانج بالصين فإن المعلومات عن إنتاج هذا الإقليم الإسلامي غير متوفرة أيضاً ، اللهم إلا حقول كولامي Kolamai الموجود بهذا الإقليم والذي ينتج وحده ما يزيد عن (٥١,٨) مليون برميل سنوياً حسب تقديرات عام ١٩٧٨ م . بناء على ذلك ، يمكن أن نقدر إنتاج الأقاليم الإسلامية بالاتحاد السوفيتي والصين بحوالي (٥) ملايين برميل يومياً ، وبذلك يصل إجمالي إنتاج العالم الإسلامي كله إلى (٣٣) مليون برميل في اليوم الواحد ، أي حوالي ٥٦٪ من إجمالي إنتاج العالم .

ولقد ارتفع إنتاج العالم الإسلامي من البترول عام ١٩٧٩ م ، ليصل إلى (٣٠٤١٢) ألف برميل يومياً ، وذلك دون ضم إنتاج جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية وإقليم سينكيانج ، والتي إذا قدر إنتاجها بنفس القيمة التي قدرناها لعام ١٩٧٨ م ، لوصل إنتاج العالم الإسلامي كله إلى ما يزيد عن ٥٦,٦٪ من إجمالي الإنتاج العالمي .

أما عن الغاز الطبيعي فقد وصل إنتاج العالم الإسلامي عام ١٩٧٨ م ، إلى حوالي ٧٪ من الإنتاج العالمي ، ولقد وجدنا نفس الصعوبات السابقة في الحصول على معلومات عن إنتاج الأقاليم الإسلامية السوفيتية ، والتي تحتوي على كميات هائلة من الغاز الطبيعي . وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحد العوامل الرئيسية وراء التدخل الشيوعي السوفيتي في أفغانستان هو الطمع في السيطرة على حقول البترول والغاز الطبيعي ، وتنتج أفغانستان ما يزيد عن (٣٠٠) مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي ، يضح منها حوالي (٢٥٠) مليون قدم مكعب إلى الاتحاد السوفيتي ، ولقد قدر الجيولوجيون السوفيت احتياطي البترول الأفغاني بحوالي (٩٥) مليون برميل ، وقدروا احتياطي الغاز بحوالي (٥) ترليون قدم مكعب ، نصفها يقع على الأقل في منطقة شبرغان Shibrghan القريبة من الحدود الأفغانية - السوفيتية . (انظر الخريطة المنشورة لحقول الغاز بأفغانستان) .

إنتاج العالم الإسلامي من البترول الخام والغاز الطبيعي

رقم الدولة الإسلامية	متوسط الإنتاج اليومي بآلاف البراميل		إجمالي إنتاج الغاز عام ١٩٧٩ م
	١٩٧٨ م	١٩٧٩ م	
١ أبو ظبي	١٤٤٢	١٤٦٠	٣٨,١
٢ البحرين	٥٤	٥٠	٦١,٠
٣ دبي	٣٦٠	٣٥٤	٢١,٤
٤ إيران	٥٦١٦	٣١٥٢	٨٣٥,٣
٥ العراق	٢٣٩٨	٣٤٠٩	٤٧,٨
٦ فلسطين المحتلة	٧	٣٦	٢,٠
٧ الكويت	١٧٠٢	٢٢٣٧	١٩٠,٥
٨ المنطقة المحيطة	٣٨٣	٥٦٤	-
٩ عمان	٣١٨	٢٩٦	٣٤,٩
١٠ قطر	٤٥٧	٤٩٥	٢٥,١
١١ السعودية	٧٥١٩	٩٢٢٨	١٨٥,٦
١٢ الشارقة	٢٥	١٣	-
١٣ سورية	١٧١	١٦٣	٣١,١
١٤ تركيا	٥٠	٥٥	١٣,٨
١٥ أفغانستان	-	-	٧٦,٩
١٦ ماليزيا	٤٣٦	٤٩٩	٢٧٧,٧
١٧ أندونيسيا	١٦٦٥	١٥٩٨	٧٤٦,٣
١٨ باكستان	٩	١٠	١٦٥,٥
١٩ الجزائر	١٢٢٥	١١٢٢	٢٧٥,٥
٢٠ مصر	٤٧٢	٤٩١	٨٨,٤
٢١ ليبيا	١٨٩٦	٢٠٥٢	١٤٦,٠
٢٢ المغرب	١	١	٢,٨
٢٣ نيجيريا	١٧٠٧	٢٣٢٧	٣٢٧,٦
٢٤ تونس	١٠٠	١٠٠	٨٤,٠
إجمالي العالم الإسلامي	٢٨٠١٣	٣٠٤١٢	٣٦٧٧,٧
إجمالي دول العالم	٥٩٠٧٣	٦٢٧١٦	٥٢٣٧٣,٦

احتياطي العالم الإسلامي من البترول

تحتوي دول العالم الإسلامي على أكبر نسبة من احتياطي البترول المخزون في جوف الكرة الأرضية حيث تبلغ ٦٨,٤٪ من إجمالي احتياطي العالم كله وذلك حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م، ولقد أغفلت في هذه النسبة ما تحتريه جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية، وإقليم سينكيانج بالصين، إلا أن هناك بعض الحقول الشهيرة والرئيسية بالاتحاد السوفيتي

هذه الجمهوريات، والتي أمكن معرفة المخزون الاحتياطي من الزيت بها وهي:

● **حقول أريان بباشكيريا** ويبلغ احتياطي الزيت به ٢١٠٠ مليون برميل.

● **حقول نفتيانى كاميني** Neftianye Kamini بجمهورية أذربيجان ويبلغ احتياطي الزيت به ٩٢٥ مليون برميل.

● **حقول نوفو الخوفسكوي** Novo-Elkhovskoye بجمهورية تترستان ويبلغ احتياطي الزيت به ١٧٠٠ مليون برميل.

● **حقول روماشكينو** Romashkino وهو يحتوي على أعلى نسبة من احتياطي الزيت بالاتحاد السوفيتي، والتي تبلغ (١١٢٥٠) مليون برميل، وهو يقع في أراض إسلامية.

وإذا نحن أخذنا أقل الافتراضات لاحتياطي البترول الموجود بالجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي واعتبرناها ٤٠٪ من احتياطي الاتحاد السوفيتي الذي يصل إلى (٧١٠٠٠) مليون برميل، فإن رصيد العالم الإسلامي يصل إلى حوالي ٧٣٪ من إجمالي مخزون العالم الاحتياطي من الزيت الخام وذلك حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م. أي أن العالم الإسلامي وحده يتحكم في ثلاثة أرباع الطاقة المستهلكة غداً، وهي ثروة هائلة يجب أن نلتفت إليها وأن نوليها عنايتنا، ولو تم استغلالها على أتم وجه لاستطاع المسلمون في غضون السنوات القليلة القادمة أن يكونوا أقوى الكيانات السياسية والاقتصادية في العالم.

وتعتبر المملكة العربية السعودية أكبر دولة في العالم تحتوي على أعلى نسبة من مخزون البترول في أراضيها، حيث تحتوي وحدها على (١٦٥,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠) برميل حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م، أي ما يعادل ٢٥,٢٪ من إجمالي مخزون العالم.

ويأتي الاتحاد السوفيتي في المرتبة الثانية حيث يبلغ المخزون الاحتياطي للبترول به (٧١٠٠٠) مليون برميل، ثم تأتي الكويت في

المرتبة الثالثة حيث يبلغ احتياطي الزيت بها (٦٦٢٠٠) مليون برميل ،
ولقد أغفلنا في التقديرات السابقة مخزون الزيت الموجود بالمنطقة

حسب رقم (٤)

احتياطي دول العالم الإسلامي من البترول والغاز الطبيعي

حسب تقديرات بدير (كسوف الثاني) ١٩٧٩ م.

رقم الدولة الإسلامية	مخزون زيت البترول		مخزون الغاز الطبيعي	
	مليون برميل	مليون طن	بليون متر مكعب	بليون قدم مكعب
١ أبو ظبي	٣٠٠٠٠	٤١١٠	٥٦٦	٢٠٠٠٠
٢ البحرين	٢٥٠	٣٤	١٩٨	٧٠٠٠
٣ دبي	١٣٠٠	١٧٨	٤٥	١٦٠٠
٤ إيران	٥٩٠٠٠	٨٠٨٣	١٤١٥٩	٥٠٠٠٠٠
٥ العراق	٣٢١٠٠	٤٣٩٨	٧٨٧	٢٧٨٠٠
٦ فلسطين المحتلة	١٠	١	٢	٦٠
٧ الكويت	٦٦٢٠٠	٩٠٧٠	٨٨٦	٣١٣٠٠
٨ المنطقة الحرة	٦٤٨٠	٨٨٨	١٤٢	٥٠٠٠
٩ عمان	٢٥٠٠	٣٤٢	٥٧	٢٠٠٠
١٠ قطر	٤٠٠٠	٥٤٨	١١٣٣	٤٠٠٠٠
١١ السعودية	١٦٥٧٠٠	٢٢٧٠١	٢٦٥٩	٩٣٩٠٠
١٢ الشارقة	١٦	٢	-	-
١٣ سورية	٢٠٨٠	٢٨٥	٤٢	١٥٠٠
١٤ تركيا	٣٦٠	٤٩	١٤	٥٠٠
١٥ الجزائر	٦٣٠٠	٨٦٣	٢٩٧٣	١٠٥٠٠٠
١٦ مصر	٣٢٠٠	٢٧	٦٨	٢٤٠٠
١٧ ليبيا	٢٤٣٠٠	٣٣٢٩	٦٨٥	٢٤٢٠٠

١٨ المغرب	١	-	٨	٣٠
١٩ نيجيريا	١٨٢٠٠	٢٤٩٣	١١٨٩	٤٢٠٠٠
٢٠ السودان	-	-	٣	١٠٠
٢١ تونس	٢٣٠٠	٣١٥	١٧٠	٦٠٠٠
٢٢ بنجلاديش	-	-	٢٢٧	٨٠٠٠
٢٣ برونوي	١٤٨٠	٢٠٣	٢٢٧	٨٠٠٠
٢٤ أندونيسيا	١٠٢٠٠	١٣٩٧	٦٨٠	٢٤٠٠٠
٢٥ ماليزيا	٢٨٠٠	٣٨٤	٤٨١	١٧٠٠٠
٢٦ باكستان	٢٠٠	٢٧	٤٥٣	١٦٠٠٠
إجمالي العالم الإسلامي	٤٣٨٩٧٦,١	٦٠١٣٨	٢٧٨٤٦,٨	٩٥٩١٩٠
إجمالي دول العالم	٦٤١٦٠٧,٨٢٥	٨٧٩٠٠	٧٠٨٤٩	٢٥٠٢٠١٠

المحايدة والذي يبلغ (٦٤٨٠) مليون طن ، وكما هو معروف فإن كلا من
المملكة العربية السعودية والكويت يتفاسمان إنتاج هذه المنطقة .

أما عن مخزون الغاز الطبيعي فيبلغ ٣٩,٣٪ من إجمالي المخزون
العالمي ، وهذه النسبة تنتجها دول العالم الإسلامي ما عدا الجمهوريات
الإسلامية بالاتحاد السوفيتي وإقليم سينكيانج بالصين ، والتي إذا أضيفت
إلى هذه النسبة سترفعها كثيراً ، وما هو معروف في الأوساط العلمية
المختصة بالبترول أن سيبيريا تحتوي وحدها على حوالي ٥٥٪ من احتياطي
الغاز الطبيعي بالاتحاد السوفيتي ، وباقي احتياطي الغاز يتواجد حول بحر
قزوين وفي مياهه ، وفي باقي أنحاء الاتحاد السوفيتي ، وإذا قدرنا احتياطي
الغاز الطبيعي بالجمهوريات الإسلامية السوفيتية بحوالي ٣٠٪ من إجمالي
احتياطي الغاز بالاتحاد السوفيتي ، والذي يعتبر أعلى احتياطي في العالم
(٢٥٧٦٨ بليون متر مكعب أي ما يعادل ٩١٠٠٠٠ بليون قدم
مكعب) ، لوصل احتياطي الغاز بالعالم الإسلامي إلى ١٢٣٢١٩٠ بليون
قدم مكعب ، أي ما يعادل ٤٩٪ من إجمالي احتياطي العالم .

استهلاك البترول في العالم الإسلامي

إذا انتقلنا من الجانب المضيء السابق ، الذي يشير بالخير الوفير الذي ينتظر العالم الإسلامي لو أحس استغلال هذه الثروات الهائلة الموجودة في أعماق أراضيه ، إلى الجانب الآخر ، الذي يبين مدى استفادة المسلمين من هذه الكنوز والثروات ، ومعنى آخر : ما موقف المسلمين بالنسبة لباقي شعوب دول العالم في استهلاك الطاقة التي تنتج من حرق البترول ومركباته المختلفة ؟

إن الأرقام - وما أصدقها - تصيب المرء بالذهول ، وهو يرى دولة كالولايات المتحدة الأمريكية يبلغ عدد سكانها (٢١٧) مليوناً يستهلكون وحدهم ٣٠٪ من طاقة العالم من البترول ، بينما يبلغ إجمالي استهلاك دول العالم الإسلامي ٥٪ من الطاقة ، وإذا أخذنا كمثال دولة إيران التي تعتبر أكثر الدول الإسلامية استهلاكاً للطاقة ، وجدنا أنها تستهلك ٧١٪ من طاقة العالم .

إن ما ذكرناه منذ قليل عن ضالة استهلاك العالم الإسلامي من البترول ومنتجاته يتسارع مع طاقة التكرير اليومية لمجموع بلدانه ، التي تبلغ ٦,٣٧٪ من إجمالي العالم .

جدول رقم (٥)

استهلاك دول العالم الإسلامي من المنتجات البترولية عام ١٩٧٧ م

مكرر بترول استهلاك دول جمهورية الإسلامية بالائتلاف السوفييتي

واقعة سيكيغ بالبحر

الدول الإسلامية	الاستهلاك ١٠٠٠ برميل كل يوم	الدول الإسلامية	الاستهلاك ١٠٠٠ برميل كل يوم
الشرق الأوسط :		آسيا الإسلامية :	
١ - البحرين	٥٠	١ - أندونيسيا	٢٥٠
٢ - إيران	٤٣٥	٢ - باكستان	١٢١
٣ - العراق	١٥٥	٣ - ماليزيا	
		دول إسلامية أخرى	
٤ - فلسطين المحتلة	١٦٠	إفريقيا الإسلامية	٣٨٠
٥ - الكويت	٩٥	١ - الجزائر	٩٠
٦ - لبنان	٥٠	٢ - مصر	١٥٠
٧ - المنطقة المحيطة	٤٥	٣ - ليبيا	٥٦
٨ - السعودية	١٨٠	٤ - المغرب	٥٠
٩ - سورية	٨٠	٥ - نيجيريا	١١٥
١٠ - تركيا	٣٤٠	٦ - السودان	٢٢
١١ - اليمن الجنوبية	٢٠	٧ - تونس	٣٢
١٢ - دول إسلامية أخرى	٢٠	إجمالي استهلاك هذه الدول	٢٨٩٦

جدول رقم (٦)

مقارنة بين بعض الدول الإسلامية والدول الأخرى في استهلاك البترول وإنتاجه

الدولة	الإنتاج من البترول عام ١٩٧٧ م (ألف برميل يومياً)	استهلاك البترول عام ١٩٧٧ م (ألف برميل يومياً)	النسبة المئوية للاستهلاك
الولايات المتحدة	٨٢٤٠	١٧٩٤٥	٢٩,٥٦٪
اليابان	١٠	٥٣٤٥	٨,٨٪
الاتحاد السوفييتي	١٠٩٢٠	٨٠٢٥	١٣,٢٢٪
إيران	٥٦٥٠	٤٣٥	٧,٧١٪
العراق	٢١٥٠	١٥٥	٢٥,٢٥٪
السعودية	٨٩٥٠	١٨٠	٢,٩٦٪
اليمن الجنوبية	-	٢٠	٠,٣٣٪
إجمالي دول العالم	٦٠٧٠٠	٦٠٧٠٠	١٠٠٪

إن هذه الأرقام إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى ما نحن فيه من تخلف ، ومدى ما وصل إليه العالم الغربي واليابان والولايات المتحدة من المستوى العالي للمعيشة ، والذي لا يتناسب إطلاقاً مع الثروات الموجودة ببلادهم ، فهذه البلاد تنبع الخبرة والمواد اللازمة لصناعة وإنتاج البترول بضعف التكاليف التي تبنيها للزبائن في بلادها .

إن الأرقام السابقة والمبنية بالجدول المرفقة إن ثمت على شيء ، فإنما تم عن التفاوت الكبير في عالم إسلامي مترامي الأطراف يمثل عدد سكانه ١٦,٤٪ من سكان العالم - حسب تقديرات عام ١٩٧٥ - ويتنجون ما يزيد عن ٥٦٪ من خام البترول وتحتوي أراضيهم على حوالي ٧٣٪ من احتياطيهم ، وعلى حوالي نصف احتياطي العالم من الغاز الطبيعي ، بينما يستهلكون أقل قدر من الطاقة ، ويعيش معظم شعوبه في فقر ، وجوع ومرض . وإذا كان جون كونللي حاكم ولاية تكساس السابق قد قال : « إن نفط منطقة الشرق الأوسط يمثل دماء الحياة بالنسبة للمدنية الغربية » ، فإنني أتمنى أن يكون نفط العالم الإسلامي كله ، يمثل الدماء التي تغذي النهضة الإسلامية الكبرى ، والتي يجب علينا أن نسعى لها جاهدين منحددين من الآن ، مع إطلالة القرن الهجري الجديد .

أهم المراجع

International Petroleum Encyclopedia; Vol. 12, 1979 — ١

World Oil, October 1979, Pages 107-111 — ٢

Oil & Gas Journal, September 1979 — ٣

Modern Petroleum, Berger & Anderson, U. S. A. — ٤

مجلة (نفط العرب) ، العدد (١٥) ، فبراير (شباط) ١٩٨٠ م .

٦ - جغرافية العالم الإسلامي ، دكتور محمود أبو سيف ، جامعة المنوفية - مصر .

تتكون بلاد اليابان من أربع جزر رئيسية (هونشو ، هوكايدو ، كيوشو ، شيكوكو) بالإضافة إلى (٣,٥٠٠) جزيرة أصغر مساحة ، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي . ويقع الطرف الشمالي لجزيرة (هوكايدو) على نفس خط العرض الذي يمر بمدينتي مونتريال والبندقية ، بينما يقع الطرف الجنوبي لجزيرة (كيوشو) على نفس خط العرض الذي تقع عليه نيو أورليانز والإسكندرية ، والمساحة الكلية لهذه الجزر صغيرة نسبياً ، ونقارب مساحة ولاية كاليفورنيا الأمريكية .



★ منظر طبيعي فريد ★



بمقام :

د. عبد اللطيف أبو السعود

إن سواحل اليابان طويلة للغاية . وقد حبا الله اليابان بالمنتجات البحرية العديدة ، والمناظر الطبيعية الخلابة ، بما في ذلك بحر اليابان الداخلي ، والشواطئ الجميلة ، والجبال ذوات القمم العالية ، والتكوينات الصخرية العجيبة .

واليابان بلاد جبلية ، تكثر فيها الجبال البركانية ، ومن أشهرها جبل فوجي الذي يشتهر بجباله الأخاذة . وهناك ينابيع الطبيعة الساخنة التي تنتظر زبارة أبناء المدينة والسياح الأجانب .



★ الخريف في اليابان ★

دولة قوية . وفي أثناء القرون الستة التالية أنتج اليابانيون القدماء أدباً وفناً رافعين ، وذلك بعد أن هضموا الثقافة الصينية . ثم تلا ذلك ستة قرون من الاقطاع .

وبعد ما يسمى بـ «استعادة الميجي» في عام ١٨٦٨ م ، تطورت اليابان إلى دولة حديثة تحكمها ملكية دستورية . وكان التقدم الاقتصادي والثقافي سريعاً في ظل هذا النظام ، ثم تولى العسكريون مقاليد الحكم في الثلاثينات من القرن العشرين ، وقد

تاريخ اليابان

يعتبر الجنس الياباني الحالي مزيجاً من أجناس جنوب آسيا ، والجنس الصيني القديم ، والأجناس الشمالية ، وبعض القبائل غير الأصلية .

وتدل الاكتشاف الأثرية على أن اليابان كانت مسكونة ابتداء من العصر الحجري المتأخر . والمعتقد أن أول دولة سياسية تكونت في القرن الرابع ، وفي القرن السابع أصبحت

إن مناظر اليابان الطبيعية ليست في ضخامة وعظمة وادي جراندي كانيون الأمريكي ،

وجبال الألب السويسرية ، إلا أن اليابان غنية بالمناظر الطبيعية الجميلة صغيرة الحجم .

وتقع معظم بلاد اليابان في المنطقة المعتدلة ، ودرجة الحرارة فيها ليست شديدة كما هو الحال في بلاد جنوب آسيا ، إلا أن الجو فيها يتميز بالرطوبة العالية والأمطار الغزيرة .

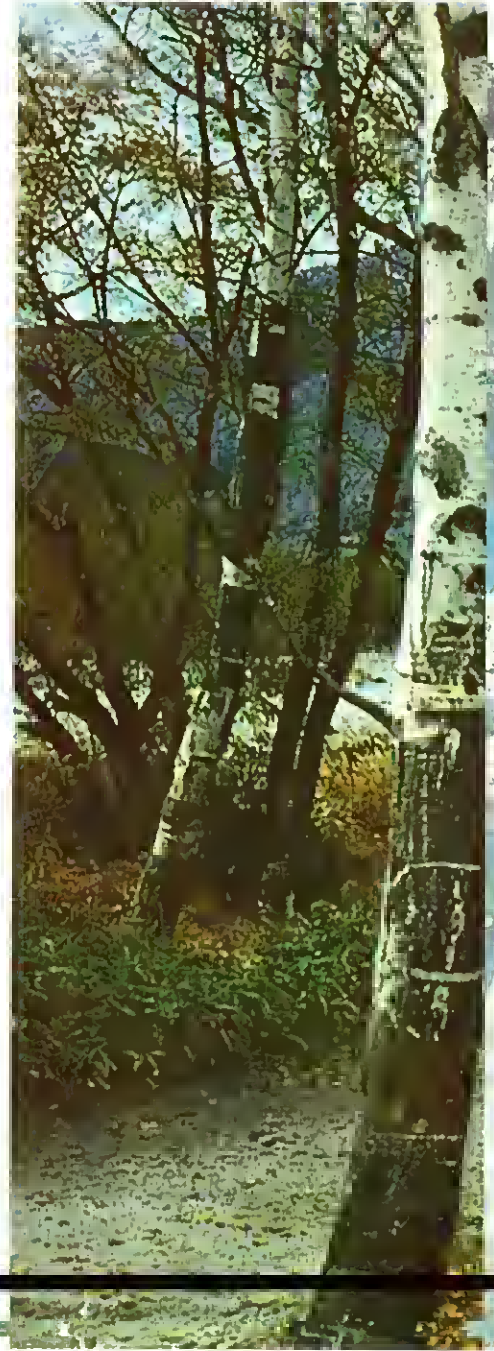
نواح . ويجد الأجانب ، بلا شك ، شيئاً غريباً في العلاقات الإنسانية في العائلات والمنظمات ، وفي الأفراح والجنائزات ، وفي التجمعات الاجتماعية . ولكن العادات والقيم القديمة تستبدل تدريجياً بدائل تركز على القيم الديمقراطية والشخصية .

إن اليابان اليوم مزيج من القديم والحديث ، ومن الثقافة والحضارة اليابانية التقليدية ، ومثيلاتها الأوروبية والأميركية .

ودخلهم الكلي بعدد المستخدمين ودخلهم الكلي ، لوجدنا أن هذه النسبة تزيد كثيراً عن مثيلتها في الدول الغربية المتقدمة . والتضخم السكاني الحالي في المناطق الزراعية ، الذي يزيد من حجمه تلك الزيادة الطبيعية في عدد السكان والتي تبلغ حوالي مليون نسمة في العام ، يسبب مشكلة خطيرة .

إن العادات والتقاليد التي انتقلت من عهود الاقطاع ، والتي سادت في اليابان قبل الحرب ، ما زالت تؤثر في الحياة الاجتماعية من عدة

★ عروس للزينة ترندي الشباب التقليدية ★



أدى هذا إلى هزيمة اليابان في حرب
الباسفيك .
وبعد الحرب العالمية الثانية ، عادت
الديمقراطية إلى اليابان .

الشعب الياباني

تجاوز عدد سكان اليابان ١٠٦ ملايين
نسمة . ويعمل حوالي ٤٠٪ من مجموع القوى
العاملة في الزراعة ، ويعمل حوالي ٢٠٪ في
الصناعة ، ولو قارنا عدد الملاك المستقلين



★ بركان ثائر ★

مزيج من الحروف الصينية ، التي انتقلت إلى اليابان من الصين القديمة ، وصورتين لكل من الثمانية وأربعين حرفاً صوتياً وضعها اليابانيون . إلا أن الفرق ملموس بين لغة الصين الحالية ولغة اليابان .

وتعتبر اللغة اليابانية لغة يصعب إتقانها . وبالرغم من أن نطقها سهل ، إلا أن قواعد اللغة اليابانية تختلف اختلافاً أساسياً عن اللغات الأخرى . وتزخر هذه اللغة بالتعبيرات التي ترمز إلى

تقديس الأجداد ، وآلهة الطبيعة ، والمعابد التي تنتشر في أنحاء البلاد خاصة هذه الديانة .

وللبوذية تاريخ طويل في اليابان منذ انتقالها من الصين في القرن السادس . وفي اليابان حوالي ألفي كنيسة ، وما يقرب من أربعمئة ألف مسيحي .

اللغة

إن اللغة اليابانية المكتوبة ما هي إلا

العقيدة

كثيراً ما نسمع أن أهل اليابان أقل تمسكاً بالدين من غيرهم من الناس في مختلف بلاد العالم . ففي بلاد اليابان ، لا تجد الديانات في نفوس الناس ما تجده في غيرها من البلدان .

وهناك ثلاث ديانات رئيسية في اليابان :

الشينتو ، والبوذية ، والمسيحية .

والشينتو ديانة بابائية نوعية ، تعتمد على

★ رياضة الجودو ★



البنية السياسية

مجلس البوليس ، ومجلس الدفاع القومي ،
ومجلس التخطيط الاقتصادي ، وغيرها . أما
الوزارات فهي وزارة العدل ، والشؤون
الخارجية ، والمالية ، والتعليم ، والرفاهية ،
والزراعة والغابات ، والتجارة الدولية
والصناعة ، والنقل ، والخدمات البريدية ،
والعمل والبناء .

وطبقاً للدستور الجديد الذي بدأ تنفيذه في
عام ١٩٤٧ م ، يتكون (الديت Diet) من
مجلسين : مجلس ممثلي الشعب ، ومجلس
الشورى . والإمبراطور رمز للدولة
ولوحدة الأمة .

وتشمل الأجهزة القضائية المحكمة العليا ،
ومحاكم متعددة من درجات أقل ، وهي مستقلة
تماماً عن الفروع التشريعية والتنفيذية للحكومة .

ويعين (الديت) رئيس الوزراء . وتتكون
الأجهزة التنفيذية من مكتب رئيس الوزراء ،
وأحد عشر وزيراً . ويضم مكتب رئيس الوزراء

★ الايكابانا - فن تنسيق الزهور ★

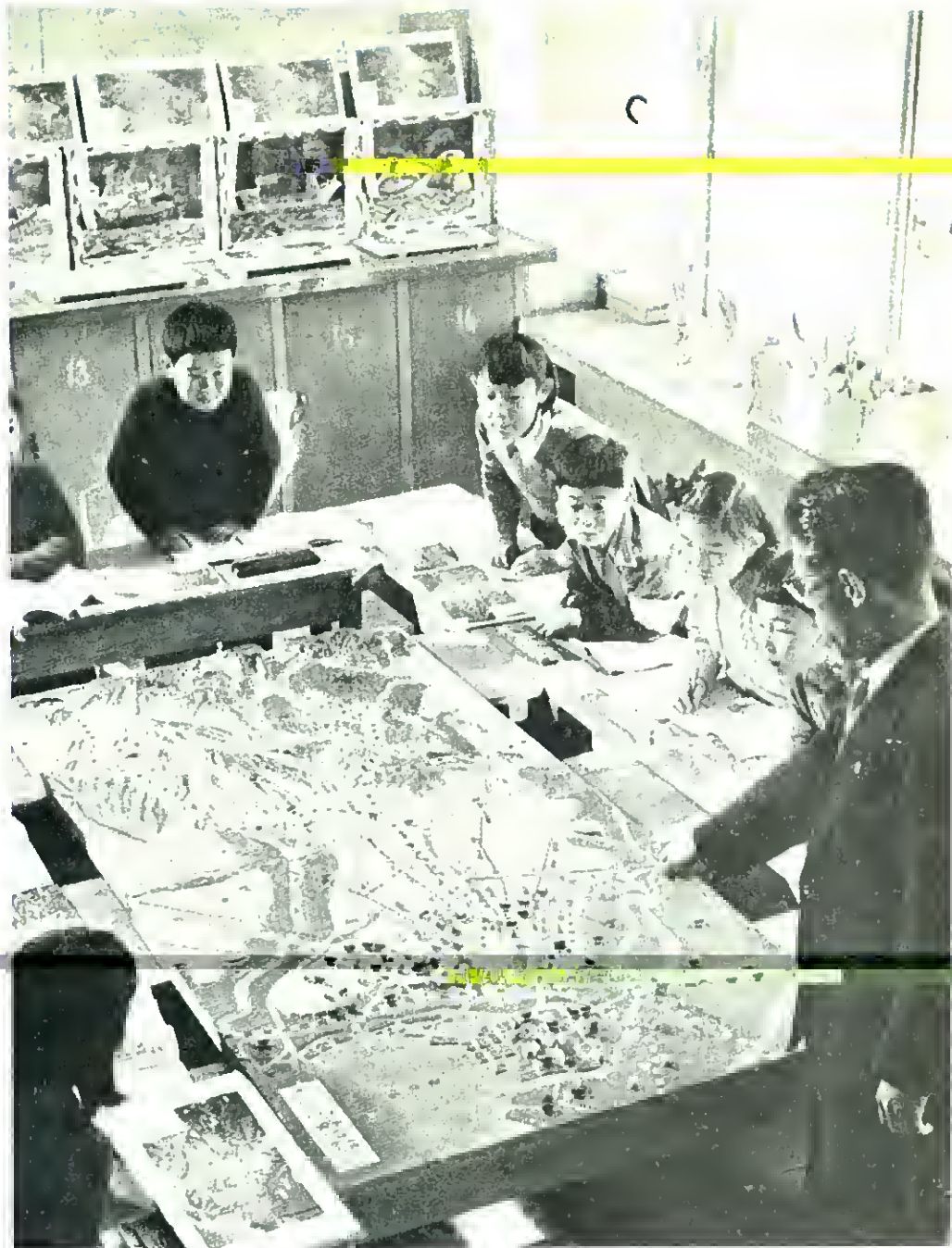


الخاصية المميزة التقليدية للشعب الياباني ، ألا
وهي الاهتمام الفائق بأداب المعاملة ،
والاحترام المتبادل ، الأمر الذي يضاف إلى
صعوبة هذه اللغة ، كما أن الفروق الجزئية بين
الألفاظ الخاصة بكل من الجنسين تكون ملامح
خاصة باللغة اليابانية .

كما أن الشعب الياباني يحب استخدام
كلمات وتعبيرات غامضة المعنى ، الأمر الذي
يضاف إلى صعوبة ترجمة اللغة اليابانية إلى
اللغات الأخرى .



★ ساحل نيشينان ، ومنظر الصخور التي تاكلت بفعل مياه البحر ★



★ درس في الجغرافيا ★

من ١١ مليوناً من التلاميذ .
وتكاد تكون الأمية غير معروفة في
اليابان ، ويرجع ذلك إلى نسبة انتظام
التلاميذ في الدراسة ، التي توصف بأنها
عالية للغاية .

وتعد اليابان من الدول المتقدمة في التعليم
الجامعي .

الاسكان

إن عدداً كبيراً من المباني الحكومية والمكاتب

الابتدائية (٦ أعوام) ، والمدارس المتوسطة (٣
أعوام) ، والمدارس العليا (٣ أعوام) ،
والجامعة (٤ أعوام) ، ودراسات عليا
(عامين) . وهناك كليات تمتد الدراسة فيها
لفترة عامين .

وتمتد الدراسة في كليات الطب إلى ٦
أعوام ، تليها دراسات عليا لأربعة أعوام لدرجة
الدكتوراه .

ويشمل التعليم الإلزامي المدارس الابتدائية
والمتوسطة . ويزيد عدد المدارس الابتدائية
في اليابان عن ٢٢ ألف مدرسة ، تضم أكثر

والحزبان السياسيان الرئيسيان هما حزب
الديمقراطيين الأحرار ، والاشتراكيين .
أما الحزب الشيوعي فهو حزب ضعيف
للعناية .

وقد قسمت البلاد إلى ٤٦ فماً إدارياً
لكل منها حكومته المحلية ، وحاكم ينتخبه
الجمهور .

التعليم

يتكون نظام التعليم الياباني من المدارس



★ صانع الأواني الخزفية ★



وترتدي السيدات مع الكيمونو، نعلا خاصة مميزة، وجوارب خاصة، كما يصففن شعورهن بطريقة يابانية قديمة ومميزة.

الغذاء

تعتمد السوجية اليابانية أساساً على الأرز... وبينما يستخدم الأوروبيون والأميريكيون الشوك والسكاكين لتناول الغذاء، نجد أهل اليابان يأكلون الأرز من إناء خاص يسمى بالتشاوان، بدلاً من الطبق، بمساعدة

وبصورة زيتية... وتعمل الحكومات المركزية والمحلية على حل مشكلة المساكن ببناء العمارات السكنية.

الملابس

يمكن تقسيم الملابس اليابانية إلى نوعين: الملابس الغربية الطراز، والطراز الياباني التقليدي المعروف بالكيمونو. ويلبس معظم اليابانيين الملابس ذات الطراز الأجنبي، إلا أن السيدات المتقدمات في السن يفضلن ارتداء الكيمونو.

العامة ذات إطار حديدي، أو مبنية بالأسمنت المسلح. إلا أن كثيراً من أهل اليابان يعيشون في مساكن خشبية.

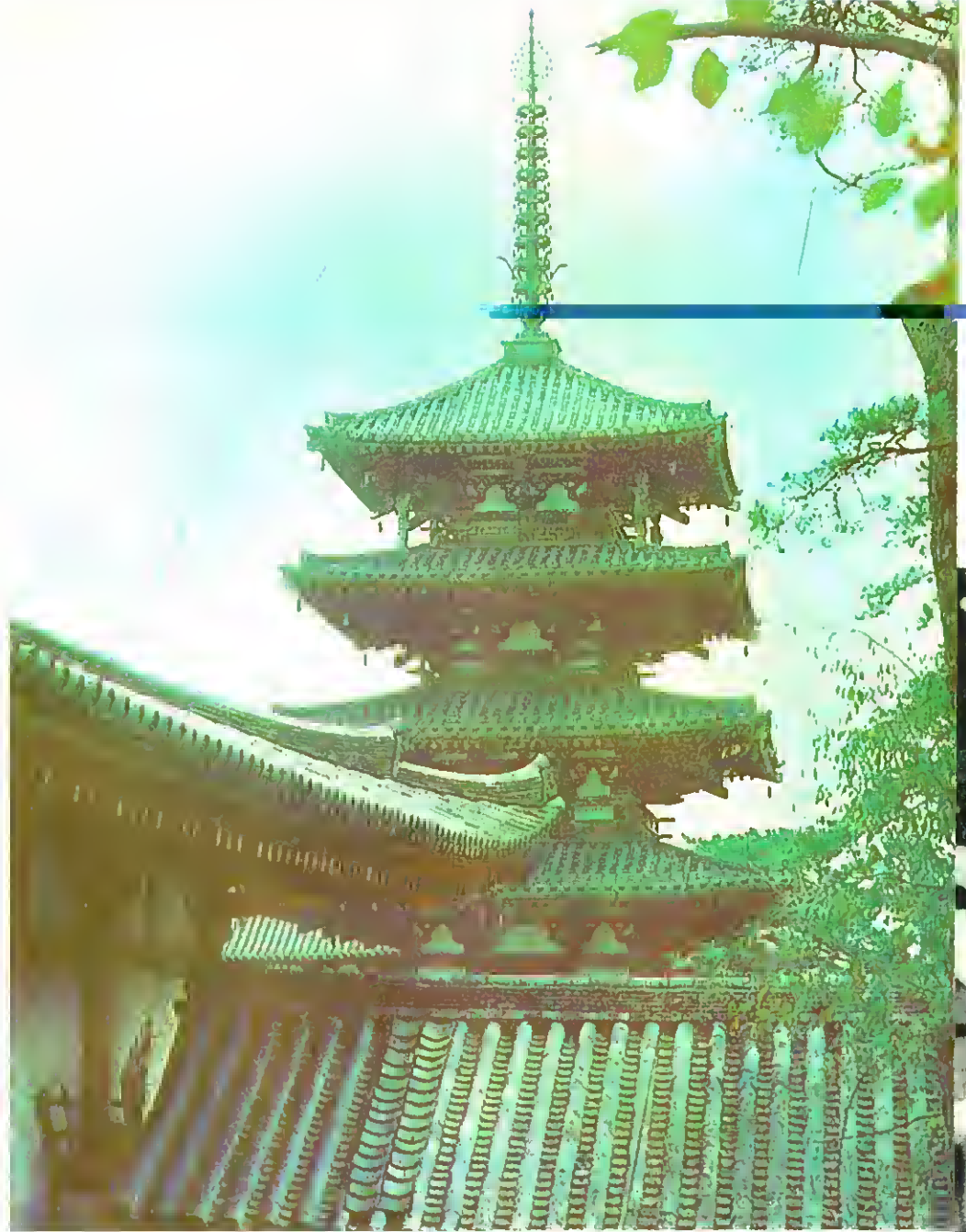
وعندما تدخل أحد هذه المساكن الخشبية اليابانية الطراز، فإن عليك أن تخلع نعليك، لأن أرضية المسكن مغطاة بسجاد مصنوع من القش وبعض الألياف النباتية. وهذه المساكن مجهزة بالأبواب المنزلقة، وستائر من الخشب أو الورق، تستخدم في تقسيم الغرف... وفي ركن غرفة الضيوف اليابانية الطراز، نجد المكان مزيناً بالزهور،

الدولة الثانية في العالم من حيث التوزيع الكلي للصحف اليومية .

ومن بين الصحف اليومية واسعة الانتشار نذكر صحف «أساهي» ، «ماينيشي» ، «يومي أورو» . وهناك صحف اقتصادية ، وصحف تصدر بالإنجليزية .

وفي اليابان عدة نظم للإرسال الإذاعي ، منها هيئة الإذاعة اليابانية ، وهي منظمة عامة تملك شبكة للإرسال تغطي جميع أنحاء البلاد ، وتحصل على دخلها عن طريق رسم

★ جبل فوجي ★



★ باجودا من حصة أودار ★

المسمى (ساشيمي) ، ويتكون من شرائح السمك النيء الذي يقدم على طبق صغير لفتح الشهية . كما أن هناك طبق (تمبورا) ، وهو عبارة عن مقلبات من طراز ياباني يلقي إقبالا مذهلاً في المعارض الدولية .

وسائل الإعلام

يزيد توزيع الصحف اليومية في اليابان عن ٥٣ مليون نسخة ، وبذلك تكون اليابان

زوج من العصي الخشبية الصغيرة التي تسمى (هاشي) . ومن بين الأطباق المكلمة العديدة ، نجد أن حساء فول الصويا (ميسوشيرو) من الأطباق المحببة إلى الكثيرين .

أما الطبق المسمى (سوكياكي) والذي يجهر بطهي شرائح لحم البقر مع الخضروات فإنه يزداد شعبية بين الأجانب .

ومن الأطباق اليابانية الأصيلة ذلك



★ القصر الامبراطوري ★

الجبليّة . وهناك فرق عديدة لكرة القدم .
ومن بين الرياضات اليابانية المميّزة نذكر
هنا لعبة «سومو» ولعبة «جودو» .
وتشبه لعبة «سومو» المصارعة ،
واللاعب الذي يدفع منافسه خارج الحلبة
المستديرة أو يطرحه أرضاً يكون هو الفائز .
كما أن رياضة الجودو تشبه
المصارعة ، ويرتدي اللاعبون ملابس
هذه الرياضة في عدد من
البلاد الأجنبية .

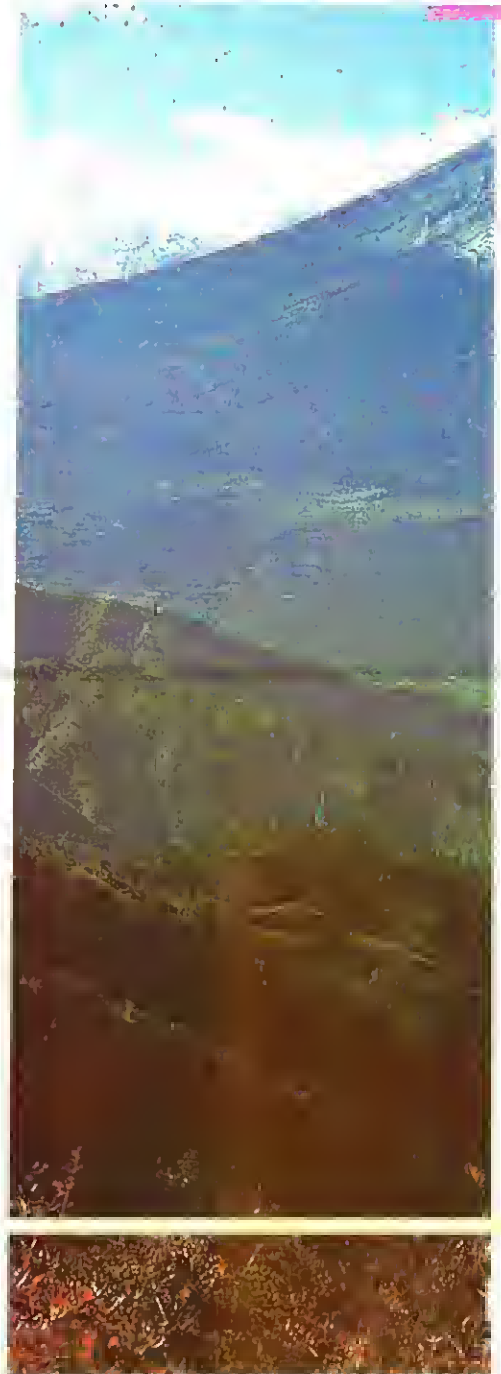
ست محطات إرسال للإذاعة المسموعة ، وخمس
محطات للإذاعة المرئية .

الرياضة

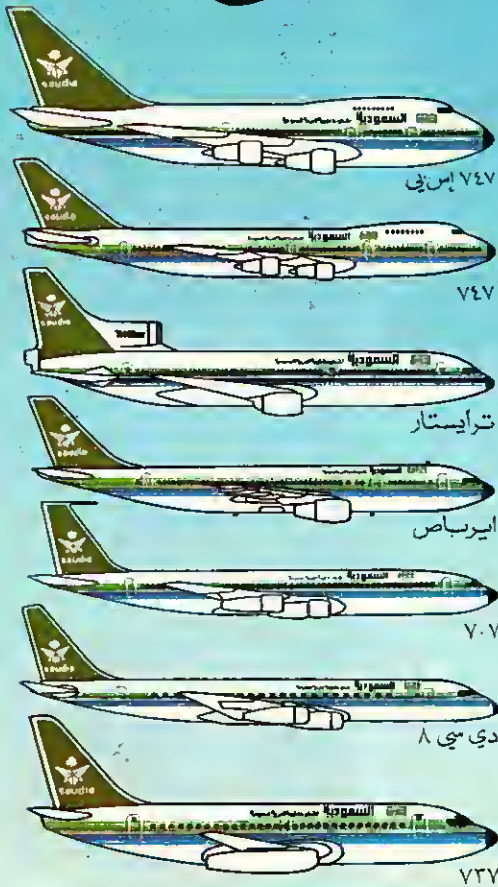
يمارس أهل اليابان جميع أنواع الرياضة ،
وتوجد ملاعب الجولف في ضواحي المدن
الكبرى . وهناك عدد كبير من نوادي لعبة
التنس ، كما أن لبعض الشركات الكبيرة
الانزلاق على الجليد عديدة في المناطق

الاستماع المفروض على مالكي أجهزة الراديو .
وهناك أكثر من مائة محطة إذاعية
خاصة تعتمد على عائد الإعلان الإذاعي .
وتعد اليابان الدولة الثالثة في
العالم من حيث عدد أجهزة الراديو
المستخدمة في المنازل .

أما الإذاعة المرئية فتقوم بها هيئة إذاعة
اليابان وعدد من الشركات الخاصة ، وعدد
أجهزة الاستقبال في ازدياد مستمر .
وفي مدينة طوكيو عاصمة اليابان ، تجد



نتمو أسرع لنخدمكم أفضل



إن مشاريع "السعودية" للتوسع في السنوات القادمة تعني أن خدمتنا للركاب ستكون أفضل فأفضل. إن إضافة ست طائرات "٧٤٧" وخمس طائرات "ترايستار" وأحدى عشرة طائرة "ايرباص" على أسطولنا الحالي تعني أيضاً أن باستطاعتنا الآن أن ننقل ركابنا إلى أماكن أكثر ونؤمن لهم عدد أكبر من الرحلات ونوفر لهم مزيداً من الراحة. وعند افتتاح المطار الجديد في جدة، سيكون للسعودية نقطة وصول خاصة بها تتيح للمسافرين القادمين من الخارج فرصة الانتقال إلى قسمنا الخاص للرحلات الداخلية دون الاضطرار إلى الانتقال من مبنى إلى مبنى آخر. والدليل الأكبر على هذا التطور المستمر في خدمتنا للركاب هو أن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين إثنتين وعشرين مطاراً في المملكة.



السعودية

عضو في إيثا

الخطوط الجوية العربية السعودية

للحجز والاستعلام: جدة ٦٤٣٢٣٣٣ الرياض ٤٧٧٢٢٢٢٢ / ٤٧٧٢٢٢٢٣ الظهران ٨٦٤٢٠٠٠

متحف طوبيا في إسطنبول

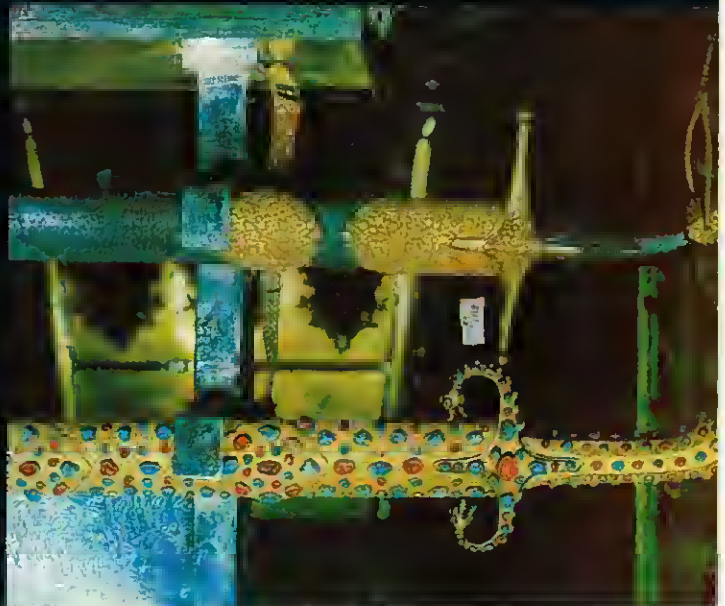


★ القرآن الكريم المخطوط على جلد غزال ★

★ سيفان من السبوف التاريخية الإسلامية ★

ويتألف القصر من عدة أجنحة، كل جناح يشمل مسكناً مستقلاً، ولكل جناح حديقته الخاصة، وتبلغ مساحة القصر ٨٢,٠٠٠ متر مربع، محاطة بسور نصفه محاذ للبحر، ولسور القصر سبعة أبواب .. أربعة منها في اتجاه المدينة، وثلاثة تطل على البحر، وأحد تلك الأبواب يسمى «طوبياقي» لذلك سمي القصر بقصر طوبياقي، وأطلق

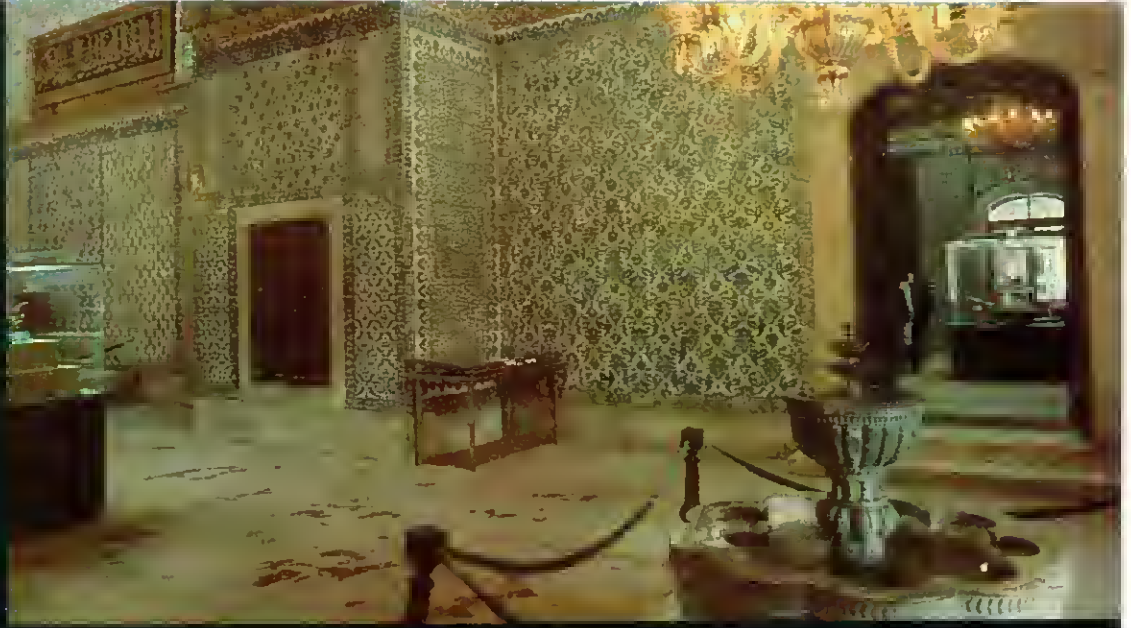
يعتبر «متحف طوبياقي» في مدينة إسطنبول في تركيا واحداً من أكبر المتاحف الموجودة في العالم، وهو يقع في الجزء القديم من مدينة إسطنبول ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٤٧٨م، حيث كان في السابق قصراً خاصاً لإقامة السلطان محمد الفاتح بعد فتحه لمدينة إسطنبول.



الثالث عشر حتى الثامن عشر
الميلادي .

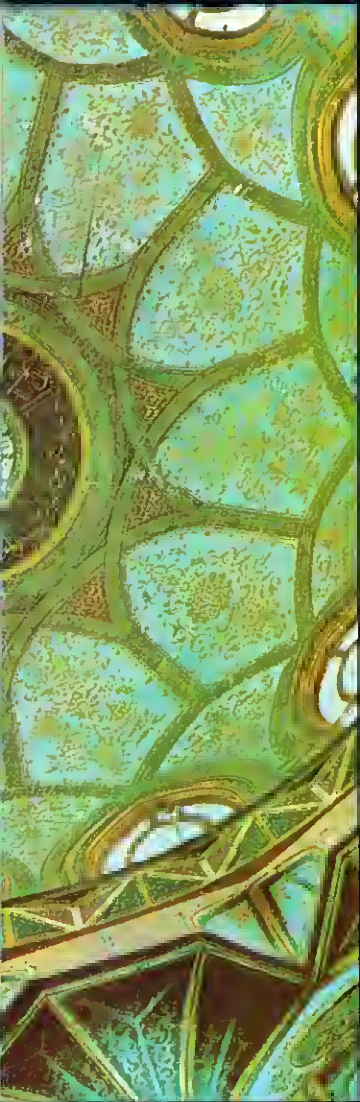
●● بيت بغداد :

بني في عهد السلطان مراد
الرايع بمناسبة زيارته لمدينة
بغداد ، وقد زينت جدرانه
وسقوفه بالفسيفساء والعاج ،
وظليت أبوابه ونوافذه وخزائنه
بقرق اللؤلؤ مما جعله غاية في
الإبداع .



★ دهليز غرفة السعادة والأعمدة الرخامية ★ ▼

▲ ★ جانب من أحد أقسام المتحف ★



نذكر منها على سبيل المثال لؤلؤة
كبيرة أهديت للسلطان
عبد العزيز من الهند عام
١٨٧٦ م ، وساعة ذهبية صنعت
في باريس عام ١٧٧٥ م .

●● قاعة النحت والخطوط :

وقد بنيت هذه القاعة في
عهد السلطان عبد المجيد عام
١٨٥٨ م ، وتحتوي على نماذج من
النحت والخطوط من القرن

أقسام ، كل قسم منها يحتوي على
مجموعة من الآثار . . وهذه
الأقسام هي :

●● "عرقه الأوز" :

وهي قاعة عروش السلاطين
العثمانيين المخصصة لاستقبال
سفراء الدول والشخصيات الهامة
من رجالات الدولة العثمانية .

●● شرقية النقائس :

وتحتوي على كل ثمين وغال
من زمن السلاطين العثمانيين ،

الاسم نفسه فيما بعد على
المتحف .

وقد بقي القصر حتى عام
١٩١٤ م ، ثم تم تحويله
إلى متحف ومركزاً لإدارة شؤون
دولتهم ، فشهد مجموعة من
الاحتفالات والأحداث الهامة
لذلك الفترة .

أقسام المتحف

ينقسم المتحف إلى عدة

●● مكتبة أحمد

الثالث:

تقع في وسط الحديقة الثالثة للقصر، أسست في عهد السلطان أحمد الثالث في القرن الثالث عشر الميلادي، وتحتوي على جميع مخطوطات القصر.

●● قاعة السلاح:

وهي القاعة التي تحتوي على مختلف الأسلحة والدرع والخوذات، وفيها نماذج من

الأسلحة لأشهر المحاربين منذ القرن الأول الهجري حتى العصر العثماني، وتعلو هذه القاعة ثنائي قباب.

●● جناح الحرم:

وهو السكن الخاص بسلطان العثمانيين منذ عهد السلطان مراد الثالث؛ تبلغ مساحته حوالي (٦٧٢٠) متراً مربعاً، وتتراوح مبانيه ما بين ٣ : ٤ طوابق، تحتوي على

(٢٥٩) غرفة، و ٢٦ حماماً، و ١٢ غرفة للخزين، و ٨ حمامات تركية، وقسم خاص بالقرص مع غرفتين للاستحمام،

هذا بالإضافة إلى ٤ مطابخ و ٦ غرف لتجفيف اللحوم، وحمام للسباحة. وتُبرز الجناح روعة الفن المعماري في تلك الفترة

حيث زينت جدرانه بالفسيفساء، وسقوفه على شكل قباب.

●● قاعة الملابس:

نصم الملابس التي كانت لأشهر السلاطين العثمانيين ابتداء من السلطان محمد الفاتح حتى السلطان مراد السابع، ويوجد في هذه القاعة العديد من القفطانين، من بينها قفطانين للسلطان محمد الفاتح أحدهما موشى بالذهب، وآخر موشى بالفضة وهما مصنوعان من أفخم أنواع الحرير. وتضم القاعة

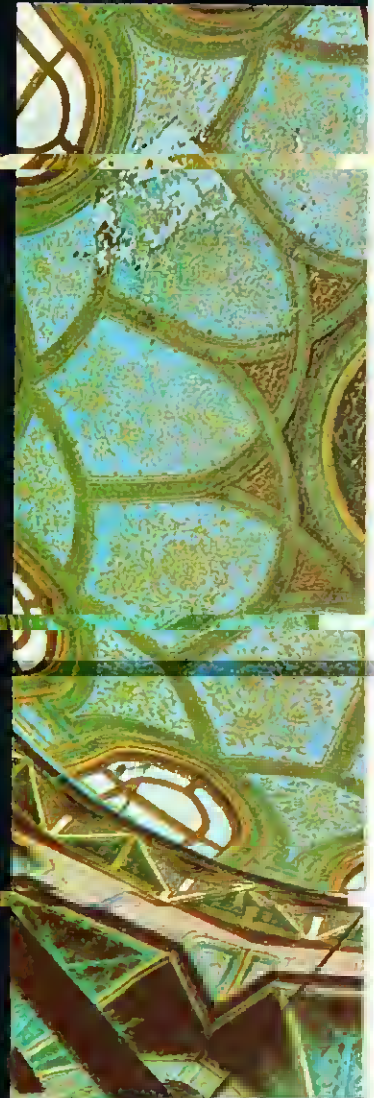
★ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى القوقس ★



★ مفتاح الكعبة المصنوعان من الفضة ★



★ غرفة الصلاة والقبلة ★



أيضاً قسطنطين الذي كان يرتديه حين فتح مدينة إسطنبول والذي قيل بأنه ارتداه لمدة (٥٣) يوماً حيث كان على رأس الجيوش ليل نهار، وقسطنطين الذي كان يرتديه حين توفي.

وبقياس ملابس السلطان محمد الفاتح يبدو أن طوله كان يبلغ ١,٧٠ سم إلى جانب أنه كان نحيفاً معتدل البنية.

●● الجناح الإسلامي :

ويسمى بجناح (الأمانات المقدسة) ففي القرن الخامس عشر الميلادي أمر السلطان محمد الفاتح بإنشاء قسم خاص للأمانات المقدسة . في هذا القسم من القصر كان السلطان يقوم بإدارة أمور الدولة اليومية ، ويستقبل الزائرين ، ويقبل البيعات الخاصة .

ولم يحتفظ هذا الجناح من

القصر بشكله الأصلي فقد تأثر بفعل الزلازل والأحداث التي مرت عليه ، وقد عمل على ترميمه أكثر من مرة . وعندما فتح السلطان سليم الأول مصر أمر بإرسال الآثار الإسلامية التي يجدها الباحثون إلى قصر طوبياقي . وقد حرص السلطان أحمد (١٦٠٧ - ١٦١٧ م) أن توضع جميع الآثار الإسلامية في هذا الجناح ، إلى أن أمر

السلطان محمد الثاني بتخصيص مكان للآثار الإسلامية ، أطلق عليه اسم (الأمانات المقدسة) .

وأول ما يشاهد الزائر في هذه القاعة اللوحة التي كتب عليها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وهي محفوفة بالملس كتبت بخط يد السلطان أحمد الثالث الذي اشتهر بمجودة خطه . وفي القاعة إطار من الذهب

★ مدخل التحف ★

★ إحدى اللوحات التي تزين بعض جدران التحف ★





★ إحدى اللوحات التي تمكّن تطور الخط العربي وتقدمه ★

★ لوحة كلمة التوحيد ويرافها الزائر معلقة على الجدار ★

الخالص وزن (١٤,٦٠٠) غرام كان حول الحجر الأسود، ودرفة قديمة لباب الكعبة المشرفة كانت قد استبدلت بأخرى جديدة عام ١٥٩٢ م، ومزاريب من الذهب والفضة ومفتاحان من الفضة كانت قد صنعت للكعبة المشرفة، إلى جانب قطع من ثوبها الشريف.

وهناك نسخة من المصحف الشريف كتبت على جلد الغزال عليها بعض بقع من الدم يقال بأنها النسخة التي كان يقرأ فيها الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما استشهد. كذلك يشاهد الزائر في هذه القاعة حتماً من العقيق كتب عليه «محمد رسول الله».

وفي ناحية أخرى من القاعة يوجد (٢١) سيفاً أثرياً لأشهر المحاربين المسلمين وهي موضوعة في أغماد مرصعة بالأحجار الكريمة التي صنعت لها في عصر العثمانيين، ويقال بأن من بين تلك السيوف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيوف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

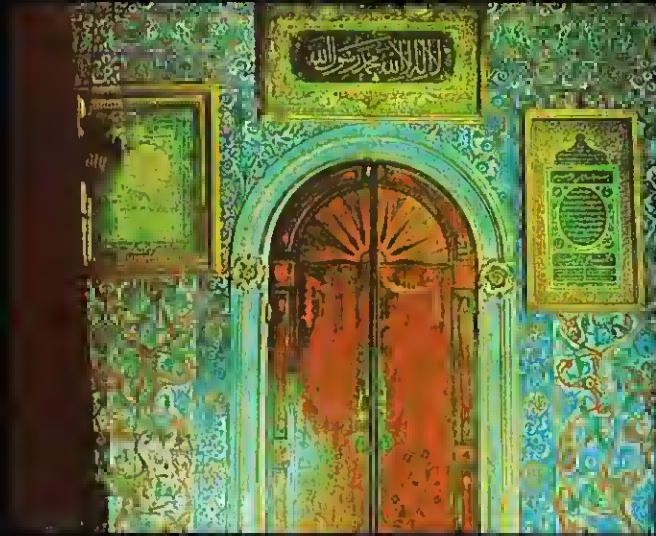
ومن بين تلك الآثار الموجودة في متحف طوناني رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي بعث بها إلى المقدونك ملك الاقباط داعياً إياه إلى الإسلام، وقد وضعت في إطار من الذهب ووضع إلى جانب الرسالة النص الكامل الذي تضمنته الرسالة وذلك لأن أجزاء منها قد تقدم

عليها الزمن. هذه لمحة سريعة عن هذا المتحف الزاخر بكثير من الآثار الإسلامية والتاريخية التي لا توجد في كثير من متاحف العالم.

والحديث عنه في شمول يتطلب صفحات طويلة تتناسب وصفحات التاريخ الكبيرة والهامة التي تختصر آثارها داخل غرفة العديدة... وقد لقي المتحف عناية كبيرة من حيث التنسيق من ناحية، والكتابة عنه من ناحية أخرى، فقد صدرت مجموعة من

الكتب والنشرات المزودة بالصور، مما يجعل الإحاطة بما يحتويه في هذه السطور أمراً ليس سهلاً.

ويرتاد المتحف الآن الزوار في كل عام الذين يأتيون من كل بلاد العالم... وهو من المعالم الهامة والبارزة التي تمتاز بها مدينة إسطنبول.



★ قطعة من الستائر المأخوذة من غطاء الكعبة ★





سيكو SEIKO
تقدم

الجديد من الساعات الميكانيكية

سيكو SEIKO 5



تجدرنا الذي جميع موزع الساعات
في المملكة العربية السعودية
الوكالة العامة:



الشيخ محمد الغزالي



إعداد:

عاطف مصطفى

في هذا الحوار يحدثنا الشيخ محمد الغزالي عن الدين الإسلامي وقضاياها المعاصرة ... عن المساواة والعدل الاجتماعي ، وما للمرأة المسلمة من حقوق وما عليها من واجبات ، وكيف يمكن للعرب أن يصلوا إلى قوتهم ومجدهم القديم . والشيخ محمد الغزالي ، أحد الذين كرّسوا حياتهم من أجل الدين والعقيدة ، مجتهداً دؤوباً .. وله كثير من المؤلفات والبحوث الإسلامية ، بالإضافة إلى أنه رئيس لقسم الدعوة وأصول الدين بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

الأئمة الإسلامية في وضع يفرض عليها القيضة

وعندما جاء مندوب قريش ليستمع إلى ما عند النبي عليه الصلاة والسلام ، قرأ عليه فيما قرأ في وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . فلما انتقل إلى المدينة المنورة ، قام المجتمع الإسلامي على الأخوة المتكافئة في السراء والضراء ، فليس هناك متخم وجائع .. بل الأمر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم » .

ولما كانت المدينة بلداً زراعية ، فقد تدخل التشريع في عقد الإيجار ومداه ، ورغب النبي عليه الصلاة والسلام ، الأنصار ملاك الأرض في أن يعطوا المهاجرين الفقراء الأرض يزرعونها ، دون أن يدفعوا إيجاراً لها .

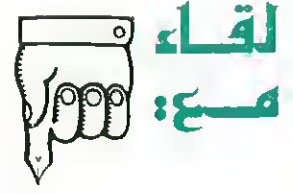
وعندما ملك النبي غنائم بني النضير ، جعل هذه الغنائم كلها لفقراء المهاجرين ، ولم يعط إلا اثنين من الأنصار كان بهما فقر ، وعلل القرآن الكريم هذا التقسيم بقوله سبحانه وتعالى في كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . أي لا يكون المال حكرًا على طائفة من الناس ، يتداول بين أفرادها ، لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، أي أن النبي

المساواة والعدل الاجتماعي في الإسلام

●● الإسلام دين عالج كل قضايا العصر . مليء بالجوانب المشرقة التي تتصل بالإنسان ، وتبحث أمور حياته . نود أن تحدثنا عن المساواة والعدل الاجتماعي في الإسلام .

★ يتفق الباحثون جميعاً على أن الإسلام عبادات ومعاملات .. إيمان ونظام ، أو بتعبير العصر .. دين ودولة . والدولة أو النظام في الإسلام تخدم النصوص والقواعد والقيم التي تقرت في هذا الدين العظيم .

وقد بدأ الإسلام في مكة المكرمة ، ففرق بين الإيمان ، وبين إطعام الجائعين ، ومواساة المحرومين ، فمن أوائل ما نزل نقرأ قوله تعالى في وصف من يستحق العذاب في إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . وكذلك قوله جل شأنه في أرايت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين .



● أتمنى أن تعم الأمة العربية نهضة سريعة

لكن هناك مواهب تتفاوت ، ونشاطاً في الإنتاج لا يتساوى الناس فيه بدهاء ، ولا يقبل أحد أن يسوي بين خائن وأمين ، ولا بين منتج وعاطل كسول ...

المساواة أن يأخذ المتكافئان أجراً واحداً ، وأن تتاح لهما الفرص على سواء ، أما أن يأخذ الأذكى مربياً أكبر ، فهذا لا حرج فيه ، ولا يوجد في الدنيا نظام يفرض المساواة بين المختلفين في قدراتهم وخبراتهم ، والشكوى التي يجار بها الناس ترجع إلى المساواة في الحقوق العامة غالباً ، وعدم التزام قواعد دقيقة في تطبيقها ، فربما تخرج اثنان من كلية واحدة ،

وأضعف الحظ أحدهما فبلغ القمة وقعد بالآخر ، فبقي يضرب في السفوح ، وربما كانت الأمور فوق ما يتصور الحلم أي ربما كان الأغبي هو الذي صعد ، والأذكى هو الذي هبط .

إن هذا الاضطراب الخلقي هو الذي يجعل كثيراً من الناس يطلب المساواة ، ويسعى وراءها ، والإسلام ظهيره في هذا السطلب ، وذاك السعي ، فإن الناس في الحقوق العامة سواسية كأسنان المشط ، وما يتفاضلون إلا بالتفوى والعمل الصالح .

عليه الصلاة والسلام ، بهذا العطاء للمهاجرين ، أقام توازناً اجتماعياً في المدينة المنورة ، هو من أهداف الإسلام كما بينا .
ونصوص الدين وقواعده العامة ، توجب على المسلمين جميعاً العمل في أرض الله ، واكتساب الرزق من الكدح فيها ، والضرب في جنباتها . وهذا هو المصدر الأول لدخل الفرد ، فما يجوز أن نمتد إلى الزكاة يد فادر على العمل ، متسكع في دروب الحياة ، وفي الحديث : « لا تجوز الصدقة على غني ، ولا على ذي مرة سوي » أي صاحب قوة سليم الأعضاء والحواس ، وكأن الزكاة بهذا التوجيه ، إنما تجيء إغاثة لمن أرغم على التعطل بسبب معقول .

وتعاليم الإسلام في هذا المجال نحترم رأس المال ونعطيهِ حتى التكون والغناء ، ولكنها تثقله بالحقوق الاجتماعية ، التي تسد كل ثغرة في الحياة العامة .

أما ما يتصل بالمساواة فأريد أن أفرق بين أمرين :
هناك حقوق عامة يمكن أن نفهم فيها معنى المساواة ونحققها . . مثل حق الحياة ، وحق التملك ، وحق التعليم وما أشبه ذلك .
والناس في هذه الحقوق العامة سواء ، فلو أن عبقرياً قتل كائن طريق لقتل فيه قصاصاً عدلاً ، لما يعرف الإسلام في هذه المساواة نسباً ولا امتيازاً .

● العودة إلى الإسلام
نصراً وروحاً
هي العلاج الأمثل
لكل مانعاني!





تعود بها إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة

أنا أفهم أن تكون المرأة مدرسة أو طبيبة ، لكن ما معنى أن تكون سكرتيرة أو كاتبة في بعض الدواوين ؟

إن كل اللجان التي درست العلاقات الجنسية في الحضارة الحديثة انتهت إلى أن الخيانات الزوجية والاتصالات المنحرفة تجاوزت الثمانين في المائة في العلاقات بين الجنسين . . .

هل يلام الإسلام ، إذا أقام نظامه على عدم تكليف المرأة بالارتفاق ، وجعل الزوج أو الأب مسؤولاً عن زوجته أو ابنته ! . . . هل يلام الإسلام إذا عرف أن المرأة ستفقد عرضها في طريق لقمة الخبز ، فوضع نظامه على أساس توفير اللقمة لها واستبقاء عرضها مصوناً ؟

ونستطيع أن نتساءل . . هل العري والرقص والتبذل واستثارة الغرائز الهاجعة . . هل هذه حقوق رفيعة كسبتها المرأة ، فدعمت بها جانبيها في المجتمع ، أم أن هذه نزعات حيوانية فرضها الرجال الأشرار لكي يتبذلوا المرأة ، ويجعلوها طوع شهواتهم ؟

إن تعاليم الإسلام بالنسبة إلى النساء ، فيها ضمان كامل للكرامة المادية والأدبية ، لكنني أعرف بأن هناك أشخاصاً انتسبوا للإسلام ، وباسمه ظلموا المرأة ومنعوا حق العبادة في المسجد ، وحق التعلم في الجامعة ، بل منعوا حقها الطبيعي في الزواج ، إذا لم يأخذ الأب أعداداً كثيفة من الريالات . . . آسف لأنه باسم الإسلام أنشئت تقاليد ظلمت المرأة ، وأضعفتها مادياً وأدبياً ، ولكن علاج هذا الانحراف الديني ، لا يكون بإثارة الانحراف الحضاري الحديث ، وإلا كنا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

العودة إلى الإسلام نصاً وروحاً ، هي الدواء الوحيد لكل ما نعانى ! . . .

بدع دخيلة على الإسلام

●● هناك بدع كثيرة دخلت الإسلام . . كيف يمكننا أن نتخلص من دعاوى الضعف والوهن . . فالإسلام هو دين القوة والإرادة والعزيمة ، دين التشريع والأحكام التي حددها القرآن الكريم . . ناموس هذه الأمة ؟ . .

تعاليم الإسلام ضمان كامل للمرأة

●● ما دمنا نتحدث هنا عن العدل الاجتماعي والمساواة في المجتمع الإسلامي ، فما الذي تقوله عن حقوق المرأة في الإسلام ، وما واجباتها تجاه دينها الخفيف ؟

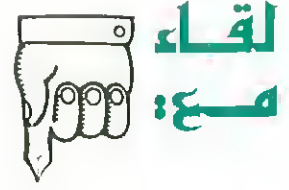
★ النساء شقائق الرجال ، كما جاء في الحديث الشريف ، وحقوقهن هي حقوق الرجال ، لا خلاف بين الجنسين إلا فيما ندر ، واتصل بطبيعة المرأة . أما في الحقوق العامة فهي والرجل سواء في كل شيء ، كما قال تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أصيب عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ببعضكم من بعض ﴾ .

وإذا كان الإسلام قد جعل نصيب المرأة في الميراث ، هو في الغالب على النصف من نصيب الرجل ، فذلك لأن المرأة في النظام الإسلامي لا تكلف بنفقة ولا مهر ، بينما يكلف الرجل بذلك . فالنصيب الكامل الذي أخذه الرجل لم يبق له ، أما النصف المقرر للمرأة ، فهو باق لها .

وإذا كان الإسلام قد جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل ، فإن السبب في ذلك أن طبيعة الدورة الشهرية التي تنتظم في حياتها تسبب لها مضايقات نفسية وفكرية ، وقد قرأت لأحد علماء الطب في هذا المجال أن المرأة تُصاب في أثناء الدورة بعمى الألوان ، وبمجموعة من العلل الأخرى ، فإذا احتاط الشارع لضمان العدل ، فضم إلى المرأة امرأة أخرى ، فلا لوم عليه في هذا ولا تجريح للمرأة . . . أما ما عدا ذلك ، فإن المرأة والرجل في الحقوق السدنية والمدنية سواء .

إن أوروبا ورثت مجتمعاً غير المجتمع الإسلامي ، أوروبا كانت بها مجامع تناقش هل المرأة إنسان له روح كالرجل ، وكان القانون الروماني ولا يزال يمنع تصرفها في مالها الخاص ، ويجعل الزوج هو القيم على تصرفاتها المالية .

صحيح أن المرأة في العصر الحديث أخذت حق العمل في المجتمع ، وخرجت لتشارك الرجال في كل شيء ، فإذا كسبت المرأة من هذا المسلك إلا الشقاء ؟



● ابن عربي يزعم أن كتابه «الفتوحات» ثلثاه

لا يجدي على أمتنا شيئاً .. ولذلك فإني أرجو أن تعمنا نهضة سرية تعود بنا إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة .

ابن عربي

●● حدثت محاولة لمنع كتاب ابن عربي «الفتوحات الحكية» .. ما هي في نظركم حدود المنع والإباحة بالنسبة للفكر من وجهة نظر الإسلام ؟

★ أنا ممن يحترمون حرية الرأي . ومن يرون أن الحق يملك من الأدلة ما يرجح كفته ، ويزينه في أعين الناس ، ولذلك فإن مبدأ المصادرة يحتاج إلى تحفظ في إفراجه ، ربما أقبله عندما يكون ما نشر هدماً لمقومات الأمة ، وخدمة لأعدائها ، أو نوعاً من النزق العقلي ، لا يخدم مثلاً أعلى ولا غرضاً شريفاً .

ومن حق الأمم في هذه اللحظة أن تحمي نفسها وشبابها ، وأن تضع سدوداً أمام من يبتغون لها الدمار .

أما في الأمور الأخرى ، أي حيث تتفاوت وجهات النظر من النواحي السياسية أو التشريعية أو الاجتماعية ، فالرأي عندي أن نسمع كل ما يُقال على شرط أن يتمكن حملة الحق من إبداء رأيهم وسوق أدلتهم .. وأنا حسن الظن بالضمير الإنساني ، وبالفكر الإسلامي .

إن الإنسانية لا تنجح إلى باطل إذا عرفت الحق معرفة شاملة مستوعبة ، وعندي أنه إذا عجز أهل الحق عن خدمة قيمهم بالطريق العقلي ، والإقناع الحر فليسوا أهلاً للحياة .

وأضاف الشيخ محمد الغزالي :

بعد هذا التقديم أقول : إن كتاب ابن عربي «الفتوحات الحكية» ، وكتابه الآخر «الفصوص» مليئان بخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست الرؤى في المنام مصدراً للمعارف الدينية ، وابن عربي يزعم أن كتاب الفتوحات تلقاه في الرؤية ، فهل يترك الناس الحقائق التي تلقوها عن الثقافة لأحلام ناظم؟! .. وهل يترك الناس الحقائق التي وصلت بهم إلى غزو الفضاء لمنطق نظري يتجههم للأدلة الحسية والمنعوية المعتبرة؟! ..

★ الأمة الإسلامية أصابتها أمراض الأمم التي سبقتها ، فأدخلت في دينها ما ليس منه ، ونقصت منه ما هو من صميمه ، وتوجد مخترعات وخرافات تنسب إلى الإسلام ، والإسلام منها بريء .

لقد رأيت أحد الحكام في يوم من الأيام يدخل المسجد بعد صلاة المغرب ليحضر حفلاً دينياً مبتدعاً ، ويخرج قبل صلاة العشاء ، أي أنه أهمل ركعتين ، وأمايتها ، وأحيا خرافة وشارك فيها .. فأني تسدين هذا! ..

والمسلمون الآن مصابون بتدين الشكل ، لا تسدين الموضوع . والدين عندما يتحول إلى طقوس ومراسم يفقد قيمته .. لأن الدين قبل كل شيء ، قلب حي ، وضمير يقظ ، وسريرة نظيفة .

وأرى أن الأمة الإسلامية في وضع يفرض عليها سرعة اليقظة ، فإن الذئاب تتعاوى من كل ناحية كي تنهشها ، ويعود كل ذئب يشلو منها .. والعودة إلى الإسلام في هذه الحال هي ضمان حياة وسياس وجود .

أي أن الدين ، والحالة هذه ليس كسباً للجنة ، وبعداً عن النار فقط ، بل هو قبل الآخرة وقدومها كسب ليومنا الحاضر ، وضمان لقضايانا المهددة .

إن أمتنا إلى الآن تنال من نفسها أكثر مما ينال أعداؤها منها . والسبب أن الناس إذا لم يجمعهم الحق فرقههم الباطل ، وإذا لم يحشدوا على الصراط المستقيم ، تفرقوا في عشرات الطرق ، وعندئذ نكون الفرص موانية لأعداء متربصين كثيرين .

لقد نجح المسلمون الأوائل في توسيع رفعة الدولة الإسلامية ، فإذا هي تشمل المعمور من ثلاث قارات . كان البحر الأبيض والأحمر والأسود بحيرات إسلامية ، فما الذي جعل المسلمون الآن يدفعون بعجز عن تراثهم . ويطمع كل عدو في النيل منهم! ..؟

لا أمل إلا بعد العودة إلى الإسلام الحقيقي ... أما الخرافات التي لبست ثوب الدين ، والبدع والخرافات التي يجنح إليها العوام ، والخيال والمهازل التي يرتكها بعض المنتسبين إلى الفكر الديني ، فهذا كله



في الرؤية وهونائم، فكيف لنا أن نصدق أحلام نائم؟!

جاءت بدعة القومية العربية ، فإذا هذه القومية تكفر بالإسلام ، وتتجهم للأجناس الداخلة فيه ، وتخلق أعذاراً للفصل بين المسلمين والعرب ، وهم أكثر من تسعة أعشار الجنس العربي ، وبين المسلمين والهنود والأعاجم والأتراك وغيرهم .

وهذا الذي صنعته القومية العربية أضرَّ بها ، وأسقط قضاياها العالمية والمحلية .

لقد اعتبر العرب قضية فلسطين عربية لا إسلامية ، فإذا كسبوا ، وأرادوا أن يعيشوا بلا دين ولا عقيدة ، بينما يتحرك اليهود حوزهم بدينهم وعقيدتهم ، ويسمون دولتهم تسمية دينية خالصة «إسرائيل» فإذا جئنا من هذا المسلك؟..

إن العرب أكثر قليلاً من مائة مليون ، والمسلمون يبلغون الآن ملياراً من الأنفس ، فإذا يكسبه العرب عندما يصنعون فجوات عميقة بينهم وبين إخوان العقيدة في القارات الخمس؟..

إن العروبة بلا إسلام مهزلة يجب أن تنتهي .. وإذا رجعت العروبة إلى أصلها الديني الذي شرفها الله به ، التقت مع الأمة الإسلامية الكبرى في وحدة تعطي العرب القيادة .. إذا أرادوا الزعامة ، وتجعل لهم ظهيراً من أجناس تزيد عليهم بتسعة أضعاف .

ولذلك فإن الوحدة العربية تتم على الوجه الصحيح ، يوم تنهض على دعائمها العقيدة ، وتلتقي مع الوحدة الإسلامية في صف واحد وهدف واحد .

كلمة أخيرة :

دعني أقول في النهاية موجهاً حديثي لعلماء اليوم : اتقوا الله في أممكم ، واعلموا أن الله عاب علماء اليهود قديماً ، لما أخذ عليهم الميثاق أن يقولوا الحق ، فكنتموا الحق حرصاً على الدنيا ... قال تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون ﴾ .

إن المنصوفين أنفسهم ، والغريب أن ابن عربي من بين هؤلاء ، يتكبرون وحدة الوجود ، ومع هذا الإنكار ، فإن كتابات ابن عربي تدور على محور واحد ، هو وحدة الوجود . وقد قرأت لابن عربي بحثاً يقوم على أن فرعون من أهل الجنة !.. وأن الله قبل نوبته وغفر له ، وعقل يصل إلى مثل هذه النتيجة ، لا ثقة في أحكامه !..

كيف نسمع له ، أو لبحثه ، والله يقول في فرعون ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ويشس الورد المورود ﴾ .

وأنا سبب الحظ بمن يدافعون عن كتاب ابن عربي .. إنهم يعطون حرية الرأي للضلال وحده كي يقول ما عنده ، فإذا تحرك الحق لدفع الشبهات ، بدأت المصادرة والمكابرة ، فأين هذه الحرية ، وما مداها .

والذين غضبوا لمصادرة كتاب ابن عربي ، لماذا لم يغضبوا لمصادرة كتبنا نحن ، ويطلبوا بتركها تأخذ مكانها بين أيدي القراء .

لقد تبين لي أنه في المجتمعات المختلة ، يكون لكلمة الحرية رنين العملة المزيفة ، فهي حرية موجهة تقبل إذا نفعت فلاناً ، وترفض إذا وقفت دونه .

الوحدة الإسلامية

●● وكيف يمكن في نظركم التقاء الوحدة العربية والإسلامية ؟

★ إن الوحدة التي قامت عليها أمتنا خلال القرون الأربعة عشر التي غتل تاريخها ، هي الوحدة الإسلامية ، والمسلمون على اختلاف أجناسهم كانوا يعطون العرب فضلاً زائداً ، وصدارة ملحوظة ، لأن العرب ، كما عبّرت في بعض كتبي ، هم دماغ الإسلام وقلبه .

فالقرآن عربي اللسان ، والنبي عربي الجنس ، وقبله المسلمين في الصلوات تنع في أرض عربية ، والثقافة الإسلامية في جميع ميادينها عربية المنبع .

أي أن الوحدة العربية أعزت العروبة وكرمتها ، حتى

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

في كتابات

أول من صنّف كتاباً في غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام هو إمام المغازي (موسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي) الذي عاش في زمن خلافة بني أمية ، وتوفي سنة ١٤١ هـ . ثم سلك طريقه محمد بن إسحق الذي توفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ .

وقد اشتهر ابن إسحق شهرة كبيرة بسبب كتابه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وينقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام :



- ١ - كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء ، وقد احتفظ الطبري بنقول كثيرة منها في كتابيه الكبيرين : التاريخ ، وتفسير القرآن الكريم .
- ٢ - كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٣ - كتاب المغازي .

التلميذ هو : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ، صاحب الكتاب الشهير (الطبقات الكبرى) أو (طبقات ابن سعد) ، وفي هذا الكتاب سيرة مطولة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ويضم تراجم مقسمة إلى طبقات مختلفة للصحابة والتابعين وتابعي التابعين حتى سنة ٢٣٠ هـ ، وهي سنة وفاة ابن سعد .

ولذلك أصبحت مصادر السيرة الشريفة تكاد تجتمع في (سيرة ابن هشام) و (طبقات ابن سعد) ، ويعتمد عليها كل كتاب السيرة من القدماء والمعاصرين على السواء .

هذه لمحة سريعة عن السيرة النبوية الشريفة التي سجلها القدماء في دقة بالغة ، وحرص شديد ، وقد ظلت كتاباتهم تتناقلها الأجيال عبر القرون من هذه النصوص التي ذكرت لك أهمها ، ولم يحاول الكتاب والباحثون منذ القرن الثاني الهجري حتى القرن الثالث عشر أن يتعبوا أنفسهم بالدراسة والتحليل ، بل كانت كتابات الواقدي تنسخ - وخاصة ما كتبه في الفتوح الإسلامية - وكثر انتشارها في أيام الحروب الصليبية لبث الشجاعة والحمية في نفوس المجاهدين .

ولم يكن المسلمون يعلمون شيئاً عما كان يكتبه الأوروبيون في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى مطلع العصر الحديث ، وقد دهش

ولكن ما كتبه ابن إسحق عن السيرة الشريفة رواه لنا عبد الملك ابن هشام الذي توفي في مدينة القسطنطينية بمصر يوم ١٣ من ربيع الآخر سنة ٢١٨ هـ . وذاعت شهرة ابن هشام أكثر من ابن إسحق ، وأصبحنا نعرف (سيرة ابن هشام) كمصدر أساسي في كتب السيرة ، وقد ترجمها إلى الألمانية المستشرق ج . فايل (سنة ١٨٦٤ م) ، ونشرت نسختها العربية في ألمانيا (١٨٩٩ م) ، ونشرت في مصر مرات متعددة ، كما ترجمت إلى اللغة الفارسية .

ومن كتاب السيرة القدماء « أبو عبيد الله محمد بن عمر الواقدي » ، وكان بائع حنطة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فسدت تجارته ، وكثر عليه الدين ، وعندما حج هارون الرشيد وزار المدينة المنورة ، فقام الواقدي بعمل الدليل للرشيد ودله على كل المشاهد ، فأعجب به ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، لكنه أنفقها وضاعت به الدنيا ، فرحل إلى بغداد ، وعيَّنه الرشيد قاضياً في الجانب الشرقي لعاصمة العباسيين ، وهناك ألّف كتاب (المغازي) عن غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام .

وكان للواقدي تلميذ يساعده ، ويلقب نفسه بلقب (كاتب الواقدي) . وقد أصبح التلميذ أكثر شهرة من الأستاذ ، وهذا

●● إن الكتاب والمفكرين المسلمين لم ينفصلوا عن الفكرة الإسلامية المعاصرة ، وهي : تجديد الفكر في الإسلام ، وكانت فكرة إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة ، في مقدمة هذه الاتجاهات التجديدية .

●● الملاحظ في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر ، أنه كان ولا يزال يتجه إلى الأساسين الراسخين في الإسلام ، وهما :
● القرآن الكريم .
● السنة النبوية الشريفة .

القدماء والمحدثين

يقام : عبد المنعم شمس

أما جمهرة القراء من عامة المسلمين فقد كان علمهم يأتي عن طريق هؤلاء العلماء ، وليس بين أيدي عامة القراء كتاب سهل ميسر يستطيعون قراءته وفهمه .

ثم أصبحت الحاجة ملحة عند عامة القراء للحصول على كتاب مختصر مفيد في سيرة سيد المرسلين ، بعد أن انتشرت الطباعة ، وأصبح العلم ميسراً بين أيدي الناس . كما أن كثيرين من المثقفين المسلمين كانوا ولا زالوا غير قادرين على قراءة الكتب القديمة وفهمها ، حتى أصبحت هذه الكتب من عمل المتخصصين .

نور اليقين

ثم أراد الله جلّت قدرته أن يلتقي عالم من علماء الإسلام كان يعمل قاضياً شرعياً في مدينة المنصورة بزميل له من قضاة المحاكم المختلطة التي كانت تنطق أحكامها باللغة الفرنسية ، وحاول قاضي المحكمة المختلطة أن يعرف من صاحبه الشيخ محمد الحضري القاضي الشرعي شيئاً عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى الشيخ الحضري أن يؤلف كتاباً جديداً بأسلوب جديد عن سيرة سيد المرسلين حتى يعرفها من لا يستطيعون قراءة سيرة ابن هشام أو غيرها من كتب السيرة .

وكان كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) أول محاولة لإعادة كتابة السيرة الشريفة وبسبب هذا الكتاب عين الشيخ الحضري أستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة ، ثم بدأ الاهتمام بدراسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة ، ودراسة السيرة النبوية بصفة خاصة .

لم يكن كتاب (نور اليقين) دراسة جديدة للسيرة النبوية ، لكنه



★ هرون الرشيد ★



★ جمال الدين الأفغاني ★

الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الموزع الشهير عندما شاهد عند الفرنسيين القادمين مع حملة نابليون بونابرت إلى مصر كتاباً فرنسياً عن السيرة ، وفي أول صفحة منه صورة مرسومة للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، فأفكر عليهم ذلك واستنكره ، لكن الشيخ لم يعرف ماذا تحوي صفحات الكتاب .

ورغم قيام النهضة الحديثة في مصر وغيرها من بلاد الإسلام بعد خروج الحملة الفرنسية من القاهرة ، فإن الكتاب لم يفكروا في كتابة سيرة جديدة بأسلوب عصري يتلاءم مع روح العصر ، ورغبات القراء ، وظلت الكتب القديمة للسيرة الشريفة هي المتداولة بين أيدي الناس ، وخاصة سيرة ابن هشام التي طبعت لأول مرة في مصر سنة ١٢٥٩ هـ ، كما طبعت كتب أخرى تتناول بعض جوانب السيرة ، لكنها لا ترقى إلى أهمية سيرة ابن هشام .

بل إن كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد لم يطبع في مصر إلا في سنة ١٣٨٨ هـ (نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٦٨ م) ، وكان قد سبق نشره في ليدن بهولندا بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٢٨ من تاريخ الميلاد .

لكن علماء الإسلام عبر كل العصور كانوا يهتمون بالسيرة الشريفة اهتماماً خاصاً ، ويعرفون مصادرها ومراجعها .

كان اختصاراً مفيداً ، جمع مؤلفه مادته من الكتب القديمة ، وأسعفته دراسته الإسلامية على تحقيق هدفه من تصنيف كتاب جديد مختصر مقروء لكل المثقفين بغیر عناء أو مشقة ، وقد استفاد منه القراء طوال خمسين عاماً ، ولا يزال يعاد طبعه .

أجانب يكتبون عن السيرة

ولكن القضية اتخذت اتجاهاً آخر بعد ذلك ، فقد عرف المسلمون بعد النهضة الحديثة ، وتعلم الشباب للغات الأجنبية ، ودراساتهم في جامعات أوروبا وأمريكا . . . عرفوا كتابات كثيرة ألفها مؤلفون من الأجانب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت بعض هذه الكتابات خطيرة ، وقد أراد أصحابها هدم الإسلام ، وهي قضية معروفة منذ نشوء الاستعمار الأوروبي في العصور الحديثة . فإن هذا الاستعمار كان يواجه قوة الإسلام فحارب الإسلام ، وأذاع المستشرق الفرنسي (إرنست رينان) مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية نظريته التي تقول : إن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين . وقد تصدى له الشيخ جمال الدين الأفغاني ، وفند أقواله ، وأجابه إلى التراجع ، حتى قال (رينان) بعد أن قابل (الأفغاني) إنه شعر كأنه كان يجلس مع ابن سينا أو ابن رشد .

وفي خضم الاندفاع الأوروبي نحو مهاجمة الإسلام ، كتب كثيرون من المستشرقين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لا بد من وجود مفكر باحث مسلم للرد على مفتريات هؤلاء القوم ، وكان هذا المفكر المسلم هو (الدكتور محمد حسين هيكل) صاحب كتاب (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) الذي يعتبر أهم كتاب علمي في السيرة الشريفة صدر في عصرنا . وقد رجع الدكتور إلى الكتب الإنجليزية والفرنسية المشهورة التي ألقت عن (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) وأهمها ما كتبه : واشنطن أرفنج وسير وليام موير ومرجليوث وتوماس كارليل وإميل درمنجم والأب لامانس الفرنسي ، كما رجع إلى ما كتبه دائرة المعارف البريطانية ومعجم لاروس الفرنسي ، ولكنه لم يرجع إلى كتب المستشرقين الألمان مع أهميتها في الموضوع وأهمها كتاب محمد للمستشرق الألماني الشهير نولدكه ، لأنه لم يتيسر للدكتور هيكل معرفة اللغة الألمانية ، وهذا من نواحي النقص في كتاب حياة

محمد . لكن هذا النقص لا يقلل من قيمة الكتاب ، فإن آراء المستشرقين الأوروبيين والأميركيين تكاد تكون متفقة ، وقد تعرض لها الدكتور هيكل في قوة حجة ، ونصاعة بيان . لأنه كان من رجال القانون وأصحاب الفلسفة والمنطق في وقت واحد ، كما كان كاتباً واسع القدم ، مشرق القلم . وكانت معرفته بمصادر السيرة في اللغة العربية وافية كافية . ولذلك جاء كتابه كما وصفه الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر :

« وقد وفق الدكتور في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض ، فجاء كتابه عقداً منضداً وسلسلة متينة محكمة الخلقات . وقد أبدع في بيان الأسباب والأغراض والحكم بياناً قوياً واضحاً يجعل القارئ مطمئن النفس ، رخي القلب يستمتع بما يقرأ ويثلج صدره ببرد البقين ، فيملك عليه أمره ، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث » .

كان الدكتور محمد حسين هيكل هو الذي فتح الباب للكتابات الجديدة حول السيرة الشريفة ، لأن الكتاب المحدثين الذين سبقوه ومنهم الشيخ محمد الخضري كما أشرنا ، ومنهم أيضاً الشيخ رشيد رضا صاحب كتاب (محمد المثل الكامل) كانوا لا يتعدون كثيراً عن الكتابات القديمة مثل سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن جرير الطبري وأمثالها من مصادر السيرة .

على هامش السيرة

ثم جاء الدكتور طه حسين ليكتب السيرة بأسلوب آخر غير أسلوب صاحبه الدكتور هيكل واستخدم طه حسين براعته الأدبية وأسلوبه الشيق في كتابه (على هامش السيرة) وبذلك خرج من الأسلوب العلمي إلى الأسلوب الأدبي ، فلفت الأنظار وجذب الأفكار ، وسرّ للأجيال الجديدة من الشباب معرفة السيرة الشريفة في سهولة ويسر مما يناسب روح العصر .

إن كتاب (على هامش السيرة) من أمتع الكتب التي أملاها طه حسين ، وقد اختزن قبل إملائه الأحداث التاريخية ، ومحصلها وحققها ثم صدر الكتاب البديع .

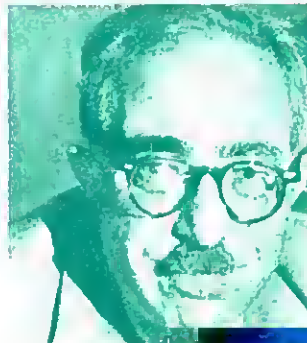
وكانت طريقة طه حسين ومنهجه في كتابة السيرة الشريفة تعتمد على أمرين :

١ - المعلومات التاريخية الصادقة المحققة ، وهذا هو منهج طه حسين في الدراسة ، وكان يملك قدرة عظيمة باهرة من هذه الناحية ، فيطابق بين الروايات المختلفة حول الخبر الواحد حتى يصل إلى الحق والصدق مما يرضي عقله وتفكيره ويقينه . . . وأنت ترى ذلك في كل الأحداث التي استخدمها في كتابه (على هامش السيرة) ، فهو لا يستخدم خياله في وقائع التاريخ ، ولا يحاول أن يفعل ذلك حتى فيما سبق من أحداث قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ - إفراغ الحدث التاريخي في أسلوب أدبي جديد يضفي

★ د. محمد حسين هيكل ★

★ طه حسين ★





★ الشيخ المراشي ★



★ عبد الرحمن الجبري ★

على الحدث أضواء من نور الكلمة وبراعة اللفظ.

وكان طه حسين يتأثر بالأحداث المرتبطة بالسيرة وما سبقها وما دار حولها تأثراً عاطفياً شديداً ، وفي نفس الوقت يرتبط أشد ارتباط بجوهر العقيدة النقية ، وأحب أن أذكر أن طه حسين كان من أوائل كتّاب الإسلام في مصر ممن كتبوا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودافعوا عن دعوته دفاعاً علمياً يستند إلى جوهر القرآن الكريم ومبادئ الإسلام ، وعندما حج طه حسين وكان معه الشيخ أمين الخولي ، استلم الحجر الأسود ويكى فيكى من معه هو يشهق بصوته المنغم :
... الله .. الله .. لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الوعد الحق

وبعد أن طاف (طه حسين) وسعى ، لم تبرح خياله السيرة النبوية الشريفة وما حولها من أحداث فألّف كتابه : **الوعد الحق** ، وتسود أحداثه في بطاح مكة المشرفة عندما كان المشركون يعذبون المسلمين عذاباً شديداً ، وكان المسلمون يقاومون العذاب بالعقيدة ، وترتفع أصواتهم بالكلمة التي مزقت قلوب الكافرين :
— أحد .. أحد .. أحد .

إن كتاب (**الوعد الحق**) يتصل بالسيرة الشريفة من قريب ، فقد كان هؤلاء المستضعفون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كان يشتري حريتهم صحابة الرسول وعلى رأسهم **الصدّيق أبو بكر** من أشرف المجاهدين في سبيل الله ، وقد أعطاهم الله وأعطى أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه **الوعد الحق** بظهور الإسلام وانتصار الإسلام .
ومن ثمّ رأى المسلمون في هذه الآية من سورة البقرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ، وصور انتصار العقيدة على أعداء العقيدة تصويراً يمتد عبر الزمان ويحطم الطغيان في كل مكان .

كانت كلمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آل ياسر :
— « صبراً .. صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » .
أعظم وأشرف كلمة قيلت في معارك الدفاع عن دعوات المؤمنين ضد الكافرين .
وأنتم تسمع صداها في أفغانستان بعد أربعة عشر قرناً من الزمان ... وهي الكلمة التي ردها عمار بن ياسر :
— أحد .. أحد .. أحد .

مشرحة للحكيم

ثم أسرت هذه الأفكار كاتب المسرح الأستاذ **توفيق الحكيم** فلم يستطع الفكّك منها ، أو البعد عنها ، فأشرق فكره ، ولعب قلمه ، بعد أن وجد نفسه داخل هذه الأضواء التي تستمد النور من نور محمد صلى الله عليه وسلم .
وكتب **توفيق الحكيم** مسرحية (محمد صلى الله عليه وسلم) كتابة

مقروءة ، لا يجوز تمثيلها على خشبة المسرح .

وكان **الحكيم** في تأليفه لهذه المسرحية يمثل انجهاً فكرياً منسجماً بين كتّاب المسلمين في عصرنا ، فقد كانت المحاولات مستمرة لإعادة كتابة السيرة الشريفة بأقلام كبار الكتّاب .
وتعتبر مسرحية **الحكيم** أهم كتاباته المسرحية لسبب واحد هو أن مؤلفها لم يحلم بتقديمها على خشبة المسرح ، بل إنها المسرحية الوحيدة التي كتبها **توفيق الحكيم** لهدف غير تمثيلها مسرحياً .
ولكن ... لماذا كتب **الحكيم** مسرحية لا تمثل على خشبة المسرح ؟

أعتقد أن **توفيق الحكيم** أراد في تلك الفترة التعبير عن قدرته الفنية بالأسلوب المسرحي على تصوير السيرة ، وهو إحساس إسلامي متفتح مشرق ، ظهر واضحاً بعد سنوات عندما فاجأنا **الحكيم** بتلخيصه لتفسير **القرطبي** للقرآن الكريم ، ولذلك فإن اتجاهات **الحكيم** الإسلامية يمكن تفسيرها على هدي النظرة الشاملة التي تضم كتّاب الإسلام في عالمنا المعاصر . وهي النظرة كريمة شاملة بحملها السيرة في إطارها الشريف كما أوضحت .

إن الكتّاب والمفكرين المسلمين لم ينفصلوا عن الفكرة الإسلامية المعاصرة وهي : تجديد الفكر في الإسلام .

وكانت فكرة إعادة كتابة السيرة الشريفة في مقدمة هذه الاتجاهات التجديدية . ومن الملاحظ في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر أنه كان يتجه إلى الأساسين الراشدين في الإسلام وهما :

- القرآن الكريم .
- السنّة النبوية الشريفة .

وقد ظهر ذلك واضحاً منذ دعوة **محمد بن عبد الوهاب** وما تلاها من دعوات عند الشيخين **جمال الدين الأفغاني** و**محمد عبده** ، أو في دعوة السنوسية في المغرب الإسلامي ، ودعوة المهديّة في السودان ، ودعوة **عبد الحميد بن باديس** في الجزائر ، وكلها دعوات متلاحقة في العودة إلى منابع الإسلام في الكتاب والسنّة .

ثم جاء **عباس محمود العقاد** فبدأ كتاباته الإسلامية أثناء الحرب العالمية الثانية عندما هاجر من القاهرة إلى الخرطوم وألّف أول كتب العبقريات الإسلامية ، وهو كتاب : **عبقريّة عمر** .

طفولته ، ومنهم من تحدث عن (محمد القائد) في حياته العسكرية ، وآخرون كثيرون تحدثوا عن الهدى النبوي في مختلف مظاهر حياته صلى الله عليه وسلم ؟

هل انتهى المطاف ؟

إن الأجيال الجديدة من المسلمين الذين تجددت ثقافتهم ، وتعددت مصادر علمهم وتعلمهم ، وهم أصحاب لغات متعددة ، أصبحوا في حاجة إلى صياغة أو صياغات جديدة للسيرة النبوية الشريفة .

والمسلمون الذين يتحدثون بالإنجليزية أو الفرنسية أو الأوروبية أو الصينية إلى غير ذلك من لغات يجدون بين أيديهم ترجمات لمعاني القرآن الكريم ، لكنهم لا يجدون كتاباً عصبياً محرراً عن سيرة نبي الإسلام ، ومن حقهم أن يجدوا هذا الكتاب الذي يتحدثهم عن نبيهم في سر ووضوح منذ ولادته حتى وفاته عليه الصلاة والسلام .

لقد أصبح القارئ في عالمنا المعاصر على ثلاث طبقات أو درجات :

- الكبار .
- الشباب .
- الأطفال .

وأنت ترى أصحاب الديانات الأخرى يهتمون بهذه النوعيات من الكتب لنشيت دعواتهم ، وإفهام مريديهم بأصول عقائدهم وما حولها من آراء .

هل يجد المسلم في نيجيريا أو اليابان كتاباً مبسطاً عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

بل .. هل يجد الشاب العربي المسلم كتاباً مبسطاً في مائة صفحة عن السيرة الشريفة ؟ .. هل يجد الطفل العربي المسلم كتاباً في عشرين صفحة عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

لقد كنا في طفولتنا نحفظ في الكتاتيب النسب الشريف لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكنا نعرف قداسته النبوية الشريفة ولا نعرف شيئاً بعد ذلك حتى تكبر وتعلم ، ولكن طفل اليوم يجب أن يتعلم قبل أن يكبر .. وشباب اليوم يجب أن يعرفوا سيرة نبيهم قبل أن يستطيع بعضهم قراءة كتب هيكل وطه حسين والحكيم والعقاد وغيرهم إذا تيسر لبعضهم قراءة بعض هذه الكتب .

إن حياتنا اليوم ، وما تتعرض له دار الإسلام من هجمات وغزوات تحم علينا تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس الكبار والشباب والأطفال ، وليس عندنا أشرف من إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة هؤلاء جميعاً بكل لغة مقروءة في كتاب .

إنني لم أكتب هذه السطور لأعرف القارئ بما كان ، ولكن لأدعوه إلى ما يجب أن يكون ، ونحن نعيش الآن في نهضة إسلامية ، فكيف لا يكون عندنا هذه الكتب الجديدة في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

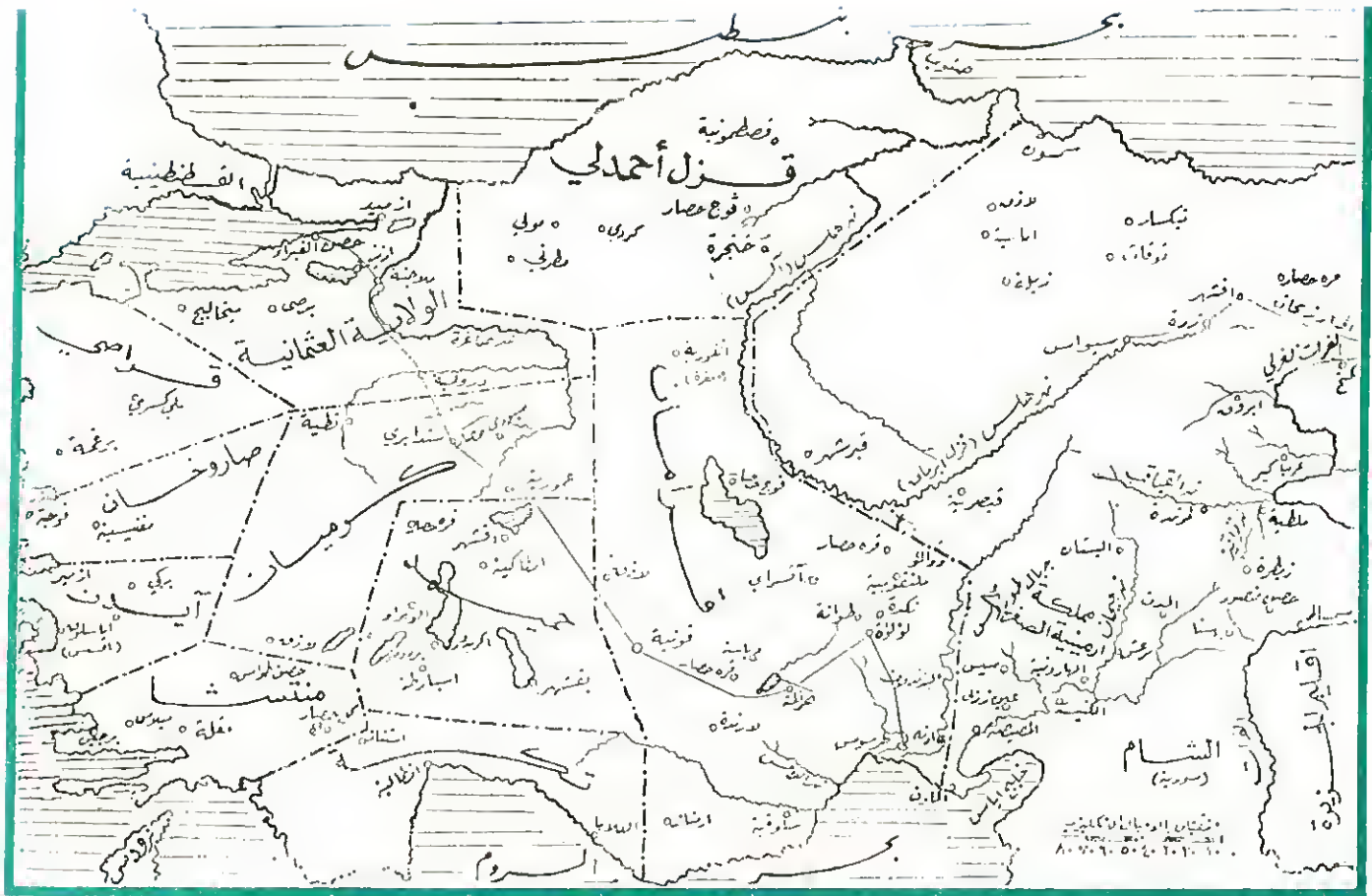
ثم كان كتابه (عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم) على نفس المنهج الذي اتخذ لنفسه ، وهو ما سماه مفتاح الشخصية ، وكانت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام مفتاحها الإنسانية الكاملة الشاملة ، وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ محمد أحمد جاد المولى في كتابه (محمد المثل الكامل) من ناحية فكرة الإنسانية الكاملة ، ولكن جاد المولى الذي كان كبيراً لفتنشي اللغة العربية في وزارة المعارف المصرية ، لم يكن في قدرة العقاد الفكرية والتحليلية مع أنه كان سابقاً للعقاد في الزمن وفي فكرة (محمد المثل الكامل) . . . والمثالية عند الكاتبين مثالية بشرية ، تعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم بشر رسول ، ولا خلاف حول هذه النظرة منذ نزل الوحي على النبي صلوات الله وسلامه عليه وحتى نهاية الزمان ، لأن هذا الوصف للنبي إنما هو من أوصاف القرآن الكريم لخاتم المرسلين .

ولذلك فإن كتابة السيرة بأي أسلوب إنما تعتمد على المصادر الأساسية وهي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ثم كتب السيرة التي ذكرنا أهمها ، وقد جمعها العقاد في إطار واحد داخل فكرة الإنسان الكامل وهي فكرة البشرية المثالية البعيدة عن الألوهية أو التأليه ، وبذلك أصبح كتاب (عبقرية محمد) من كتب السيرة الشريفة في نوب عصري جديد ، يتميز بالتحليل العقلي المفكر الذي يصل بالعقل إلى اليقين ، وهو يلتقي مع المعالقة من معاصريه : هيكل وطه حسين والحكيم في الهدف مع اختلاف طرائقهم وطرقهم في الأسلوب .

الدكتور هيكل له منهج علمي منطقي في عرض السيرة الشريفة ، والدكتور طه حسين له نهج أدبي بياني يعتمد على المصادر الصحيحة للسيرة ، وتوفيق الحكيم له أسلوب مسرحي حوارى يعرض من خلاله لمحات باهرة من السيرة ، والعقاد له أسلوب تحليلي يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة يدور من حولها كل ما يقدمه من تعريف بشخصية الرسول البشر صلوات الله وسلامه عليه .

وتبقى بعد ذلك قضية ..

هل انتهى المطاف عند هؤلاء الكتاب أو غيرهم ممن تناولوا بعض جوانب السيرة .. ومنهم من تحدث عن محمد صلى الله عليه وسلم في



★ بلاد الروم ★

فاتح شطر بلاد الروم

ومستعيد فتح شطر إرمينية

بقلم: اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى

هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي^(١).
أبوه: أمير المؤمنين مروان بن الحكم، وأمه من أمهات الأولاد^(٢)، ويريدون بتعبير: (أمهات الأولاد)، الجواري والإماء اللواتي ولدن كمواليهن ذكراً.

نشأ محمد وترعرع في ظروف قاسية شديدة أيام أبيه مروان، لكثرة الفتن والقلاقل التي عمت أرجاء الدولة، فقاتل أبوه ليستعيد الأمن والاستقرار، ويقضي على الفتن والقلاقل، فمات قبل أن يحقق جميع



أهدافه . وتولى الخلافة بعده عبد الملك بن مروان أخو محمد ، فواصل الكفاح الدائب لاستعادة الوحدة الشاملة إلى الدولة الإسلامية ، حتى تحقق له ما أراد سنة ثلاث وسبعين هجرية^(٣) ، (٦٩٢ م) ، وكان محمد نصيب في كفاح أبيه مروان ، وأخيه عبد الملك في القضاء على الفوضى ، واستعادة النظام ، وإقرار الوحدة الشاملة كما سيرد ذكره وشيكاً .

وكانت ظروف والده القاسية وظروف أخيه عبد الملك الصعبة حتى سنة الوحدة الشاملة ، تُعين على التعلم النظري والتدريب العملي بالنسبة لمحمد الذي عاش تلك الأحداث وعانها واكتوى بها .

وتروى تربية أبناء الخلفاء ، فوالده مروان خليفة ، وأخوه عبد الملك بن مروان خليفة ، فلا بد أنه تلقى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الدين والتاريخ واللغة والأدب على جهابذة العلماء في أيامه . كما تلقى العلوم العسكرية النظرية والعملية على المبرزين في تلك العلوم .

كما مارس الأعمال الإدارية والسياسية عن كثب ، وشهد كيف تعالج أمور الدولة المختلفة ، وتعطى القرارات ، وتصدر الأوامر ، ويجرى تنفيذها في محيط الخلفاء والأمراء والقادة في أعلى المستويات السياسية والعسكرية والإدارية .

ومن الواضح أنه أصبح موضع ثقة والده ، فسُيِّرَ إلى جزيرة ابن عمر قبل موته سنة خمس وسنتين هجرية^(٤) ، (٦٨٤ م) ، قبل مسير مروان إلى مصر^(٥) ، وكانت الجزيرة حينذاك تحت حكم عبد الله بن الزبير^(٦) ، فنجح محمد في مهمته نجاحاً محدوداً في السيطرة على الجزيرة ،

وأصبحت بعد حين تحت حكم الدولة الأموية ، وهذا دليل على أنه أصبح من أبرز أبناء مروان بن الحكم ، وأن العلوم النظرية والعملية والتدريب النظري والعملي التي تعلمها ، وتدريب عليها في أيامه الأولى أثرت كفاياته ، فأصبح قادراً على تحمل المسؤوليات السياسية ، والإدارية ، والعسكرية ، وهو في ريعان الشباب .

لقد كانت أيامه الأولى تعلماً وتدريباً وتجارب عملية تشابه أنداده من إخوته : عبد الملك بن مروان^(٧) ، وعبد العزيز بن مروان^(٨) وإخوته الآخرين .

توطيد الأمن الداخلي

١ - إخماد ثورة ابن الزبير :

صفا الشام سنة إحدى وسبعين هجرية ، (٦٩٠ م) ، لعبد الملك بن

مروان بعد قتل عمرو بن سعيد الأشدق سنة تسع وستين هجرية^(٩) ، (٦٨٨ م) فوضع عبد الملك السيف وقتل من خالفه . فلما لم يسق مخالف في الشام ، أجمع السير إلى مصعب بن الزبير في العراق ، وكان مصعب على العراق لأخيه عبد الله بن الزبير . واستشار عبد الملك في مسيره إلى العراق أصحابه ، فأشار عُمُه يحيى بن الحكم : بأن يقنع بالشام ، ويترك ابن الزبير والعراق ، وقال بعضهم إن العام جدد ، وقد غزوت سنتين فلم تظفر ، فأقم عامك هذا ، فقال عبد الملك : « الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده ، وقد كتب كثير من أشرف العراق يدعوني إليهم » . وقال أخوه محمد بن مروان : « الرأي أن تطلب حقلك وتسير إلى العراق فإني أرجو أن الله ينصرك » .

وسار عبد الملك إلى العراق ، وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فنزلوا بقرقيسيا^(١٠) ، فصالح أميرها الذي بعث ابنه مع عبد الملك .

وسار عبد الملك حتى نزل (مُسْكِين)^(١١) ، قريباً من مُعَشْكَر مصعب ، وكان بين المعسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان . وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كتبه ومن لم يكتبه ، وأغراهم بالمناصب والأموال ، فعزم كثير منهم على الغدر بمصعب بن الزبير .

وتدافى العسكران ، فقدم عبد الملك أخاه محمداً ، وقدام مصعب إبراهيم بن الأشتر . والتقىا فتناوش الفريقان ، فقتل صاحب لواء محمد ، وجعل مصعب يمد إبراهيم ، فأزال محمداً عن موقفه ، ولكنه استعاد مواضعه ثانية .

واشتد القتال فقتل مُسلم بن عمرو الباهلي والد قُتيبة بن مُسلم^(١٢) ، وهو من أصحاب مصعب .

وأمد مصعب إبراهيم بن الأشتر بعتاب بن ورقاء ، فساء ذلك إبراهيم وقال : « قد قلت له لا تمدني بعتاب وضريائه ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ! » فانهمز عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وباعه ، فلما انهزم صَبَرَ إبراهيم بن الأشتر فقتل ومُحمِل رأسه إلى عبد الملك .

وتقدم أهل الشام ، فقاتلهم مصعب ، ولكن رجاله خذلوه ، فكان يقول لقادته واحداً بعد واحد : تقدم يا فلان ! فلا يتنقذ أمره ويعتذر عن التقدم بأعدار واهية .

ودنا محمد بن مروان بن مصعب وناداه : أنا ابن عمك محمد بن مروان ، فأقبل أمان أمير المؤمنين ، فأجابه مصعب : « أمير المؤمنين بمكة » يعني أخاه عبد الله بن الزبير . فقال محمد : « إن القوم خاذلوك » ، فأبى مصعب ما عرض عليه .

ونادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب بن الزبير ، فقال مصعب لابنه : « انظر ما يريد منك » فدنا منه ، فقال له : « إني لك

ولأبيك ناصح ، ولكما الأمان » فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : « إني أظن القوم يفون لك ، فإن أحببت أن تأتيهم فافعل » ، فقال : « لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك ! » ، فقال : « فإذهب إلى عمك بمكة فأخبره بما صنع أهل العراق ودعني فلإني مقتول » ، فقال : « لا أخبر عنك قريشاً أبداً ، ولكن يا أبة ! الحق بالبصرة فإنيهم على الطاعة أو الحق بأمر المؤمنين » ، فقال مصعب : « لا تتحدث قريش أني قررت » .

ولم يبق مع مصعب ممن معه يطعم أسرهم ويتنفذه ، فقال لابنه عيسى : « تقدم إذن أحشيك » فتقدم ومعه ناس ، فقتل وقتلوا ، وجاء رجل من أهل الشام ليحترق رأس عيسى ، فحمل عليه مصعب وقتله ، ثم شد على الناس فانفرجوا له ، ثم عاد ثانية فانفرجوا له .

وبذل عبد الملك لمصعب الأمان قائلاً : « إنه يعز علي أن تقتل ، فأقبل أماناً ولك حاكمك في المال والعمل » فأبى ، وجعل يضارب ، فقال عبد الملك : « هذا والله كما قال القائل :

وَمُدَّجُجْ كَرَّةَ الْكُهُةِ يَزَالَهُ

لَا مُمْنَةً هَرَبًا وَلَا مُسْتَلَبًا

ودخل مصعب سراً ، فتحنط وخرج فقاتل . وترك الناس مصعباً وخذلوهم ، حتى بقي في سبعة نفر .

وأنحن مصعب بالرمي ، وكثرت الجراحات فيه ، ولكنه بقي يقاقل حتى قُتل^(١٢) بطلاً عليه رحمة الله .

وكان قتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر (دجيل) سنة اثنتين وسبعين هجرية^(١٣) ، (٦٩١ م) .

لقد كانت معركة هائلة ، خان مصعباً بعض جيشه ، والتحق قسم من فادته بعبد الملك بن مروان لأنه كتب إليهم يعيدهم ويؤمنهم حتى أفسدهم^(١٤) ، وكان ذلك هو سبب انتصار عبد الملك على مصعب .

ونكبد الجانبان في هذه المعركة هائلة آلاف القتلى والجرحى من العرب المسلمين الفاتحين الذين كانت سيوفهم على عدوهم المشترك من المشركين والكفار في البلاد المفتوحة ، فأصبحت سيوفهم عليهم في قلب البلاد العربية ، وفي قواعدها الرئيسية التي ينطلق منها الفاتحون ويعودون إليها ثانية بفتح جديد .

وكان من نتيجة هذا الاقتتال بين الإخوة ، أن الروم انتهزوا هذه الفرصة السالحة فوثبوا على المسلمين ، فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي إليه كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين^(١٥) .

وهكذا أصبح الطالب مطلوباً ، والرئيس مرزوساً ، والسيد عبداً ، نتيجة للاقتتال وتفريق الكلمة وغياب الوحدة ، وخسر المسلمون كثيراً من قادة الفتح وجنوده .

وكان محمد بن مروان الرجل الثاني في هذه المعركة بعد عبد الملك بن مروان ، وكان له فضل كبير في إحراز النصر .

٢ - إخماد ثورة ابن الأشعث :

كان من أهم واجبات الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن تولى (العراقين) : العراق والمشرق الإسلامي سنة خمس وسبعين هجرية^(١٦) ، (٦٩٤ م) ، هو القضاء على الفتن الداخلية في العراق وسلاط المشرق الإسلامي المفتوحة ، واستعادة البلاد التي انتفضت على الدولة ، وفتح بلاد جديدة .

ومضى الحجاج ينفذ هذه الواجبات بحزم وعزم وإقدام وإصرار ، وكان (رتبيل) مصاحاً يؤدي الخراج وربما امتنع منه^(١٧) ، فأراد الحجاج أن يصفي الحساب جذرياً بين الدولة وبين (رتبيل) ، فأمر إلى (سجستان)^(١٨) ، سنة تسع وسبعين هجرية (٦٩٨ م) أن يناجزه ولكنه اندحر أمام قوات (رتبيل) متكبداً خسائر فسادحة في الأموال والأرواح^(١٩) .

ولم يكن الحجاج من القادة الذين يسكتون على اندحار قوة من قواته في إحدى جهات القتال ، لذلك قرر أن يلقن (رتبيل) في عقر داره درساً لا ينساه أبداً ، فاستأذن عبد الملك بن مروان في تسيير الجيوش إلى (رتبيل) فأذن له .

وعكف الحجاج على تجهيز الجيش ، فجعل على أهل (الكوفة) عشرين ألفاً ، وعلى أهل (البصرة) عشرين ألفاً ، وجد في ذلك جداً لا هوادة فيه ، وأعطى الناس أعطياتهم كاملة ، وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وأنجدهم بالخيال الرائقة والسلاح الكامل ، وأعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء ، وأمر على الجيش بعد الفراغ من إعداده عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث^(٢٠) .

وسار عبد الرحمن على رأس جيشه ، وأحرز نصراً مؤزرأ على (رتبيل) فكتب إلى الحجاج بما فتح الله على المسلمين وبما يريد أن يفعل . وهناك روايات أخرى عن إرسال عبد الرحمن ، لا مكان لها هنا ، لأنها خارجة عن نطاق سيرة محمد بن مروان .

وكان عبد الرحمن يرى أن يترث المسلمون التوغل في بلاد (رتبيل) حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها ، وكتب بمجمل خطته هذه إلى الحجاج .

ولكن الحجاج رفض خطة ابن الأشعث ، وأمره بالوغرل في بلاد (رتبيل) وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم .

ودعا ابن الأشعث الناس وقال لهم : « أيها الناس ! إني لكم ناصح ، ولصالحكم محب ولكم في كل ما يحبط بكم نعمة ناظر ، وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي بما رضىه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم . وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج فأتاني كتابه يُعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغرل بكم إلى أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم ، أمضي إذا مضى ، وآي إذا أبيت » .

ونار إليه الناس وقالوا : بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع !!

ووثب الناس إلى ابن الأشعث فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ، ولم يذكر عبد الملك بن مروان بنهي^(٢٢) . وعاد عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق بمن معه ، فلما بلغ (فارص)^(٢٣) اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك ، فقد خلعنا عبد الملك .

واجتمعوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وخلعوا عبد الملك ابن مروان إلا قليلاً منهم . وبايعوا عبد الرحمن وكانت نص البيعة : « نبايع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المغلّين » .

ولما بلغ الحجاج خلعه ، كتب إلى عبد الملك يخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويسأله أن يُعجل بعثة الجنود إليه ، ثم سار الحجاج حتى نزل (البصرة) .

وجّهز عبد الملك الجنود إلى الحجاج ، فسار الحجاج من (البصرة) إلى (تستر)^(٢٤) ، وقَدَّم بين يديه مقدمة إلى (دجيل)^(٢٥) ، فلقي عنده خيلاً لعبد الرحمن ، فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد ، وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين هجرية (٢٧٠٠م) .

فلما أت خبر اهزيمة الحجاج ، رجع إلى (البصرة) ، ثم أقبل حتى نزل (الزاوية)^(٢٦) ، وأخلى البصرة لأهل العراق ، وفرّق في الناس مئة وخسين ألف ألف درهم .

وأقبل عبد الرحمن حتى نزل البصرة ، فبايعه جميع أهلها : قرأوها وكهوها على قتال الحجاج ومن معه ومن أهل الشام^(٢٧) .

وخسر عبد الرحمن معركة (الزاوية) ، فنقصد (الكوفة) واستقر فيها ، فاجتمع إليه الناس ، وقصد أهل البصرة .

وسار الحجاج من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فنزل (دير قرة)^(٢٨) ، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل (ذيّر الجراحيم)^(٢٩) .

وتفاهم أمر عبد الرحمن واستشرى خطره ، فقال عبد الملك بن مروان

وأهل الشام : « إن كان يُرضي أهل العراق نزع الحجاج عنهم نزعه ، فإن عزله أيسر من حربهم ، ونحن بذلك الدماء » ، فبعث عبد الملك ابنه عبد الله^(٣٠) ، وأخاه محمد بن مروان بن الحُكم ، وكان محمد بأرض (الموصل) ، إلى الحجاج في جند كثيف ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج وأن يجريا عليهم أعطياتهم كما تُجرى على أهل الشام ، وأن ينزل عبد الرحمن أي بلد شاء من بلد العراق فإذا نزل كان واليه ما دام حياً وعبد الملك خليفة ، فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن أبى أهل العراق قبول ذلك فالحجاج أمير الجماعة ووالي القتال ، ومحمد بن مروان ، وعبد الله بن عبد الملك في طاعته .

وحاول الحجاج عبثاً أن يعيد عبد الملك بن مروان النظر ثانية في عزله ، فأبى عبد الملك إلا عرض عزل الحجاج على أهل العراق ! وخرج عبد الله بن محمد بن عبد الملك إلى جموع أهل العراق وعلى رأسهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : « يا أهل العراق ! أنا ابن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، وخرج محمد بن مروان فقال : « أنا رسول أمير المؤمنين ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا ... » .

فقال أهل العراق : نرجع العشيّة ! واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث ، فقال لهم : « قد أعطيتم أمراً ، انتهازكم اليوم إياه فرصة ، وإنكم اليوم على النصف ، فإن كانوا اعتدوا عليكم يوم (الزاوية) ، فأنتم تعتدون عليهم اليوم (تستّر) ، فأقبلوا ما عرض عليكم ، وأنتم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون ، فوالله لا زلم عليهم جزاء وعندهم أعزاء أبداً ما بقيتم إن قبلتم » .

ووثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والجماعة واليقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير والشعر الرخيص والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل !!

وأعاد أهل العراق خلع عبد الملك ثانية ، فقال عبد الله بن عبد الملك ، ومحمد بن مروان للحجاج : « شأنك بعسكرك وجندك ، واعمل برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع » . فقال : « قد قلت إنه لا يُراد بهذا الأمر غيركم » ، فكانا يسلمان عليه بالإمرة ويسلم عليها بالإمرة أيضاً .

وجعل كل من الحجاج وابن الأشعث قواته على تعبئة : ميمنة ، وميسرة ، ومقدمة ، ومؤخرة ، وساقة ، وجعل على كل تشكيل من تشكيلات القتال قائداً مسؤولاً ، وجعل ابن الأشعث على القراء - وهم علماء المسلمين وقادة الفكر الإسلامي والفقهاء والمحدثون - قائداً .

وأخذ الجانبان يتزاحقان كل يوم ويقتلان ، وأهل العراق تأتيهم موادهم التموينية من الكوفة وسوادها ، وهم في خصب ، وأهل الشام في

ولكنهم قتلوا وكيله عليها غدرًا بعد أن صالحهم محمد^(١٥) .
وفي سنة خمس وثمانين هجرية (٧٠٤م) ، غزا إرمينية فصاف فيها
وشقى^(١٦) .

وهكذا نهض محمد في أكثر سني حكمه للجزيرة وإرمينية
بالغزو ، ومصالوة الروم ، وأهل إرمينية ، فاستعاد فتح
إرمينية وشرطاً من بلاد الروم ونجح في قيادته .

الإنسان

بدأ محمد حياته العملية سنة خمس وستين هجرية (٦٨٤م) ، إذ
سيره أبوه مروان بن الحكم إلى (الجزيرة) التي كانت تحت سيطرة
عبد الله بن الزبير ، كما ذكرنا سابقاً ، فبدأ حياته بمهمة صعبة للغاية ، فلم
يتردد في تحمل مسؤوليته كاملة ، وبذل قصارى جهوده من أجل إنجاحها .
ويبدو أنه أصبح بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم ، أحد
أعضاء مجلس الشورى لأخيه عبد الملك بن مروان ، وكان
عضواً فاعلاً مؤثراً في هذا المجلس ، يستشار فيشير فيعمل
بمشورته ، فقد أشار على عبد الملك بالسير إلى مصعب بن الزبير في
العراق ، وأشار غيره بخلاف ذلك ، فعمل عبد الملك بمشورة أخيه محمد ،
وغض الطرف عن مشورة غيره .

وقد استعمله أخوه عبد الملك على الجزيرة وإرمينية سنة ثلاث وسبعين
هجرية (٦٩٢م) وبقي على عمله طيلة حياة أخيه عبد الملك الذي توفي
سنة خمس وثمانين هجرية^(١٧) (٧٠٤م) وشرطاً من حياة الوليد بن
عبد الملك الذي عزل سنة خمس وثمانين هجرية^(١٨) (٧٠٩م) ، بعد أن
أمضى في ولايته ثلثي عشرة سنة أعاد فيها سيطرة الدولة على الجزيرة
وإرمينية واستعاد فتح الأجزاء التي انتقضت منها .

وكان محمد يتمتع بشخصية قوية نافذة وكان شجاعاً قوياً
وكان أخوه عبد الملك يغبطه على سجاياه المتميزة ، فلما
انتظمت الأمور لعبد الملك أظهر ما في نفسه محمد ، فتجهز
محمد ليسير إلى إرمينية ، وجاء محمد ليودع أخاه عبد الملك
قبل رحيله ، فسأله عبد الملك عن سبب مسيره فأنشد :

وإنك لا ترى طرداً حُر كالصاق به بعض الهوان
فلو كنا بمنزلة جميعاً جريت وأنت مضطرب الغنان

فقال له عبد الملك : « أقسمت عليك لتقيمت ، فوالله ، لا رأيت مني
ما تكره » ، ثم صلح له^(١٩) .

ويبدو أن عبد الملك بعد أن تيقن من إصرار أخيه محمد على السير
إلى إرمينية ، استعمله عليها تداركاً للموقف ومنعاً للاثشاق في العائلة
الواحدة وبين الإخوة منها .

ولما أراد الوليد بن عبد الملك ، عزل محمد عن الجزيرة وإرمينية ،

طلب من يسد مكاته ، فلم يقدم عليه أحد إلا مسلمة بن
عبد الملك^(٢٠) ، وهذا دليل آخر على قوة شخصية محمد بن مروان .

ويظهر أن الوليد عزل عمه محمدًا ، لأنه توقف عن الغزو لمدة ست
سنوات ، فقد كانت آخر غزوة له في المنطقة سنة خمس وثمانين هجرية كما
أسلفنا ولم يغز بعدها حتى عزل سنة إحدى وتسعين هجرية ، مع أن
المنطقة بحاجة ماسة إلى استمرارية الغزو دفاعاً عن الحدود الشمالية
والشمالية الشرقية بالهجوم ، والهجوم النجح وسائل الدفاع كما هو معروف .
كما أن إرمينية بحاجة انتقضت أكثر أجزائها ، فكان لا بد من غزو
المناطق المتبقية لاستعادة فتحها مرة أخرى ، بينما بقي محمد مُستكناً بلا
حركة .

ولعل له عذراً سكت عنه المؤرخون ، وقد يكون عذره أنه شاخ
لتقدمه في العمر أو مرض ، فأثر السكون على الحركة ، في وقت تكاثرت
فيه الاضطرابات في إرمينية من جهة وتزايد نشاط الروم من جهة ثانية ،
لهذا بادر سُلَمة بن عبد الملك^(٢١) ، بالغزو واستعاد فتح إرمينية ودُوخ
الروم بعد استعماله على إرمينية وأذربيجان مباشرة .

وقد كان لمحمد فضل كبير في انتصار أخيه عبد الملك على ثورتي ابن
الزبير وابن الأشعث في العراق كما فصلناه في الحديث عن : توطيد الأمن
الداخلي ، من هذا البحث .

وكانت لمحمد همة عالية في البناء ، والتعمير ، ففي سنة
خمس وثمانين هجرية أمر ببناء مدينتي : (أردبيل) التي هي
من أشهر مدن أذربيجان ، و (بردعة) التي تعتبر من إرمينية
الأولى على رأي قسم من الجغرافيين القدامى^(٢٢) . كما أنه بنى
سور مدينة الموصل سنة ثمانين هجرية^(٢٣) .

وقد كان يهتم بالقضايا الاقتصادية ، فحوى بحيرة (الطُرَيْخ) في
صيدها وباعه ، وكان يستغل هذه البحيرة ثم صارت لولده مروان بن
محمد بن مروان^(٢٤) ، من بعده ، وكانت منذ فتحها حبيب بن مسلمة
الفهري مباحة^(٢٥) .

وبحيرة (الطريخ) سميت باسم السمك الذي يعيش فيها ، وهو نوع
من السمك الصغير الذي يعالج بالملح فيؤكل ، يبلغ طول الواحدة منه
حوالي شبر واحد ، ويكثر في موسم صيده ويصاد بالأيدي والألات
المصنوعة ، ويصدر إلى إرمينية وخارجها بعد تمليحه ويشبه سمك
(الشبوط) ولا يزال يصطاد بكثرة من هذه البحيرة حتى اليوم .

وهذه البحيرة هي بحيرة (أرجيش) ، ويطلق عليها الجغرافيون العرب
اسم بحيرة (خيلاط) وذلك لقربها من هذه المدينة ، وتسمى بحيرة (وَان)
حالياً ، وتقع إلى الجنوب من مدن (خيلاط) و (أرجيش) وشرقي مدينة
(خيلاط) على مسافة يوم منها^(٢٦) .

ولم يفكر الفاتحون الأولون باستغلال ثروات هذه البحيرة من الأسماك
وغيرها ولم يفرضوا ضريبة مالية على الصيادين ، لأنهم اعتبروها من
الثروات الطبيعية المشاعة بين الناس كافة تطبيقاً لتعاليم الإسلام في أمثلها

من الثروات ، لذلك اعتبر المؤرخون استغلال محمد لأسماك البحيرة لمصلحته الشخصية نوعاً من الاحتكار غير المشروع ، فقالوا : « وكانت بحيرة (الطريخ) التي بأرض إرمينية مباحة لم يعرض لها أحد ، بل يأخذ منها من شاء ، فمنع محمد بن مروان من صيدها ، وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ منه ، ثم صارت بعده لابنه مروان ، ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم ، وهي إلى الآن على هذه الحال من الحَجَر ، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »^(٥٧) .

ومن حق المؤرخين وغيرهم أن يلموا محمداً على استنثاره بالثروة السمكية واحتكاره لها ، لما كان ينبغي له أن ينحرف عن سنن من سبقه من القادة الفاضلين .

وكان مروان بن الحكم قد ولد : عبد الملك ، ومعاوية ، وأم عمرو ، وعبيد الله ، وأباناً ، وداود ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وأم عثمان ، وغمرأ ، وأم عمرو ، وبشرأ ، ومحمداً^(٥٨) ، فهو عاشر إخوته الذكور . وأم محمد أم ولد^(٥٩) ، وقد ولد لمحمد : مروان أمير المؤمنين ، ويزيد الذي كان من الفضلاء والنسالك ، ومنصور ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن^(٦٠) .

ولا نعرف متى وُلد محمد بن مروان ، لأن المصادر التي بين أيدينا واطلعنا عليها أغفلت ذلك . ولكن يمكن استنتاج سنة مولده دون القطع بأن استنتاجنا مصيب ، وإنما هو محاولة حسب .

فقد ولد ابنه البكر مروان بن محمد سنة ست وسبعين هجرية^(٦١) ، (٦٩٥ م) ، كما أن محمد بن مروان تولى أول منصب له سنة خمس وستين هجرية (٦٨٤ م) ، وكانوا يولون ذوي الكفايات العالية من أبناء الخلفاء وإخوانهم في سن العشرين بشكل عام ينقص قليلاً أو يزيد قليلاً .

ويمكن أن نستنتج أن محمد بن مروان ولد سنة خمس وأربعين هجرية (٦٦٥ م) ، قبل ذلك بسنوات أو بعد ذلك بسنوات . . وقد توفي محمد ابن مروان سنة إحدى ومئة هجرية^(٦٢) ، (٧١٩ م) .

لقد كان إدارياً حازماً ، قوي الشخصية ، المعني الذكاء ، حريصاً على جمع هذا المال ، رجل دولة في تفكيره وتنفيذه ، خدم الدولة في ميداني الإدارة والقيادة .

القائد

كان محمد بن مروان على مقدمة أخيه عبد الملك في المعركة التي دارت بين عبد الملك ومصعب بن الزبير في العراق^(٦٣) .

ومن المعروف أن قائد المقدمة يتميز بصفات قيادية كثيرة منها : سرعة الحركة ، والاندفاع السريع الأمين ، وإعطاء القرارات الفورية السليمة ، والذكاء الحارق ، وسبق النظر ، واليقظة التامة ، والحذر الشديد ، وذلك لحماية الجيش من كتمان العدو ، وحرمان العدو من التصدي للجيش وعرقلة

مسيرته ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواته المتقدمة ، تعدادها وتسليحها ، وقيادتها ، ونياتها ، ومواطن الضعف فيها .

ومن الصعب أن ينتصر جيش من الجيوش على عدوه ، إذا كانت مقدمته ضعيفة في قيادتها ، لذلك يحرص القادة المتميزون أعظم الحرص على اختبار قادة مُقدمات جيوشهم ، ليكون حسن اختيارهم لهم أول ضمانات النصر .

إن اختبار عبد الملك أخاه محمداً ليقود مقدمته في حرب قد يؤدي الاندحار فيها إلى انهيار الدولة الأموية وإلى نتائج خطيرة ، دليل قاطع على ثقة عبد الملك الكاملة بكفاية محمد القيادية ، وثمنه بمزايا قائد المقدمة المعروفة .

وقد كان محمد أشد بني مروان ، وهو قاتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير^(٦٤) ، وهذا دليل على تميزه بالشجاعة والإقدام وتحليه بالضبط التين ، وثقته الكاملة بنفسه ، وقوة شخصيته .

ولعل هذه الصفات القيادية هي التي جعلت أباه مروان بن الحكم يوليه قيادة مستقلة في (الجزيرة) من بين سائر إخوته ، وهذا دليل على تميزه عليهم في كفاياته القيادية ، ولولا أنه كان أصغرهم سنّاً ، وأمه أم ولد - ولم يكونوا يولون أمثاله الخلافة حينذاك - لكان له شأن في تولي الخلافة .

وقد ذكرنا أن أخاه عبد الملك بن مروان وهو من هو كفاية وعلماً وافئداً ، كان يغبطه على كفاياته المتميزة العالية ، فأثر محمد أن يرحل عن دمشق بعيداً عن العاصمة ، حتى لا تؤدي غبطة عبد الملك له إلى احتكاك محتمل لا مسوّغ له . فوَلاه أخوه عبد الملك الجزيرة وإرمينية بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستقرت أمور الخلافة ، وعادت الوحدة الشاملة إلى أرجاء شبه الجزيرة العربية بخاصة ، وأنحاء الدولة الإسلامية بعامة ، أما قبل القضاء على الفتن والفتائل والاضطرابات الداخلية ، فقد استأثر عبد الملك بأخيه محمد ، وأبغاه معه ، وكلفه بأصعب الأمور وأعقدها ، للاستفادة من كفاياته المتميزة العالية .

لقد تهيأ له الطبع الموهوب ، وهي السجية الأولى في القيادة ، في ذكائه الحارق ، وسرعة بديهته ، وثقته بنفسه ، وشخصيته القوية المؤثرة ، وشجاعته وإقدامه ، وطمعه نتيجة لكل ذلك بالمعنويات العالية .

ونهباً له العلم المكتسب ، وهي السجية الثانية في القيادة : في تعلمه الفنون العسكرية نظرياً وعملياً ، وتفوقه على أضرابه في تعلم هذه الفنون ، وتلقى أساليب التطبيق العملي لها في محيط أعلى مستويات القيادة العسكرية والإدارية والسياسية ، باعتباره من بيت الخلافة واتصاله المباشر بتلك المستويات القيادية الرفيعة .

وعلى أهمية الطبع الموهوب ، فإن العلم المكتسب يهذب هذا الطبع ويصقله ، ويجعله يؤدي ثمراته المرجوة على أفضل الوجوه .

ونبأت له التجربة العملية ، من سنة ثلاث وستين هجرية إلى سنة خمس وثمانين هجرية في ساحات الجزيرة والعراق وإرمينية فأغنى طبعه الموهوب وعلمه المكتسب بالتجربة العملية التي امتدت اثنتين وعشرين سنة ، قائداً مستقلاً في الجزيرة ، وقائداً مروباً للخليفة مباشرة وهو القائد الأعلى للدولة في العراق ، وقائداً والياً في الجزيرة وإرمينية ، وبذلك أفنى زهرة شبابه وكهولته في التجربة العملية ، التي بدونها يكون القائد نظرياً لا عملياً وقادراً على إزجاء النظريات فحسب لا على التطبيق العملي .

ولم تقتصر مهمته التطبيقية على القيادة في ميادين القتال ، بل شملت إعطاء المشورة للخليفة باعتبار محمد أحد أعضاء مجلس شورى الخليفة البارزين ، إن لم يكن أبرز أعضاء هذا المجلس وأكثرهم أثراً وتأثيراً في الخليفة عبد الملك بن مروان ، والخلفاء الذين تعاقبوا على تولي الخلافة من بعد عبد الملك بن مروان ، حتى انقضى أجله ففارق الحياة .

كما لم تقتصر تجربته العملية على حرب مصعب بن الزبير وعبد الرحمن ابن الأشعث الكندي في العراق لتوطيد الأمن الداخلي ، وعلى حرب الروم في الجزيرة وبلاد الروم وعلى حرب الخزر والترك وغيرهم من الملل والثلح في إرمينية ، بل شملت كثيراً من قمع الاضطرابات المذهبية في أرجاء ولايته الشاسعة : الجزيرة وإرمينية .

وكمثال واحد على ما عاناه من تجارب عملية في ميدان الاقتتال المذهبي ، هو ثورة ثورة صالح بن مسرج التميمي أحد بني امرئ القيس بن زيد مئة من قم الذي كان يرى رأي الصفرية من الخوارج وهو أول من خرج فيهم^(٦٥) .

وكان صالح بن مسرج التميمي رجلاً ناسكاً مصفراً الوجه صاحب عبادة وكان بـ(داراً)^(٦٦) ، وأرض الموصل والجزيرة ، وله أصحاب يقرأ بهم القرآن والفقه ويقص عليهم ، فدعاهم إلى الخروج وإنكار السظلم وجهاد المخالفين لهم ، فأجابوه وراسل صالح أصحابه بذلك ، فتلاقوا به ، كما التحق به شبيب الخارجي وأتباعه ، فتعاظم خطرهم على الأمن .

وبث صالح رسله ، وواعد أصحابه الخروج إلى ذلك هلال صفر سنة ست وسبعين هجرية (٦٩٥م) ، فاجتمعوا عنده تلك الليلة .

ووعظ صالح أصحابه وأمرهم بأمره وقال لهم : « إن أكثركم رجالة ، وهذه دواب محمد بن مروان فابدأوا بها ، فاحملوا عليها رجالكم ، وتقووا بها على عدوكم » .

وخرج صالح على رأس أصحابه تلك الليلة ، فأخذوا الدواب واحتملوا عليها ، وأقاموا بأرض (داراً) ثلاث عشرة ليلة . وتحصن منهم أهلها وأهل (نصيبين) و (سيجار)^(٦٧) .

وبلغ محمداً غورجهم ، فبعث إليهم جيشاً بقيادة غدي بن غدي الكندي ، فهزمهم صالح ، فبعث إليهم جيشين آخرين ، كل جيش منها تعداده ألف وخمسةائة فكبدهما صالح خسائر فادحة ، ولكنه أصر الانسحاب من المنطقة ، لأن رجاله كانوا مئة وعشرين رجلاً!!

ودخل صالح منطقة (الدُسكُرة)^(٦٨) وهي ضمن ولاية الحجاج بن

يوسف الثقفي وخارج ولاية محمد بن مروان ، فتسولى الحجاج معالجة الموقف^(٦٩) .

وهكذا تخلص محمد بن مروان من ثورة الخوارج ، وأعاد الأمن والاستقرار إلى أرجاء ولايته .

لقد اجتمعت في محمد بن مروان السجاي الثلاث للقائد المتميز : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب والتجربة العملية ، وهذه السجاي الثلاث قد لا تجتمع في قائد واحد إلا نادراً .

وكانت محمد عقلية تنظيمية واضحة ، فقد سأل عبد الملك بن مروان تجميع الجزيرة فوافق عبد الملك على اقتراح محمد ، وكانت الجزيرة تابعة إلى (قُتُريين) قبل تجميعها . وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمي المسلمون فَلِسْطِينُ جُنداً لأنه جمع كُوراً ، وكذلك دِمَشْقُ والأَزْدُ وَحِصْنٌ وقُتُريين ، وقال بعضهم سُمِّيَتْ كل ناحية لها جند يقبضون أطعاهم بها جنداً^(٧٠) ، والريان سديدان .

وهكذا أصبحت الجزيرة جنداً مستقلاً عن قُتُريين ، فصار جندوها يأخذون أطعاهم بها من خراجها^(٧١) ، وبذلك ضمن محمد السيطرة الكاملة في ولايته على رجاله المقاتلين .

وعند تطبيق مبادئ الحرب على مزاي محمد القيادية ، نجد أنه كان قائداً (تعرضياً) ، يطبق الحرب السيارة ، ويدافع عن الحدود والثغور بالتعرض لا بالدفاع المستكن ، ويرى بحق أن الهجوم أفضل أساليب الدفاع .

وبالأسلوب التعرضي ، حمى محمد الحدود الشمالية ، والشمالية الشرقية للدولة ، ونقل القتال من مواضع المسلمين إلى مواضع الروم وأهل إرمينية ، وجنب بلاد المسلمين خسائر القتال ، واستعاد فتح شطر من بلاد الروم وإرمينية .

وكان يطبق مبدأ (التحشد) في غزواته ، فيحشد القوة المناسبة للعمل المناسب في المكان والزمان المناسبين ، كما يحشد القوات المناسبة في القواعد الأمامية ، للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم مفاجئ غير متوقع زماناً أو مكاناً .

وكان يطبق مبدأ (الأمن) في مسير الاقتراب ، وفي صفحة الاشتباك بالعدو ، كما كان يضع الحاميات في الأماكن الحساسة ويحصنها تحصيناً متميزاً - كما فعل في تحصين (أزديسل) و (تَزْدَعَة) و (الموصل) - فأمّن الدفاع عنها بسهولة ويسر ، وجعلها قواعد أمامية متقدمة آمنة لحمايتها أولاً ، وللانطلاق منها للفتح ثانياً ، وللاستناد عليها لاستعادة فتح البلاد المنتقضة .

وهذه التدابير الأمنية صان البلاد وأهلها من مباغته العدو لها ولهم في مختلف صفحات القتال التي خاضها ، وفي أيام ولايته أيضاً ، فلم ينكب المسلمون على عهده الطويل نسبياً أبداً .

والحق أنه برز في قيادة المقدمة ، مما يدل على أنه قائد يطبق مبدأ

(الامن) نصاً وروحاً .

وكان يطبق مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ، فقد كان دائماً يعرف ما يريد ، ويحاول أن يتوصل إليه من أقرب الطرق وأنجح الوسائل ولا يتخلى عما يريده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وكان يطبق مبدأ (المباغثة) ، ولعل مشورته لعبد الملك بمبادرة مصعب بن الزبير على جناح السرعة ، كان مباغثة كاملة لمصعب لم يكن يتوقعها ، فهي مباغثة بالزمان ، كما أن اندفاعه في مقدمته للاقتتال واندفاعه إلى الصفوف الامامية من المقدمة لمراقبة الموقف الراهن شخصياً مباغثة بالزمان والمكان أيضاً .

وكان يطبق مبدأ (الاقتصاد بالجهود) ، فيضع القوات المناسبة بالمكان المناسب دون زيادة ولا نقصان .

وكان يطبق مبدأ (المرونة) ، فليست خططه العسكرية قوالب جامدة ، بل هي قابلة للتحويل حسب الموقف الراهن .

وكان يطبق مبدأ (التعاون) ، فقد ساد هذا المبدأ بين المقدمة والقسم الأكبر من الجيش في حرب مصعب بن الزبير ، ولولا هذا التعاون الوثيق لما كتب النصر في ذلك الاقتتال أبداً .

كما أن هذا المبدأ ساد سيادة مطلقة بين قواته التي بإمرته في الجزيرة وإرمينية ، فهي تعمل بتعاون وانسجام ، كما ساد هذا المبدأ بين قواته كافة وقوات الدولة في جميع الظروف والأحوال .

كما كان يطبق مبدأ (إدامة المعنويات) ، لأنه يعلم أهمية المعنويات العالية في إحراز النصر ، فلا يغفل عن إدامتها في حالتي السلم والحرب .

وكان يطبق مبدأ (الأمر الإداري) ، فانشاع البناء والتعمير ، وفرض الاستقلال المالي على جنوده ، فجعل الجزيرة جنداً يتقاضى مرتباته من بيت المال الذي يسيطر عليه ولم يتركهم خاضعين لبيت مال لا يسيطر عليه .

لقد عاش محمد بن مروان في أيام اضطراب الدولة وفي أيام استقرارها ، ولكن الدولة حتى في أيام استقرارها كانت كالمريض الذي شفي من مرضه القاسي المريع ، ولكنه في مدة النقاهة لا في مدة الشفاء الكامل ، ولولا تلك الظروف وهو من هو في مزاياه القيادية ، لكان له شأن آخر في الفتوح ، واستعادة الفتوح ، وترك بصماته الظاهرة الباقية في الفتوح ومصير الدولة في حاضرها ومستقبلها .

وحسبه أنه بذل غاية جهوده في خدمة الدولة فائداً وإدارياً ، ولكن الظروف الراهنة التي عايشها حرمتها ليس من النجاح بل من التميز في النجاح .

محمد بن مروان في التاريخ

يذكر التاريخ لمحمد بن مروان ، أنه كان من ألمع إخوته ، إن لم يكن

المعهم ذكاءً وشجاعة وكفاية واقتداراً .

ويذكر له ، أنه أعان الدولة على التخلص من أخطر ثورتين عارمتين هددت الدولة بالزوال ثورة ابن الزبير وثورة ابن الأشعث .

ويذكر له ، أنه كان رجل دولة بكل ما يعنيه هذا التعبير فائداً وإدارياً .

ويذكر له ، أنه استعاد فتح شطر بلاد الروم وشرط إرمينية ، وحسب الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من الروم وغيرهم من الأمم .

ويذكر له ، أنه كان قائداً فذاً ، لو ساعدته الظروف لكان له شأن أي شأن .

يرحمه الله جزاء ما قدم للدولة وللمسلمين من جهد وجهاد .

الحواشي

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) ، ومهذب الأسماء

واللغات (٢٠٩/١) ، وجمهرة أنساب العرب (١٠٣-١٠٥) ، وقوات السوفيات (٣١/٢) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٨٧) .

(٣) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (١١٣-١١٤) .

(٤) العبر (٧١/١) .

(٥) الطبري (٦٢٢/٥) .

(٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٣٦-٩٢) .

(٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٩٥-١٥٢) .

(٨) انظر سيرته في : الولاة وكتاب القضاة (٤٢-٥٨) ، والنجوم الزاهرة (١٧١-٢١٠) .

(٩) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٢٩٧/٤-٣٠٣) .

(١٠) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور (خابور الفرات) عند مصب الخابور بالفرات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٩/٧-٦٠) .

(١١) مسكن : موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

(١٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الإسلامي .

(١٣) انظر التفاصيل في : الطبري (١٥١/٦-١٦٢) ، وابن الأثير (٣٢٣-٣٣٦) ، وانظر المعارف (٢٢٤) .

(١٤) العبر (٨٠/١-٨١) .

(١٥) العبر (٨٠/١) .

(١٦) العبر (٧٨/١) .

(١٧) العبر (٨٥/١) ، وشذرات الذهب (٨٣/١) .

(١٨) ابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(١٩) سجستان : اسم منطقة واسعة ، بينها وبين (هراة) عشرة أيام أو ثمانون فرسخاً ، وهي جنوب هراة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) ،

والمسالك والممالك للأصطخري (١٣٨) ، وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٠١) .

(٢٠) الطبري (٣٢٢/٦) ، وابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(٢١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي ،

انظر جبهة أنساب العرب (٤٢٥)، وهو من أبطال العرب وأشرافهم وقادتهم وولايتهم.

(٢٢) انظر التفاصيل في: الطبري (٣٢٦/٦ - ٣٢٩)، وابن الأثير (٤٥٤/٤ - ٤٥٦).

(٢٣) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق (أرجان)، ومن جهة كرمان (السيرجان)، ومن جهة ساحل بحر الهند (سيراف)، ومن جهة السند (مكران)، وقصبتها (شيراز). وفي هذه الولاية من أمهات المدن المشهورة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٤/٦)، وتقويم البلدان (٣٢١ - ٣٣١)، والمسالك والممالك للأصطخري (٦٧ - ٨٤)، والمسالك والممالك لابن خردادبة (٤١ - ٤٣)، ومختصر كتاب البلدان (١٩٥ - ٢٥٥)، والأعلاق النفيسة (١٠٦)، وأحسن التقاسم في معرفة الأقاليم (٤٢٠ - ٤٥٩)، وكتاب صورة الأرض (٣٣٤ - ٣٧٣).

(٢٤) تستر: أعظم مدينة بخوستان، وهي تعريب: شوشتر، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للأصطخري (٦٤)، وآثار البلاد وأخبار العباد (١٧٠)، ومعجم البلدان (٣٨٦/٢).

(٢٥) دجيل: نهر بالأهواز، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١/٤ - ٤٢).

(٢٦) الزاوية: موضع بالقرب من البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧١/٤).

(٢٧) ابن الأثير (٤٦٥/٤).

(٢٨) دير فرة: دير بزازاء دير الجاهم، وهو ملاصق لطرف السمر، ودير الجاهم مسا يلي الكوفة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٢/٤).

(٢٩) دير الجاهم: دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها، على طرف البر السالك إلى البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣١/٤ - ١٣٢).

(٣٠) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم، وانظر مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (٢) جمادى الأولى ١٤٠٠هـ، نيسان ١٩٨٠م - بغداد - ١٤٠٠.

(٣١) انظر التفاصيل في الطبري (٣٤٢/٦ - ٣٥٠)، وابن الأثير (٤٦٧/٤ - ٤٧٢)، وانظر ابن خلدون (١١٠/٣)، والبده والتاريخ (٣٦/٦)، والتنبه والإشراف (٢٧٢).

(٣٢) انظر التفاصيل في الطبري (٣٤٢/٦ - ٣٥٠) وابن الأثير (٤٦٧/٤ - ٤٧٢).

(٣٣) مسكن: موضع قريب من (أوانا) على نهر (دُجَيْل) عند (دير الجاثليق)، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٤/٨)، وأوانا: بلدة من نواحي (دُجَيْل) ببغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٦/١) أقول وهي بالقرب من (شُمَيْكة) التي أصبح اسمها: (السجيل) الحالية، والمكان معروف.

(٣٤) انظر التفاصيل في الطبري (٣٦٦/٦ - ٣٦٩)، وابن الأثير (٤٨٢/٤ - ٤٨٣).

(٣٥) انظر التفاصيل في الطبري (٣٦٧/٦ - ٣٨٣)، وابن الأثير (٤٨٤/٤ - ٤٩٤).

(٣٦) انظر التفاصيل في الطبري (٣٨٩/٦ - ٣٩٣)، وابن الأثير (٥٠١/٤ - ٥٠٢).

(٣٧) فتوح البلدان (٢٨٩).

(٣٨) ابن الأثير (٢٦١/٤).

(٣٩) الطبري (١٩٤/٦)، وتاريخ خليفة بن خياط (٢٦٧/١).

(٤٠) فتوح البلدان (٢٨٩).

(٤١) وردت في ابن الأثير (٣٧٣/٤) كذلك، ووردت في تاريخ خليفة بن خياط (٢٦٨/١): أندالية وفي معجم البلدان (٣٤٥/١): أنذرين، وهي قرية من قرى الجزيرة.

(٤٢) الأعياق: جمع عقق، وهي كورة قرب دابق بين حلب وانطاكية، انظر معجم البلدان (٢٩٢/١).

(٤٣) فتوح البلدان (٢٦٦) وانظر ابن الأثير (٣٩١/٤).

(٤٤) ابن الأثير (٤١٨/٤) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٢٧٣/١).

(٤٥) ابن الأثير (٤٧٦/٤).

(٤٦) ابن الأثير (٥١٤/٤).

(٤٧) العبر (١٠٢/١).

(٤٨) تاريخ خليفة بن خياط (٣٠٧/١)، وابن الأثير (٥٥٥/٤).

(٤٩) ابن الأثير (٧٠/٥).

(٥٠) ابن الأثير (٧٠/٥).

(٥١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم، وفي فصل: استعادة الفتح من هذا الكتاب.

(٥٢) المسالك والممالك لابن خردادبة (١٢٢)، وانظر العبر (١٠٥/١) حول بناء هاتين المدينتين وانظر فتوح البلدان (٢٨٨).

(٥٣) تاريخ الموصل (٢٥).

(٥٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم.

(٥٥) فتوح البلدان (٢٨١)، وابن الأثير (٣٦١/٤)، والنجوم الزاهرة (١٩٠/١).

(٥٦) تقويم البلدان (٤٢).

(٥٧) ابن الأثير (٣٦١/٤)، والنجوم الزاهرة (١٩٠/١).

(٥٨) المعارف (٣٥٤) وانظر جبهة أنساب العرب (٨٧ - ٨٨).

(٥٩) جبهة أنساب العرب (٨٧).

(٦٠) انظر التفاصيل في جبهة أنساب العرب (١٠٧ - ١١٠).

(٦١) ابن الأثير (٤١٨/٤).

(٦٢) ابن الأثير (٧٠/٥)، وتاريخ خليفة بن خياط (٣٢٢/١)، والعبر (١٢١/١).

(٦٣) الطبري (١٥٦/٦)، والمعارف (٢٢٤).

(٦٤) المعارف (٣٥٥).

(٦٥) الطبري (٢١٥/٦)، وابن الأثير (٣٩١/٤).

(٦٦) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤).

(٦٧) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. وهي في لحف جبل عال يسمى: جبل سنجار، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٤/٥ - ١٤٦).

(٦٨) الدسكوة: قرية كبيرة بنواحي نهر الملك غربي بغداد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٠/٤).

(٦٩) انظر التفاصيل في الطبري (٢١٦/٦ - ٢٢٣)، وابن الأثير (٣٩٦ - ٣٩٣/٤).

(٧٠) فتوح البلدان (١٨٠).

(٧١) فتوح البلدان (١٨٠).

بين شاعرين



لورد بايرون • علي محمود طه

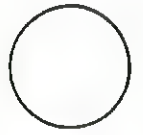
البحر

هي قصيدة الشاعر الإنجليزي الشهير لورد بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤ م) وهي من قصيدته المطولة المعروفة باسم «قصيدة تشايلد هارولد»، وقد كان بايرون أحد شعراء الرومانسية في الشعر الإنجليزي الحديث، وواحدًا من شعراء الطبيعة الذين اشتهر منهم جون كيتس، وبيرسی شيللي، ووليم وردز ورث، ولقد عاش بايرون حياته نبأً لصراع نفسي مرير بينه وبين نفسه، وبينه وبين المجتمع من حوله، وكان لولادته بقدوم مشوهة أثر في إحساسه بفاجعة المصير، وزاد من هذا الإحساس، فقدان دفء الحب وحنان الوالدين، فكان أن لجأ إلى الطبيعة إذ وجد فيها أملاً لا يتبدد، وزاداً لا يفيض، فالأبطال والعظماء يتساقطون في الميدان، ولكن الطبيعة باقية ما بقي الزمان، وما هو يتغنى بالبحر، ويرى فيه صديقاً راسخاً على مر الأيام:

إلى البحر

تعد هذه القصيدة واحدة من أبرز قصائد الشاعر الرومانسي علي محمود طه (١٩٠٢ - ١٩٤٩ م) الذي كان قطباً من أقطاب مدرسة أبولو الشعرية، التي تزعمها الشاعر أحمد زكي أبو شادي. وقد عاش علي محمود طه حياة هادئة حافلة، تنعم بالجمال وتشدو للطبيعة، فكان دائم الأسفار إلى البلاد الأوروبية، شديد التأثر بالانحياز الرومانسي في الشعر، وخاصة شعراء البحيرة، والشاعر الفرنسي لا مارتين. أصدر ديوانه الأول «الملاح التائه» عام ١٩٤٥ م، وتتابع دواوينه بعد ذلك «ليالي الملاح التائه» و«زهر وخمر» و«أغنية الرياح الأربع». غلب على شعره انسجام الأنغام الموسيقية، وتصوير العواطف البشرية، والتغني بجمال الطبيعة.

قصيدة



قصيدة

• البحر •

يا طيب عيش بين غاب موحش

أو فوق شط مقفر

في رفقة من لا بشر

في رفقة البحر العميق ، وسحر موسيق المدير الصاحب

الناس خلّاني ولكن الطبيعة لي خليل أقرب

ولكم أفيق من الحياة لاختلي

بالكون في وُلُو فيخفق بي الفؤاد خفوقا

يعيا البيان به فليس يطاوله

وأنا أنوء به لما أقوى على كتمان

* * *

فلتصطفق يا أيها البحر البعيد الغور ، نمن في الغموض بصفحة زرقاء

فلتصطفق : كم في عبابك من أساطيل هزات بها



أن يعبت الإنسان بالأرض

فحدود رقعته إلى الشط

وسطت أنت يدك فوق الماء

فأحلت ما يجري عليه حطاما

حتى إذا لم يبق غير الناس فوقك طافيا

تهوي بهم فقاعة فقاعة للقاع

تهوي فلا قبر ولا كفن ولا دقات ناقوس

واها وما يدري بهم أحد

ما داس قط عليك إنسان بأقدام

وسهولك الزرقاء لم تك مغنا للطامع

سرعان ما ترغي فتتفض عنك كل دخيل

* * *

• إلى البحر •

قفت من الليل مصغياً والعباب

وتأمل في المزندات الغضاب

صاعدات تلوك في شيدقها الصخر

وترمي به صدور الشعاب

هابطات تشن في قبضة الر

يح وترغي على الصخور الصلاب

ذلك البحر : هل تشاهد فيه

غير ليل من وحشة واكتئاب ؟

ظلمات من فوقها ظلمات

تترامى بالمائج الصخاب

لا ترى تحتهم غير وجود

من عباب وعالم من ضباب

أيها البحر كيف تنجو من الليل

هل ؟ وأين المنجى بتلك الرحاب

هو بحر أطم لجأ وأطفئ

منك موجاً في جيئة وذهاب

أوما تبصر الكواكب غرق

في دياجيه كاسفاتر خواب ؟

وترى الأرض في نواحيه حيرى

تسأل السحب عن وميض وشهاب

ويك يا بحر ما أنينك في الليل

هل أنين المروع الهباب

امض حتى ترى المدائن غرق

وترى الكون زفرة من عباب

امض عبر السماء واطغ على الأف

لاك واغمر في الجو مسرى العقاب

ذاك أو يهتك الظلام ديساجي

ه وينضو ذاك السواد الكابي

وترى الشمس في مياهاك تُلقي

خالص التبر واللجين المذاب

* * *

أقبل الفجر في شفق رفاق

يتأدى في منظر خلاب

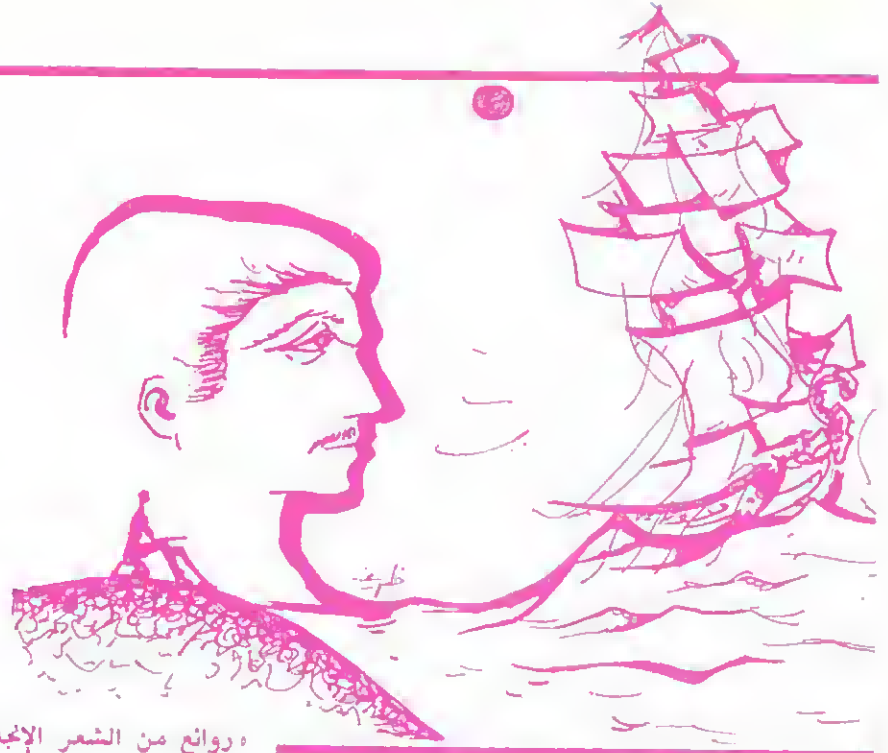
حلل من وشائع النور زهر

يتأوجن في حراشي السحاب

وإذا الشاطئ الضحوك تغنى

حوله الطير بالأغاني العذاب

يا بحر وجهك شفت عن باريه
من خلل العواصف وهي تزار أو تهب تأتيا
أو في النسائم والزوايع والرياح السافية
في القطب ثلجاً أو يملتهب البقاع نجيش مضطربا
تنساب يغمرك الجلال فلا حدود ولا نهاية
معنى الخلود يشع منك
فأنت مُتَكِّناً لعرش لا نراه على الزمان مقم
صنعت يدك زواحف البحر الضواري
وأنتك تعنو طوعاً كل البطاح
لما جثمت على الفضاء بلا شريك
يمضي الزمان وأنت باق لا تغيب
ولا يغيب الرعب يهدر منك أهوالا
ويداك كالأبد السحيق فلا مدى لك أو قرار .



«روائع من الشعر الإنجليزي .. ترجمة د. زاهر غبريال»

لي وراء الأمواج يا بحر قلب
نازح الدار ماله من مآب
نزعته مني الليالي فامسى
وهو مُلقٍ في وحشة واغتراب
ذكرسات تُدني القصي ولكن
أين مني منازل الأحباب
أنا وحدي هجان في لجج الطا
مي غريق في حيرتي وإرتياب
أرمت الشاطئ البعيد بعين
عكفت في الدجى على التسكاب
فسواء في مسمي من ذراه
صدحة الطير أو نعيق الغراب
وسواء في العين شارقة الفج
ر أو الليل أسود الجلباب
بيد اني أحس فيك شفاء
من سقامي ورحمة من عذابي
أنت مهد الميلاد والموت يا بحر
ومثوى الهموم والأوصاب
فأنا فيك أطرح الان آلا
مي وعيب الحياة والأحقاب

ونسيم الصباح يعبث بالغا
بي وشي ذوائب الأعشاب
ومن الشمس حمرة في ثنابا ال
موج يلذكو ضرامها غبر خابي
ومن البحر جانب مطمئن
فزحي الأديم غض الإهاب
نزلت فيه تستحم عذاري ال
ضوء من كل بضرة وكعاب
عاريات يسبحن في الم لكن
لفها الرغو في رقيق الثياب

فلذا البحر يرقص الموج فيه
وإذا الطير صُتخ في الروابي
راقصات الأمواج عكمن قلبي
رقصات المغرور المطراب
وأفيض عليه من سلسل الوح
ي غيراً كالجدول المنساب
واستثيري عواظني ودعيني
أسمع البحر أغنيات الشباب

★ ★ ★

«ديوان : الملاح التانه : علي محمود طه»



★ حسن عبدالله الفرشي ★



★ محمود عارف ★



★ الأمير عبدالله القيعل ★

أشعر الصحراء فني

الشعر

أكثر من باحث تحدث عن ظاهرة البداوة ، والصقها بشعرنا إصااق الطابع على الظرف ،
وكانها قضية مسلمة لا نقاش فيها .
تحدث عنها طه حسين ، وهو يعرض لديوان وحي الحرمان فقال : « أنا أزعج أن الشاعر
مصري اللغة بدوي النزعة »^(١) !

ومحمد حسين هيكل وهو يقدم كتاب « وحي الصحراء » ، وعلي محمود طه في تقديمه ديوان « صباية
الكأس » للفلاحي فنعت شعره بأنه « باقة يانعة من زهرات البادية العربية » ، وآخرون . بل لعل أكثر الباحثين
من خارج الجزيرة يرددون هذا الرأي ، وباحث آخر من الجزيرة ينساق بعفوية ، ليزعم أن سمة البداوة ليست
صفة في شعر البلاد فحسب بل إن « أبرز خصائص أدبنا (هي) سمة البداوة المتحضرة »^(٢) .

بصنام :

د . عبد الله الحامد

لا أدري إذا كان هؤلاء النقاد يجهلون الجزيرة ، وأخذتهم صورة
الجزيرة الجاهلية وتصوروا أهلها بدواً فوق الأكوار وتحست الخيام وفي
العراء ، طعامهم لحم الإبل وألبانها ؟ وربما كانوا كأحد المدرسين الذين
قدموا منذ سنين إلى نجد من أحد الأقطار المجاورة وفوجئ به الناس بحمل
كيسين من الخبز اليابس وسئل عن ذلك فقال أنا لا أستطيع الأكل من
طعام بدو الجزيرة : لحم الإبل وألبانها ، لكنه حين استقر ألقى خبزه
للدواب ، وانغمس فيما ينغمس الناس فيه من ترف وخير ، أما قبل ذلك
فكان كمن لم يعرف الجزيرة في أوروبا وأمريكا كما قال محمد
المشعان^(٣) :

عيرتي أن بيتي خيمة

وبعيري لم يبارح خيمتي

رسخت في رأسها أكذوبة

عن جهاد العرب والعرقية

وليس هذا نفيًا للبداوة الموجودة حقاً في الجزيرة مثلاً هي موجودة في
أطراف البلاد العربية كالعراق والأردن وسورية وليبيا والجزائر ومصر ،

ولا أدري إذا كان طه حسين يتصور شاعراً كعبد الله القيصيل
فوق الناقة يقرأ ديوان « لبالي الملاح » لعلي محمود طه ، و « السطائر
الجريح » لإبراهيم ناجي ، و « رندلي » لسعيد عقل ، و « الهوى
والشباب » للأخطل الصغير ، ويرى النزعة بدوية ، واللغة حضرية
ضعيفة ومصرية^(٤) ، لا أدري كيف تكون اللغة في واد ، والنزعة
في واد آخر ؟ أحسب الألفاظ أواني المعاني ، فمعاني البادية لا يعبر عنها
بألفاظ الحضارة ، وعبد الله القيصيل مثله مثل بشار وأبي العتاهية
حينما أكلا المرقق ، ورغدا في ظلال الزوراء ، لا تكون نزعتها بدوية .
ولعل مارون عبود أدق نقداً لمحروم من طه حسين إذ قال :
« البداوة في ديوان محروم ليس يدل عليها شيء غير تلك
الصور الفنية التي زين بها الكتاب »^(٥) ، ويبدو أن المصور نفسه
أخطأ وهو بشر مثل النقاد يتصور جو القصيدة ، كجو الجزيرة المزعم
الخيام والبين ، وشد المطي وإزماع الرحيل ، والنوق والحداء ، مثل قول
عبد الله القيصيل :

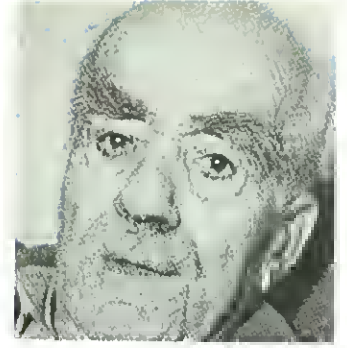
أزعموا بيناً وشدوا رحلهم

فتواري طيف أحلامي الجميل

وشيء ثان يدخل في الأذهان فبعضهم يريد أن يعبر عن الشاعر الكلاسيكي الاتجاه الذي هضم الشعراء القدامى بذوي النزعة البدوية ، على أنه ينبغي أن نتذكر أن هذه الكلاسيكية في أشعار هذا الأدب أو ذاك إنما هي غمرة قراءة ليست ثمرة حياة ، وهذا التفرق بين نتائج القراءة وتأثير الحياة هو الذي يكشف أن البداوة المذكورة لا تختلف في شعر علي الجارم عنها في شعر الفصيل والفلاحي ، لأن واحداً من هؤلاء لو كان شاعراً بدوياً حقاً لما أسمعنا هذا اللحن الشجي بلغة فصيحة .



★ علي الجارم ★



★ مارون عبيد ★

وشيء ثالث يزيد الإبهام ، فبعض الأدباء يخلط بين معنى الصحراء والبداوة ، كما فعل محمود عارف حينما شرح سمة البداوة المتحضرة التي ذكر أنها أبرز خصائص أدبنا^(١) ، « فالإطار هو جو الصحراء ، ومميزات أدب الصحراء ، هي الحرارة في العرض ، والوحشة في غربة المسيرة الطويلة » ، وهذا وهم جديد ، فالصحراء ليست هي البداوة . في أميركا صحراء كبيرة ، لكن ليس فيها بدو بل فيها مصانع ومزارع ، وفي جنوب الجزائر صحراء لكن الذين فيها من البدو ، وبين الرياض وجدة صحارى شاسعة ، فهل فيها بدو يقولون الشعر الفصيح ويتأثرون بالصحراء ؟ الجواب : لا ، إذن الصحراء ليست هي البداوة ، كل من عاش في الجزيرة لا بد أن يدرك أثر الصحراء على نفسه وفي حسه ، لكنه ليس ضرورياً أن يكون بدوياً ، صاحب خيمة وناقة ، بل هو صاحب سيارة وبيت ، بنعم فيما بنعم الناس فيه من ترف ، لكنه يخرج إلى الصحراء ليتنفس من جو المدن القائم ، فلا يجد في الصحراء ماء ولا ظلاً ولا روضاً ، إلا السراب والفيظ وعصف الرياح ، والرمال الحمر ، والصحارى الممتدة الوحشة ، التي تضع في الإنسان الإحساس الحزين ، وتشعره بالخوف وقد عرضت في غير هذا المجال لأثر الصحراء في الشعر^(٢) ، وذكرت أنها من أسباب النفس الحزين في الشعر النجدي خاصة ، لأن نجداً أكثر صحراء مما سواها ، وشعراؤها ، لذلك أقل الشعراء وصفاً لمناظر البهجة والفرحة والرياض والبساتين والطبيعة ، وأكثرهم حزناً ، يمتد بامتداد الصحراء الوحشة ، التي لا تنقطع إلا لما على نزول المطر ، الذي سرعان ما يحرق ريعه ورياضه الصيف الحار والريح العاصفة .

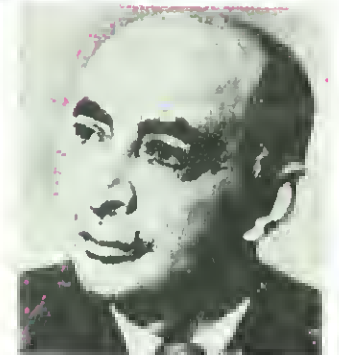
الحواشي

- (١) من أدبنا المعاصر : ١٢٨ .
- (٢) أدب المملكة بين الآداب العربية : بحث محمود عارف ، بحوث المؤتمر الأول للأدباء ٨٤٣/٢ .
- (٣) من أدبنا المعاصر : ١٣١ .
- (٤) جدد وقدماء : ٢٨٧ .
- (٥) قصيدة « همسة الشوق » من مجموعة شعرية مخطوطة .
- (٦) أدب المملكة بين الآداب العربية ، بحث محمود عارف ، بحوث المؤتمر الأول للأدباء ، ٨٤٣/٢ .
- (٧) الشعر الوافقي في المملكة العربية السعودية ، دراسة مخطوطة .

السعوري



★ علي محمود طه ★



★ إبراهيم ناجي ★

فالبداوة والبدو موجودون ، لكن لهم شعراً بدوياً هو أبعد الشعر عن الفصاحة والتعبير السليم ، وإن كان أقرب الأدب إلى الصدق والبساطة والصفاء ، ويسمى الشعر النبطي أو العامي الشعبي ، وهو الذي يصح أن يطلق عليه كلام أولئك الدارسين بدفة وحق ، لا شعر الخواصر والمدن والثقافة والترف .

فكيف جاءت صفة البداوة إذن إلى أذهان الناقدين؟ اعتقد أن هؤلاء الناقدين عندما تناولوا شعراً أو شاعراً من الجزيرة العربية تنداح إلى أذهانهم الموروثات القديمة ، من الثقافة والحنين ، فيتداعى إلى أذهانهم أن هذا الشاعر أو ذاك متأثر بمعمر بن أبي ربيعة وبجميل بن معمر وبالمجنون ، ويرد ذكر العرار والشح وصبا نجد ، سواء قالها الشاعر أو لم يقلها ، فهم يخلطون بين البداوة القديمة ، وحياة شبه الجزيرة العربية الحديثة ، ويريدون أو يتوهمون أن الثانية كالأولى ، وأن هؤلاء الشعراء من الفلاحي والقشري والفصيل ، إنما هم بدو كأولئك الشعراء زهير والنابغة والأعشى ، وهذا مزلق خطر يخلطون فيه بين الذكريات القديمة والحياة الحاضرة يقوي هذا الوهم غيوم الرؤية عن شعر الجزيرة .

مكتبة الكفيف

بقلم : د. ماهر محمود الهواري

كانت المجتمعات القديمة لا تهتم بالكفيف ، بل إنها كانت تنظر إليه كشخص شاذ أو شخص غير طبيعي فكان يهمل إهمالاً تاماً . وفي بعض المدن الإغريقية كأسبرطة كان ينظر إلى الكفيف وغيره من المعوقين والمرضى نظرة غير عادية ، وكان ذلك الاتجاه ينادي بترك المعوقين بدون رعاية حتى يدركهم الموت . ومن أشهر المكفوفين في التاريخ القديم هوميروس الشاعر الإغريقي الذي تنتسب إليه الإلياذة والأودسا . وديدموس ، وكان من أهالي الإسكندرية ، وعاش في القرن الرابع الميلادي وقد اكتشف طريقة لتعلم نفسه بنفسه وأصبح معلماً ورجل دين .



وتقشياً مع الروح الإسلامية السمحاء ، فتحت المدارس والكتاتيب أبوابها لتعليم المكفوفين خصوصاً حفظ القرآن الكريم ، مما يسر لهم الحياة العادية الكريمة ، وجعلهم يشعرون بأهميتهم وكيانهم في المجتمع . ومن شعراء العرب المشهورين بشار بن برد وأبو العلاء المعري .

ومن الأشخاص المبرزين في عالم المكفوفين الذين كان لهم فضل كبير في هذا الميدان لويس برايل الذي ولد عام ١٨٠٩ م ، وفقد بصره في سن الثالثة ، ثم أراد أن يتعلم الموسيقى فابتدع الطريقة التي سميت باسمه لإمكان معرفة « النوتة » الموسيقية ، ثم عم استخدامها للقراءة والكتابة في العالم أجمع . والوحدة في هذه الطريقة عبارة عن ست نقط بارزة في شكل منظم ، وتبعاً لعدد النقط واختلاف موضعها يمكن تمثيل حروف الأبجدية المختلفة ، فمثلاً حرف الألف له نقطة واحدة ، والباء نقطتان رأسيان وهكذا . وقد أدى اكتشاف هذه الطريقة في القراءة والكتابة إلى إنشاء مدارس كثيرة لتعليم المكفوفين .

وفي العصور الحديثة بدأت رعاية المكفوفين بالإحسان المادي لهم عن طريق المساعدات ، ثم تطور الأمر إلى محاولات فردية للرعاية ، ومن هذه المحاولات محاولة فالنتين هوي حيث أنشأ المعهد القومي للمكفوفين الصغار عام ١٧٨٥ م ، وقد لفتت هذه المحاولة الأولى للتربية المنظمة للمكفوفين الأنظار ، وسرعان ما اتبع هذا الإجراء في

وكان للديانات السماوية تأثير كبير في الاتجاه نحو المكفوفين . وقد نادى رجال الدين من المسيحيين القدامى برعاية المعوقين والمرضى . ومع ذلك فقد كانت أوروبا المسيحية في العصور الوسطى لا تعمل على رعايتهم يزعم أن كف البصر عقوبة إلهية . . وما دامت هذه رغبة الإله فيجب عدم رعاية المكفوفين . أما الإسلام فهو دين الرحمة للبشر كافة ، وقد عمل الحكام على رعاية المكفوفين ، وصرف الصدقات لهم ، وإنشاء المستشفيات لعلاجهم . كما عمل بعض ذوي الخير على وقف الأملاك على ملاجئ ومؤسسات لرعايتهم وإيوانهم . وفي القرآن الكريم جاء ذكر الأعمى في قوله تعالى :

﴿ عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ (سورة عبس ، الآيات ١-٤) .

ففي هذه الآيات عتاب للنبي الكريم لأنه عبس من إلحاح الأعمى الذي جاء لطلب المشورة والعلم من النبي . وفي آية أخرى :

﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (سورة الحج ، الآية ٤٦) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن العمى الحقيقي ليس عمى الإبصار ولكن العمى عمى القلوب التي ملأها الشر .

الحاجة إلى التعلم

ومن احتياجات الطفل الكفيف أيضاً الحاجة للتعلم خلال الخبرة . إن الخبرات التي يحصل عليها الطفل في أعوامه الأولى لا ترجع أهميتها فقط إلى ما تضيفه من معلومات ، لكنها أيضاً تتيح تعلم الوسائل التي يمكن اتباعها لزيادة معارفه . فالأهم من المعلومات في ذاتها معرفة كيفية الحصول عليها لأن هذا يتيح للكفيف منبعاً دائماً للمعلومات طيلة حياته .

وبالإضافة إلى ذلك فإن التعلم عن طريق الخبرات يؤدي بالطفل الكفيف إلى التفاعل مع العالم الخارجي ، فيتيح له الخروج من سلبيته ، تلك السلبية التي قد يرغب عليها نتيجة لإحساسه بالسجن الكبير الذي لا يستطيع التحرك فيه وفهمه ، إلا بمساعدة الآخرين . فالتعلم يؤدي إلى تعديل كبير في شخصيته يجعله إيجابياً متفاعلاً متمكناً من الحصول على الخبرات المختلفة بطرقه الذاتية ومتفهماً للعالم المحيط به . وقد وجدت روجو (١٩٧٥م) في دراسة عن التنظيم الإدراكي عند المكفوفين أن البحوث بينت أن فقد البصر لا يمنع أو حتى لا يؤخر نمو عملية اكتساب المعلومات .

معرفة القدرات

والطفل الكفيف أيضاً يريد أن يعرف قدراته المختلفة . إلى أي مدى يستطيع أن يتحرك ، إلى أي مدى يستطيع أن يثق بنفسه في أعمال معينة ،

كيف يسلك في مواقف مختلفة السلوك المناسب الذي يتيح له حب والدين وتقدير الآخرين . إن الطفل الكفيف للأسف محاط بقيود شديدة ، وأوامر عديدة ، خوفاً على حياته ، ووقاية له من الحوادث ، ومحافظة على نظافته ... لذلك من المهم تدريب الطفل وإتاحة الفرصة له لتجربة إمكاناته وتحسينها حتى يستطيع أن يصبح شخصاً واثقاً بنفسه وقدراته .

الشعور بالاستقلال

كذلك الطفل الكفيف في حاجة ماسة إلى الشعور بالاستقلال . إن الاستقلال والاعتماد على النفس ، ولو أحياناً ، يؤدي إلى تقدير الذات . إنه يشعر دائماً أن هناك من يعتني به ، هناك من يطعمه ، هناك من يقوده ويحركه من مكان لآخر . ولكنه في محاولته تلك لبناء ذاته المستقلة يشعر أيضاً بالملل والتمرد لتبعيته للآخرين . لذلك يا حبذا لو قام الوالدان وغيرهم من المربين والمختصين بتدريب الطفل على الاعتماد على نفسه ولو في الأمور اليومية الحميمة مثل النظافة الشخصية ، وتغيير الملابس ، وترتيب السرير ، والتحريك في حدود معينة وهكذا . لهذا فكلما سارعنا في تدريبه واستقلاله ساعد ذلك على بناء شخصيته المستقلة .

تجربة عملية

وقد حاول صامويل جريدي هوي منذ مائة عام أن يدرس مشاعر المكفوفين وأحاسيسهم ، وما يؤثر فيها في المواقف المختلفة ، وكان أول مدير لمعهد بركنز للمكفوفين ، فقام بتجربة رائعة (يسكر ١٩٥٤م) إذ ربط عينيه لعدة أيام ، وتحرك في الأماكن المختلفة ، وقام بالأنشطة العادية التي يمكن أن يقوم بها المكفوفون ، وذلك حتى يستطيع فهم شخصياتهم والاستبصار بمشكلاتهم . فكان يمشي في الشوارع ، ويخترقها ، ويتنبه لحركة المرور ، وكان يركب السيارات العامة ، وينزل منها . وقد أدرك مثلاً أن توقف السيارات فجأة أو تغيير اتجاهاتها يؤدي إلى بعض مشاعر الاضطراب والارتباك . كما أدرك أن أي فرد يغطي عينيه لفترات قصيرة يصبح عارفاً وشاعراً بنفسه وبما حوله ، ويعطي انتباهاً للحواس الأخرى ، وأن الإحساسات الحركية يمكن أن تحل محل الإحساسات البصرية في الظلام ، وأن الأصوات كأصوات السيارات أثناء السفر تبدو أكثر شدة في غياب البصر ، وأن بعض ومضات من الضوء على فترات قصيرة يمكن أن تضايق الكفيف وتجعل توافقه مع الظلام أكثر صعوبة .

خصائص الطفل الكفيف

ومن خصائص الطفل الكفيف أنه قليل المشي بطيء الحركة ، ومحاولة اكتشافه للبيئة وتفاعله معها محدود . وهو غالباً متأخر في الكلام . وقد يبدو أن هذه الأمور تبعث على الدهشة ، ولكن بالتأمل والتفكير يتضح أن هذه الظواهر نتيجة طبيعية للتحديد الشديد لخبرات الطفل ، وتفاعله المحدود مع البيئة . وهذا أيضاً نتيجة للجهد الذي تبذل للمحافظة عليه من الضرر . وبسبب أنه لا يرى الأخطار القريبة منه ، فإنه يبعد عن المواقف التي فيها أقل مخاطرة . كما يمنع من محاولة التوافق مع زملائه المبصرين . وعادة تتبعه حماية مستمرة من حارس راشد . ولا شك أن هذه الاتجاهات تؤثر في شخصيته إلى حد كبير .

القدرة على الاتصال والتفاعل

ومن حيث القدرة على الاتصال والتفاعل مع الآخرين فإن الطفل الكفيف قد تكون حالته أحسن من الأصم ، وذلك لقدرة الكفيف على الاستماع والمناقشة وتعديل المفاهيم . وبالرغم من أن الأصم يستطيع أن يكون عدداً كبيراً من المفاهيم عن بيئته ، فإن الحاجة للصوت ضرورية للوصف والمناقشة تنقصه إلى حد كبير . والطفل الكفيف من جهة أخرى فإنه في خطر مستمر من الفشل في اكتساب أي خبرة عن الحقائق التي تشير إليها الكلمات حتى إذا كان استعماله لها يبدو طبيعياً فإن كلامه يبدو أنه لم ينبن على أساس خبرته الذاتية ، هذه الخبرة التي يمكن أن تكون وحدها حقيقة بالنسبة له .

وهناك مثال واضح لذلك فقد كتبت هيلين كيلر (جوانن ١٩٥٦م)، التي ولدت بكاء صماء عمياء تاريخ حياتها بقلمها.. كتبت تصف ليلة بجوار البحر، ونجد في الوصف أن الجمل جميلة والتعبير قوي. والقارئ المنتبه سوف يدرك أن الخبرات التي تصفها تعتمد كلية على الإحساسين اللذين ينقصان هيلين كيلر وهما السمع والبصر. إنها تتحدث عن ألوان الأزهار، وصوت البحر، ويزوغ القمر وانعكاساته على سطح البحر، فمن أين لها بالإحساس التي تؤدي إلى القدرة على هذا الوصف الرائع؟ إنها بالطبع لم تعبر عن أحاسيسها، لكنها نقلت عن خبرات وكتابات الآخرين، كما هو الموقف لبشار بن برد الشاعر العربي الذي ولد أعمى والذي يقول في وصف الحرب:

وجيش كجبح الليل يزحف بالحصى
وبالشوك والخطى حمر نعاله
غدونا له والشمس في خدر أمها
تطالعنا والطل لم يجر ذائبه
كان مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

ويقابل هذا الوصف بوصف آخر لفتاة عمياء نصف فيه معتمدة على أحاسيسها فقط، جولة في الصباح الباكر فتتحدث عن الأصوات والروائح، والإحساس بالمشي بالطريق تحت الأشجار الضخمة، وعلى الحشائش والأشياء التي تلمسها بأصابعها. إن الصورة هنا زاهية وحية كالقطع الأخرى. ولكن بينما القطع الأولى لهيلين كيلر وبشار بن برد تعتمد على تقارير وأوصاف الآخرين،

★ عمى خاصة لمساعدة المكفوفين في السبر ★



فإن القطعة الثانية تعتمد على الخبرات والأحاسيس الشخصية للفتاة. فإذا كان عالم الكفيف يمدد بمجال متنوع وثري للفكر والخبرات مثل الطفل المبصر إذا ما أعطي الفرصة لاكتشافه كلية، وعمق على أساس مفاهيم الصوت واللمس والرائحة، إذا استطاع ذلك فإنه من المحتمل أن الثغرة في النمو والقدرة قد لا تظهر بين المبصر والكفيف.

الحاسة السادسة

ومن الأمور الهامة التي تبحث على التساؤل وتثير الاهتمام في شخصية الكفيف: كيف يستطيع أن يتبين طريقه بدقة ويتجنب العوائق؟ هل يتمتع بحاسة سادسة يسترشد بها في طريقه؟ هل فقد البصر أدى إلى نمو في حواسه الأخرى بما يعوضه عن فقد هذه الحاسة؟ الواقع أن هناك تساؤلات كثيرة في هذا الموضوع، فقد لوحظ على مدى التاريخ أن كثيراً من المكفوفين يستطيعون أن يتجنبوا أخطاراً تواجههم في الطريق كحفرة في الشارع، أو رصيف مرتفع، أو حائط يعترض الطريق، إلى غير ذلك. وقد شغلت مثل هذه الملاحظات بالباحثين، واعتقد كثير من الناس أن المكفوفين يمتلكون «حاسة سادسة» يمكن أن ترشدهم، وتكون لهم عيوناً بديلة.

فمن قائل إن المكفوفين يشعرون بتغير ضغط الهواء نتيجة وجود عائق، وقائل آخر إنهم يشعرون بتغير في أصوات وقع أقدامهم، أو العصي التي يسكنون بها.

وقد قام رولانزكي (بيكر ١٩٥٤م) بعمل تجارب في هذا الشأن حيث وضع أفنعة على أروجه المكفوفين حتى لا يشعروا بضغط الهواء عند الاقتراب من العوائق. ومع ذلك فقد استطاعوا تمييز العوائق بالأفنعة،

كما هو الأمر بدونها، وإن كانوا أقل ثقة وقدرة. وعندما غطي رولانزكي آذانهم حتى يمكن استبعاد الإحساسات خلال الأذن لم يستطع المكفوفون تمييز العوائق بدقة. كيف تستطيع الأذان اكتشاف اقتراب العوائق؟ هذا أمر ليس من السهل تفسيره. ولكن يعتقد أن المكفوفين يستطيعون التقاط الإحساسات السمعية الدقيقة. وبعض الباحثين حاولوا توضيح هذا الإحساس بالعوائق على أساس تغير في أصوات وقع الأقدام والتغير في الحرارة وعوامل أخرى مشابهة.

الفروق في القدرات

والبحوث الحديثة تثبت أنه في غياب البصر فإن القدرات الأخرى تستخدم أكثر. ولكن يبدو أن هذه القدرات توجد بدرجة متساوية بوجه عام بين المبصر والكفيف. والفروق الظاهرة هي مجرد فروق في الاستخدام الشعوري للحواس الأخرى غير البصرية. وقد وجد ورشل (جردانن ١٩٥٦م)، أن الأفراد المبصرين الذين يتحركون مغطو العينين كانوا أكثر نفوقاً من

المكفوفين في معرفة الأمكنة من حيث الإدراك اللمسي للأشكال ، ومن حيث القدرة على تخيل أوضاع الأشكال في الفراغ .

سن حدوث العمى

وهناك عامل هام آخر له تأثير كبير على شخصية الكفيف وهو السن الذي حدث فيه العمى . فالعمى الذي يحدث قبل سن خمس سنوات له تأثير أخطر وأشد من ذلك الذي يحدث بعد هذه السن ، لأنه في الحالة الأخيرة يكون الطفل قد تمكن من بناء المفاهيم الأساسية في الحياة ، والوعي بنفسه وبصورة جسمه ويسته خلال الخبرات البصرية . كذلك فإن قدرته على التصور البصري تظل قائمة ولو إلى حد ما .

الخوف من الضرر

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر في شخصية الكفيف خوفه من الضرر بواسطة العوائق ، فالكفيف يسمع الأصوات المثيرة ، ويشعر بالأحاسيس المختلفة ، اللمسية والسمعية والشمية ، وهو ككل إنسان يرغب في الاستجابة لتلك المثرات ، وإشباع الميل للكشف والاستطلاع ، لكن خوفه من الاصطدام بالعوائق أو التعثر مما قد ينجم عنه أذى بدني ، يكيل حركته ويكف نشاطه . وبالتدريج قد يصبح خاملاً بطيء الاستجابة إذا لم يبادر الوالدان أو المربون بتعليمه وسائل التحرك السليمة ، والطرق الآمنة التي قد يستطيع الانتقال خلالها داخل المنزل ، أو حتى خارجه . هذا ويمكن أن تعد البيئة المنزلية لتسهيل تحرك الكفيف بإزالة العوائق من الأماكن المطروقة له ، فيؤدي ذلك إلى انطلاقه ، وعدم إحساسه بالقيود ، وتفاعله مع البيئة ، وهذا بالتالي قد يساهم في توافق شخصيته .

مواجهة المشكلات

هذا والكفيف مثل العادي عليه أن يواجه المشكلات التي يواجهها كل فرد في المجتمع مثل مشكلات النمو ، وخصوصاً مراحل المراهقة وإكمال النمو ، كذا مشكلات التوافق الاجتماعي . وقد وجد فاين في دراسة أجراها عام ١٩٦٨ م ، نسبة مرتفعة من الاضطرابات الانفعالية لدى المكفوفين ، ومتعلقة باضطرابات الشخصية خلال مراحل النمو (جيلفورد ١٩٧١ م) . ومن الظواهر غير العادية في الشخصية التي تلاحظ كثيراً عند بعض المكفوفين كثرة التخيل ، وأحلام اليقظة .

فأحلام اليقظة يمكن اعتبارها ظاهرة عادية حيث إنها موجودة عند جميع الأفراد تقريباً ، وقد يكون لها فائدة أحياناً ، حيث تعمل على التنفيس عن بعض الرغبات ، كما قد تؤدي إلى حث الدوافع عند الإنسان لتحقيق ما يتمناه ، إلا أن كثرتها قد تؤدي إلى السلبية ، وبالتدريج قد تؤدي أيضاً إلى خروج الإنسان عن عالم الواقع إلى عالم الخيال الذي يبنه على هواه ، ويحقق فيه كل رغباته .

والواقع أن الكفيف كالشخص العادي قد يشعر بالإحباط فيلجأ إلى أحلام اليقظة في محاولة تعويضية لإشباع نزعاته المختلفة . ويلاحظ أن أحلام اليقظة كأحلام النوم عند الكفيف ، عبارة عن صور صوتية ، وليست بصرية خصوصاً عند المولود أعمى . وفي أحلام اليقظة يحقق ما عجز عن إدراكه ، أو فهمه ، أو إشباعه في العالم الخارجي . ونظراً للظروف المحيطة التي تحيط بالكفيف فإن لجوئه إلى مثل هذه الإشباعات البديلة قد يكون أكثر منه لدى العاديين . وقد يصاحب هذه التخيلات كلام كثير مع نفسه يناقش فيه سلوكه وسلوك الآخرين . وكثرة أحلام اليقظة وزيادتها عن الحد المعقول قد تؤدي إلى تعود الكفيف الحياة في عالم من نسج الخيال يشبع فيه رغباته ، ويحقق آماله ، ويتنصر على أعدائه ،

ويحصل فيه على ما لم يحصل عليه في عالم الواقع . وقد يؤدي هذا بالتدريج إلى انفصاله عن عالم الواقع إذا ساعدت ظروف أخرى على ذلك .

الاعتماد على النفس

والكفيف بطبيعة عاهته ، يعتمد على غيره في بعض الأحوال ، ويعتبر هذا عادياً . ولكن إذا كان الاعتماد على الغير تاماً وفي كل الأحوال فإن هذا يجعل منه شخصية اتكالية إلى حد كبير ، وقد تأخذ هذه الاتكالية في التزايد - كوسيلة هروبية - حتى تشمل كل نواحي الحياة تقريباً . ولذلك فإن تربية الطفل الكفيف يجب أن تشمل أيضاً إعطاؤه الحرية والفرصة للاعتماد على النفس ، بتدريبه على الحركة في الحدود الآمنة ، وقضاء بعض حوائجه مهما لاقى في ذلك من صعوبات كالإغترسال وترتيب سريره وارتداء ملابسه وإطعام نفسه . ثم إعطاؤه الفرصة للحركة داخل المنزل وخارجه ، وهكذا تتاح له الفرصة لنمو الشخصية المستقلة المعتمدة على نفسها .

كذلك فإن الكفيف بحكم عاهته قد يشعر بالنقص ، خصوصاً حالات الذين أصيبوا بالعمى بعد الولادة بفترة ، ولا نريد هنا أن نقول إن الكفيف يحسن أن يتجاهل عاهته فهذا أمر مرفوض تماماً ، وله نفس الأخطاء والخطورة كالمبالة في العاهة وآثارها . إن دراسات علم النفس ودراسة حالات الأفراد الذين تفوقوا في الحياة إلى مدى بعيد مثل هوميروس الشاعر الإغريقي ، وديديموس المصري ، وشار بن برد ،

وأبو العلاء المعري ، وفي العصور الحديثة طه حسين ، وهيلين كيلر تبين أن الإنسان يمكن أن يتفوق رغم عاهته ، أو على الأقل يمكن أن يعيش ناجحاً سويلاً . لذلك فإن مشاعر النقص الشديدة عند الكفيف تعتبر مشاعر غير سوية ، ويجب العمل على وقاية الطفل الكفيف منها بتفهمه حقيقة قدراته ، وإعطائه الفرص للنجاح في الأعمال التي يمكنه أدائها ، ولا شك أن النجاح يؤدي للنجاح ، وبذلك يمكن وقايتها من أثر ذلك الشعور الضار بالشخصية .

له . ويجب ألا يوبخ أو يعامل بقسوة للتخلص منها . ولكن التوجيه بهدوء قد يكون مناسباً لكثير من الأطفال مع مساعدة الطفل على التخلص من القلق ، وعلاجه ، وإيجاد مناسبات إيجابية لاستغراق طاقته . ويمكن أن نقارن هذه اللزمات بعملية مص الإبهام وهي مرحلة يمر بها جميع الأطفال تقريباً . وقد يكون ذلك مقبولا من الطفل الصغير جداً ، أما الطفل الكبير فإن ذلك يكون موضعاً للسخرية . ومن أهم الوسائل تأثيراً لمساعدة الطفل على التغلب على هذه اللزمات إمداده بوسائل للتسلية ، وألعاب مثيرة ، وأنشطة ذات اهتمام حقيقي بالنسبة له . ومع ذلك فإن التشجيع المباشر قد يكون ضرورياً .

التعبيرات الحركية

ومن الخصائص الأخرى التي نلاحظها عند الكفيف عدم وجود التعبيرات الوجهية المناسبة . فالطفل المبصر يستجيب لتعبيرات الوجه عند أمه كما يستجيب لحركاتها . والسمع ينبيهه إلى الأعمال التي تقوم بها الأم ووجودها إلى جانبه . والمبصر يمكنه من رؤية أمه والاستجابة لها بطريقة سريعة . أما الطفل الكفيف فنظراً لعدم رؤيته لأمه ، وعدم رؤيته للتعبيرات الوجهية عند الآخرين ، وبالتالي يعجز عن تقليدها فإن مثل هذه التعبيرات لا تظهر على وجهه في أغلب الأحوال . فالكفيف عندما يغضب أو يفرح أو يندمش فإن ملامح وجهه قد لا تدل على ذلك .

وهذا يؤدي إلى ضعف الاتصال مع الآخرين من المبصرين . وقد ذكر **دوماس (بيكو ١٩٥٤م)** ، بعض تجارب أجراها على المكفوفين في **المعهد القومي للمكفوفين** ببباريس عن إظهار تعبيرات وجهية معينة . فمثل البحث ٣٣ فرداً من المولودين عمي ، وطلب منهم أن يعبروا بوجوههم عن عواطف قوية أو ضعيفة مثل السرور والفرح والغضب والخوف فلم يستطيعوا أن يعملوا ذلك ، لأن التقليد بهذه الصورة من أصل بصري تماماً ، أي ناتج عن طريق المحاكاة ، فالتعبيرات الحركية للوجه عند المكفوفين أقل منها عند المبصرين .

ردود أفعال الآباء نحو الطفل الكفيف وأثرها

إن تربية الكفيف تبدأ حقاً مع ولادته ، أو عندما يكتشف العجز . ولا يحتاج الوالدان إلى المساعدة فقط ، ولكن إلى النصيحة والمعلومات التي تساعد على تربية الطفل الكفيف والتعامل معه . كذلك تساعد هذه المعلومات على تجنب القلق الذي لا فائدة منه لدى الوالدين . وكذلك فإن هذه المعلومات مهمة ، لأن وعي الطفل بنفسه ومعرفته ببيئته — الذي يعتمد على البصر في السنوات المبكرة — يجب أن ينمو بوسائل أخرى . وربما الأهم من كل ذلك العلاقة مع الأب والأم التي ينبغي على أساسها النمو الاجتماعي العاطفي للطفل . إن الآباء تتباين استجاباتهم لصدمة كون الابن كفيفاً ، ومن هذه الاستجابات : النبذ ، الانقباض ،



★ الأنفل استخدام كافة الأصابع في قراءة (برايل) ★

لزمات الكفيف

ومن الخصائص الموجودة عند كثير من المكفوفين ما يسمى باللزمات ، فإذا لاحظنا المكفوفين بدقة نجد أن كثيراً منهم يقومون بحركات عصبية تعتبر من الخصائص المميزة لهم مثل وضع الأصابع في العين ، هز اليدين ، هز الرأس . وأغلب الأطفال المكفوفين يمرون بمثل هذه المرحلة من اللزمات في خلال نموهم العادي ، ويرى كثير من الباحثين أن مثل هذه اللزمات هي نتيجة ضعف أو بطل الاستشارة (**ستراتون ١٩٧٧م**) ، سواء منها اللمسية أو السمعية من أحد الوالدين ، لذا فإن الطفل يترك نفسه للمثيرات الداخلية مما يلجأ معه إلى تلك اللزمات .

وفي المراحل الأولى من العمر فإن هذه اللزمات لا تشير الاهتمام في حد ذاتها إلا أنها قد تؤدي إلى تعطيل أو اضطراب بعض العمليات الهامة في حياة الكفيف مثل القراءة أو الحركة . كذلك إذا استمرت هذه اللزمات فترة من الزمن فإنها تصبح عادات حركية من الصعب تغييرها . وهي قد تدل أيضاً على اتجاهات سلبية في حياة الكفيف ، وسبباً للتخفيف من القلق ، فكلمة احتاج للاستشارة ، أو كلمه واجهته مشكلة ، أو موقف ما لجأ إلى تلك الحركات . هذا إلى أنها تؤدي إلى مظهر اجتماعي غير مناسب عن الكفيف . لكل هذه الأسباب من المهم مساعدة الكفيف على التخلص من هذه اللزمات في أسرع وقت مناسب

القلق ، عدم القدرة على مواجهة المشكلة ، الحماية الزائدة . فالنبد قد يشعر به الأب كرد فعل لما قد يرى فيه انتقاماً إلهياً لذنوب ارتكبها . لذلك فهو لا يريد ولا يتقبل من يذكره بخطئه وسوء حظه .

إن الطفل الكفيف يحتاج فعلاً إلى رعاية أكثر ويحتاج إلى إشباع دوافع هامة وعاجلة ، ولكن الأب قد يقابل ذلك بالحرمان وعدم التقبل . إن الطفل الكفيف يحتاج إلى إثارة وتنبيه ، أكثر من الطفل المبصر ، لكنه في الواقع قد يأخذ أقل . ومن الآباء من يستجيب لهذه الصدمة بالانقباض . إن بعض الآباء قد يندب حظه العاثر لهذه الكارثة التي ألمت به .

إن الطفل يذكره دائماً بسوء حظه . وقد ينتهي به الأمر إلى الانقباض ، ليس فقط كعرض مرضي ، ولكن بصفة خاصة في مواجهة المتطلبات الأساسية للطفل الكفيف . إنه قد يستجيب له بالجمود والتجاهل التام . وبعض الآباء قد يستجيب بمشاعر القلق وعدم القدرة على التصرف في مواجهة مشكلة الابن الكفيف . إن مشاعر القلق تؤدي إلى إحساسه بالاهتمام بالمشكلة ، ولكنه اهتمام مرضي يجعله غير قادر على التصرف ، وغير قادر على الاستجابة المناسبة لشؤون ابنه الكفيف .

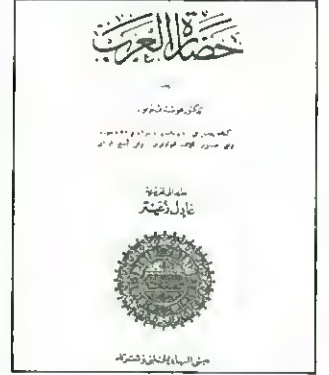


وهناك فئة من الآباء قد تستجيب للطفل الكفيف بالحماية الزائدة . والواقع أنه من الحاجات الهامة عند الطفل الكفيف الحاجة إلى الاعتماد على النفس ، والاستقلال ، وتعلم عمل الأشياء المناسبة له بنفسه . والحماية الزائدة ليست عطفاً عليه ، لكنها خدمة سيئة وغير مطلوبة ، وهي تضيق عبئاً جديداً على مشكلات الطفل الكفيف . والحماية الزائدة تتضمن في الواقع عدم تقبل الطفل الكفيف كفرد له حقوقه الذاتية قادر على أداء الوظائف المناسبة لقدراته . وعلى المدى الطويل فإنها تهدد شعوره بالأمن ، وتثير فيه الخوف من فقد الحماية .

إن مثل هذه الاستجابات غير السوية من الآباء تتطلب وقتاً لفهم الموقف على حقيقته ، وللتصرف بطريقة سوية ، والتخلص من المشاعر غير المناسبة . والإرشاد النفسي في ذلك الوقت يكون أكثر فائدة ، لذلك من المهم توفير خدمات الإرشاد النفسي وجعلها ميسورة لأسر المكفوفين . إنه من الجلي أن تأخير أو تعويق عملية الإرشاد قد يؤدي إلى تكوين أنماط لا سوية في شخصية الطفل تتكون كنتيجة لسلوك الوالدين مما يؤدي إلى تأصيلها ، وبالتالي قد تساعد على الانحراف .

إن دراسات جامعة شيكاغو على الأطفال المكفوفين (استراتون ١٩٧٧م) ، تؤكد أهمية أثر الأسرة والبيئة على الطفل الكفيف من حيث نموه وشخصيته . وتنتهي في تقريرها إلى أن نواحي النقص التي تنسب عادة إلى العمى ترجع أساساً ليس إلى الإعاقة الجسمية في ذاتها ، ولكن إلى تحديد فرص التعلم التي يجربها الطفل . وتقرر أيضاً أن الطفل الكفيف من السهل التأثير على حالته النفسية ، وأنه يعاني بدرجة كبرى من أي ظروف غير مناسبة للنمو . إنه لغني عن البيان أن نوضح أثر الأسرة في تربية وتنشئة الطفل .

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للطفل العادي ، فإنه من باب أولى أن يكون الأمر أشد أثراً بالنسبة للطفل المعوق ، وخصوصاً الطفل الكفيف الذي فقد نعمة البصر وما تيسره من متعة ونعم وإدراك كثير من معاني الحياة . ولكن إذا نما الطفل مستقلاً معتمداً على نفسه فإنه لا يخشى التغيرات ، أو المواقف الجديدة التي لم يكتشفها بعد ، كما أنه يستطيع الاعتماد على إمكانياته المحدودة ، ويستطيع تعلم اكتشاف المواقف الجديدة ، والتعامل معها . إن الحماية الزائدة قد تكون عقبة في نمو الطفل ، وتؤثر في شخصيته من حيث العلاقات الاجتماعية والشعور بالأمن . إن أهم أنواع العطف الذي يمكن أن توفره الأسرة للطفل الكفيف ، وأصعبها أيضاً هو أن تتجنب الحماية الزائدة بأي طريق ، وتعليمه كيف يمكن أن يعتمد على نفسه ليصبح مستقلاً . والطفل الكفيف إذا كان عليه أن ينمو بطريقة سوية ، ويكون له شخصية مستقلة ويعيش حياة كاملة مثل إخوته المبصرين ، فإن ذلك يكون فقط لأنه منذ الطفولة الأولى قد بذلت جهود خاصة داخل الأسرة لتشجيعه وتنمية قدراته التي يمتلكها إلى أقصى حد . وهو مثل الأطفال المعاقين الآخرين يحتاج إلى إجراءات خاصة لحمايته ، ومثل هذه الإجراءات يجب ألا يسمح لها بأن تلغي حرمة الشخصية في أن يتحرك ويلعب ، حتى إذا كان الأمر يستدعي بعض المخاطرة وبدون ذلك فإنه يستحيل عليه أن يحيا حياة عادية في عالم المبصرين ! .



★ عادل زعيتر ★



تأليف

د. غوستاف لوبون

نقله إلى العربية

عادل زعيتر

عرض وتمتد

محمود الأرنؤوط

حضارة العرب

أجد نفسي مرغماً أو مدفوعاً إذا صح التعبير ، قبل أن أحدثك عزيزي القارئ عن هذا الكتاب ، أن أسجل بعض الكلمات عن العلامة المؤرخ ، والأديب المتفنن الأستاذ عادل زعيتر (١٨٩٧ - ١٩٥٧م) واحد ممن أسهموا في حركة الترجمة في مشرقنا العربي ، في النصف الأول للقرن العشرين ، هذا الرجل الذي كرّس جل أوقات عمره ، لينقل لأبناء أمته أروع وأهم ما صنف الباحثون والكتّاب ، في فرنسا القرن التاسع عشر ، من أمثال : جان جاك روسو ، وفولتير ، وأنتاتول فرانس ، وإميل لودويغ ، وغوستاف لوبون ، وإن كان الأخير أجودهم نتاجاً في الكم والكيف من الزاوية التاريخية ، وقد بلغت المصنفات التي ترجمها نحواً من أربعين مجلداً لو ضمت إلى بعضها لشكلت مكتبة ثقافية مرموقة ، والمتتبع للمصنفات التي ترجمها الرجل يجد له دوراً لا يقل أهمية عن دور الترجمة في تلك الكتب ، ألا وهو دور الناقد النافذ البصيرة ، وخاصة في (حضارة العرب) هذا ، حيث يتصدى للجوانب التي جانب الصواب فيها المؤلف ، ناقداً معلقاً معيداً الكاتب والكتاب إلى الرأي القوي السديد ، سيما وأن المؤلف يتناول في كتابه تاريخ الأمة العربية وكل من انضوى تحت حكمها من الشعوب ، وهو لا يقتصر في كتابه هذا على ذلك ، بل لم يترك دولة إسلامية قامت للموالي دون أن يتحدث عنها ، لذلك مهما أحاط لوبون وأجاد في كتابه لا بد وأن يفسوته القليل أو الكثير تبعاً لأهمية الفصل الذي يتحدث فيه ^(١) .



★ الرازي ★



★ ابن رشد ★

العرب وبيئاتهم ، ودرس فيه أخلاقهم وعاداتهم وطبائعهم ونظمهم ومعتقداتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وصناعاتهم وتأثيرهم في المشرق والمغرب وأسباب عظمتهم وانحطاطهم .

وبما تجدر الإشارة إليه أن لويون يتحدث عن العرب وحضارتهم منذ العصر الجاهلي ومروراً بالعصر النبوي والدولة الأولى التي أقامها الخلفاء الراشدون ، ومنتهاً إلى ما تلاها من الدول والتي كانت آخرها الدولة العثمانية .

يقول لويون عن العرب : إنهم لم يكونوا من الأجلاف قبل الإسلام ، وإن السجايا الخلقية للعرق العربي هي التي عيّنت اتجاهه ، ويضيف : إن الحضارة التي أقامها العرب في أقل من مئة سنة مرت على البعثة المحمدية ، هي من أنضج الحضارات التي عرفها التاريخ ، والتعصب الديني وحده هو الذي أعمى بصائر مؤرخي الغرب عن الاعتراف بفضل محمد (صلى الله عليه وسلم) . ويضيف : إذا ما قيس قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد (صلى الله عليه وسلم) من أعظم من عرفهم التاريخ . ويعطي لويون إلى القول : صار العرب أمة واحدة بفضل الإسلام ، وأصبح الإسلام مثل العرب الأعلى ، واكتسب العرب من الحمية ما استعدوا معه لفتح العالم إعلاء لشأنه بقيادة زعمائهم الماهرين .

الباب الأول

وقد تضمن ثلاثة فصول ، تحدث لويون في الأول منها عن جغرافية الجزيرة العربية ومساحتها وسكانها وجبالها وسهولها وأقسامها ، وفي الثاني منها تحدث لويون عن العرق العربي بشكل مبسط ومنذ أقدم العصور ، وفي الثالث منها تحدث لويون عن حياة العرب قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن العادات والتقاليد التي كانت سائدة عند العرب في تلك الفترة .

كان من نتائج اصطراع الشرق والغرب منذ قرون مضت ، وإلقاء العرب الرعب في قلوب الأوروبيين ، أن صار الأوروبيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرروا من سلطانها إلا منذ زمن قريب . فأنحدوا ينكرون فضل العرب على أوربية وتمدينهم لها ، وأصبح هذا الإنكار من تقاليد مؤرخي أوربية وكُتّابها الذين لم يُقرُّوا لغير اليونان والرومان بتمدينها ، وقد ساعد على هذا ما عليه العرب والمسلمون من التأخر في الزمن الأخير ، فلم يشاؤوا أن يروا للعرب رقباً تاريخياً أعظم مما هم عليه الآن غير ناظرين إلى أن نجم حضارة العرب أفل منذ أجيال ، وأنه لا يصح اتخاذ الحال الراهنة دليلاً على الماضي ، وعلى الرغم من ذلك لم تحل أوربية ، من مؤرخين أبصروا ما للعرب من فضل في تمدين أوربية ، فألفوا كتباً اعترفوا فيها للعرب بما ليس فيه الكفاية^(١) .

موقف لويون من العرب والرسول

وقد راع هذا الجحود العلامة الفرنسي الشهير الدكتور غوستاف لويون^(٢) ، وهو الذي هدته رحلاته في العالم الإسلامي ، ومباحثه الاجتماعية إلى أن العرب هم الذين مدنوا أوربية ، فرأى أن يبعث عصر العرب الذهبي من مرقدته ، وأن يبيده للعالم في صورته الحقيقية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فأخرج كتابه (حضارة العرب) عام ١٨٨٤م ، وقد سلك العلامة لويون بتأليف كتابه هذا طريقاً لم يسبقه إليها أحد ، فجاء جامعاً لعناصر هذه الحضارة وتأثيرها في العالم ، شاملاً لعجائبها مفصلاً لعواملها ، باحثاً في قيام دولة العرب وفي أسباب عظمتهم وانحطاطهم ، مبتعداً عن أوهام الأوروبيين التقليدية في العرب والإسلام^(٣) .

وقد استعان لويون بطريقة التحليل العلمي على الخصوص ، فأوضح في كتابه هذا الصلة بين الحاضر والماضي ، ووصف فيه عرق



★ ابن سينا ★

الباب الثاني

ويتكون من فصلين ، تحدث لوبون في الأول منها عن نشوء الدولة العربية وعن مراحل الدعوة التي قام بها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بينما كرس الفصل الثاني للحديث عن (القرآن الكريم) ، ونراه يقول في هذا الصدد : إن روح العدل والإحسان في القرآن هي من أهم أسباب انتشاره .

الباب الثالث

من أوسع أبواب الكتاب وقد ضم ثمانية فصول ، تحدث لوبون في الأول منها عن دولة الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وعن فتوحاتهم العظيمة ، ثم انتقل فيه للحديث عن الدولة الأموية مشيراً إلى مراحل القوة والضعف فيها ، واختتمه بما آلت إليه حال بني أمية بعد زوال دولتهم .

وفي الفصل الثاني تحدث لوبون عن الدولة العباسية وعن فتوحاتها وبقاياها ، وفي هذا الصدد يقول : كان دور الحضارة الذي عرفته بغداد في عهد الرشيد وابنه المأمون من أنضر أدوار الحضارة العربية ، ويختتم هذا الفصل بالحديث عن أسباب انحطاط الخلافة العباسية ومنه ترف الخلفاء .

ويتنقل المؤلف في الثالث إلى الحديث عن الحضارة التي أوجدها العرب في بلاد فارس والهند ودول شرق آسيا ، وعن الدول الإسلامية التي نشأت هناك بعد الفتح الإسلامي .

العرب في مصر

في الفصل الرابع لهذا الباب ، يتحدث المؤلف عن حال الفتح الإسلامي ، وعن احترام عمرو بن العاص لنظم المصريين وعاداتهم

ومعتقداتهم ، ثم يتحدث عن الدور الحضاري الذي شهدته مصر بعد الفتح العربي الإسلامي لها ، وفي هذا الصدد يقول : إن الرقي الذي جلبه العرب لمصر لم تعرف له مثيلاً منذ فجر التاريخ ، واختتمه بالحديث عن بناء القاهرة على عهد الفاطميين ، وعن الطراز العمراني لمساجد القاهرة وغيرها من المدن في مصر .

وفي الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن الشمال الإفريقي ، ونراه يسهب في الحديث عن تاريخ الشعوب والقبائل التي سكنت تلك المناطق ، ويركز حديثه عن البربر على اعتبار أنهم من أقدم الشعوب التي سكنت الشمال الإفريقي بشكل عام ، ثم يرجع إلى الحديث عن أثر وصول الدين الإسلامي إلى سكان تلك المناطق ، والأثر الواضح لتحضر شعوب تلك المناطق الإفريقية على أيادي القاطنين المسلمين ، وينتهي هذا الفصل في الحديث عن المصاعب التي واجهت الجيش العربي الإسلامي في فتح تلك المناطق الشاسعة المترامية الأطراف ، وفي تحضير شعوبها ونقلهم من حياة البداوة ، إلى حياة مدنية مستقرة ضمن مدن مزدهرة عمرانياً وثقافياً .

العرب في الأندلس

الفصل السادس من هذا الباب خصصه لوبون للحديث عن العرب في إسبانية (الأندلس) ، فيقول : لم يكن حب التوسع وحده هو الذي حفز العرب الذين ترامت أطراف دولتهم إلى فتح إسبانية . ويضيف : دخل جيش إسلامي مؤلف من اثني عشر ألف جندي ببلاد إسبانية في سنة ٧١١ م ، أي زمن الخليفة العاشر^(١) الذي كانت دمشق عاصمته ، ثم يقول : من يقطع القسم الجنوبي الخصب من بلاد إسبانية يعلم مقدار التأثير الذي أثار به في نفوس العرب حينما استولوا عليه ، فقد بهرتهم تربته وهواؤه ومدنه ومبانيه .

ويضيف لوبون : لقد وصفت إسبانية في كتاب أرسله قائد الجيش العربي^(٢) إلى الخليفة الأموي ، بأنها (شامية في طبيعتها وهوائها ، ممتية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكايتها ، أهوازية في جباياتها ، صينية في معادن جواهرها ، عدنية في منافع سواحلها) . ثم يصف لوبون فتح الأندلس في سهولته على أيدي العرب فيقول : كان العرب قد قضوا خمسين سنة في فتح إفريقيا البربرية ، ولم يقضوا سوى بضعة أشهر في فتح جميع إسبانية النصرانية . وعن حضارة العرب في الأندلس يقول لوبون : كانت إسبانية النصرانية ذات رخاء قليل وثقافة لا تلائم غير الأجلال في زمن ملوك القوط ، ولم يكد العرب يتمون فتح إسبانية حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها ، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيو ميت الأرضين ويعمروا خرب المدن ، ويقبضوا فخم المباني ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ويترجموا كتب اليونان واللاتين وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمناً طويلاً .

المباني العربية في الأندلس

وعن المباني العربية في الأندلس يقول لوبون : استخدم العرب في بدء إقامتهم بإسبانية ، مهندسين من الروم ، ولكنهم لم يلبثوا أن أثروا بعبقريتهم الفنية في أولئك المهندسين ، وبلغ إبحاؤهم في أمور الزينة مبلغاً صار يتعذر معه على أقل الناس دقة أن يخلط مبانيهم بالمباني البيزنطية .

العرب في صقلية وإيطالية وفرنسة

في الفصل السابع من هذا الباب تحدث لوبون عن الآثار الحضارية التي خلفها العرب في كل من صقلية وإيطالية وفرنسة ، فيقول : إذا علمنا أن قيمة تأثير إحدى الأمم في أمة أخرى من ناحية الحضارة تقدر بمقدار نهوضها بها وإصلاحها لها رأينا أنه كان للعرب تأثير عظيم في صقلية .

ويضيف : لم يقتصر العرب ، بمقاتلتهم الروم ، على غزو صقلية ، فقد استولوا على جنوب إيطاليا أيضاً ، وبلغوا في تقدمهم ضواحي رومة ، ولم يرجعوا عنها إلا بعد أن وعدهم البابا يوحنا الثامن بدفع جزية إليهم ، واستولى العرب على مدينة برنديزي الواقعة على شاطئ البحر الأدرياتي ومدينة تارانت وأغاروا على دوكية بنيفنت ، وصاروا سادة البحر المطلقين بفتحهم صقلية وأهم جزر إيطاليا ومالطة وجميع جزر البحر المتوسط ، ولم يسع مدينة البندقية إزاء ذلك إلا أن تعدل عن محاربتهم لزمن طويل .

وعن غزو العرب لفرنسة ، يقول لوبون : استولى العرب بالتدريج على نصف فرنسة الحاضرة الذي يبدأ من ضفاف نهر اللوار وينتهي إلى مقاطعة فرنش كوتته ، وأهم غارة شنت على فرنسة هي



الغارة التي قادها عهد الرحمن العسافقي سنة ٧٣٢ م ، واحتل فيها الجنوب الفرنسي الذي بقي لقرون عدة تحت سيطرة العرب المطلقة^(٥) .

أما في الفصل الثامن من هذا الباب خصه لويون للحديث عن الحروب الصليبية من وجهة نظره الخاصة التي تستحق في نظري التقدير ، فنراه يقول : كان سلطان العرب السياسي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، أي في الدور الأول من الحروب الصليبية في طور الانحطاط وإن لم ينو اسمهم في العالم ، فقد كانت إفريقية وإسبانية في قبضتهم ، ولم يتقدم بعد الزمن الذي كانوا فيه سادة البحر المتوسط وسادة جزء من فرنسا وملوكاً لصقلية والذي أوغلوا فيه حتى رومة فأكروها البابا على دفع جزية إليهم ، ولم يصل قياصرة الرومان في إبان مجدهم إلى ما وصل إليه اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) من إلقاء الرعب في قلوب برابرة أوروبا ، فهجوم أوروبا النصرانية على ديار الإسلام الذي كانت فرائص العالم ترتجف فرقاً منه منذ خمسة قرون ، وذلك في عقر دارهم ، من الأعمال التي كانت تتطلب حماسة دينية بالغة واعتماداً كبيراً على الرب وجيشاً مؤلفاً من مليون جندي ، يشير بذلك إلى أن فشل الحملة الصليبية كان متوقفاً سلفاً .

الباب الرابع

وقد ضم خمسة فصول ، خصصها لويون للحديث عن طبائع العرب ونظمهم ، حيث يتحدث عن حياة البدو وأهل الأرياف من العرب ، كما يتحدث فيها عن طبائع وعادات عرب المدن ، ومن ثم يعقد مقارنة بين مجتمعات الغرب ومجتمعات الشرق ، ثم يعرج إلى الحديث عن النظم السياسية والاجتماعية عند العرب ، وعن مصادرها القديمة (القرآن والسنة واجتهادات الخلفاء الراشدين) والحديثة منها



★ أرسطر ★

العقائد الأساسية كوحداية الله ورسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ثم كانوا ينشرون آراءهم علناً ، ويهاجمون بها عقائد المؤمنين بدلا من الاكتفاء بعرضها على المثقفين منهم .

بعد ذلك يتحدث لوبون عن الأدب العربي بشكل عام بما يحوي من الفروع كالشعر والنثر والخط منذ أقدم العصور بما يضيئ بنا المجال في هذا الموضع عن تلخيص كلامه فيه لكونه توسع في الحديث عنه مورداً نماذج من آثار الكتاب والشعراء المبرزين في ساحاته .

في الفصل الرابع من هذا الباب يتحدث لوبون عن العلوم الجغرافية عند العرب ، حيث يقول : كان العرب من السياح المقادير في كل وقت ، كانوا لا يخشون المساف والمراحل ، واليوم أيضاً نراهم يأتون مكة من أقصى البقاع ، ويجوبون بقوافلهم داخل إفريقيا كأمر بسيط ، فيصادفهم فيها الأوروبيون الذين لا يبلغونها إلا بشق الأنفس ، ويخلص في القول إلى أن العرب هم رؤاد علم الجغرافيا بين الأمم عموماً ، ويأتي على ذكر أهم الرحالة العرب في مختلف العصور ، وذكر آثارهم المدونة في هذا الصدد .

العرب استعملوا البارود

في الفصل الخامس من الكتاب تحدث لوبون عن (الفيزياء وتطبيقاتها عند العرب) فيقول : ضاعت كتب العرب المهمة في الفيزياء التي خلفها علماء العرب ، ولم يبق منها غير أسمائها ككتاب الحسن بن الهيثم في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة ، ثم يصف المؤلف الساعة القديمة للجامع الأموي بدمشق ، ثم يتحدث عن اكتشاف العرب لأهم المركبات الكيماوية كالحامض الكبريتي والكحول ، واكتشافهم للتقطير ، ويعرج للحديث عن أشهر مؤلفات العرب في هذا الميدان .

ثم يشير لوبون إلى اختراع العرب للبارود ، حيث استعملوا البارود في الحروب الصليبية قبل أن تعرفه أوروبا بزمان طويل ، ويستشهد بذلك

(مذاهب الأئمة الأربعة) وسواهم من الأئمة المجتهدين ، وتراه يفرّد فصلاً من الفصول الخمسة عن (المرأة في الشرق) يتحدث فيه عن أسباب تعدد الزوجات في الشرق منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي وحتى العصر الحديث .

ويخلص في هذا الفصل إلى أن دين الإسلام أول دين رفع من شأن المرأة ، ويضيف بأن حال المرأة المتزوجة في البلاد الإسلامية أفضل منها في أوروبا في عصره ، وفي فصل آخر من هذا الباب يتحدث لوبون عن (الدين والأخلاق) عند العرب ينتهي فيه إلى أن المعتقدات الدينية كانت عاملاً مهماً في تطور العرب ورفعة أخلاقهم ، بينما نجدتنا في الفصل الخامس عن المساجد والزوايا والمدارس وغيرها من أماكن ومراكز العبادة والعلم في ديار العرب منذ العصر الإسلامي الأول وحتى العصر الحديث ، وعن الأثر الذي كان لهذه المراكز في التطور الحضاري لبلاد العرب والعجم بعد

سهر - - - - - في ضوء هذا الفصل

الباب الخامس

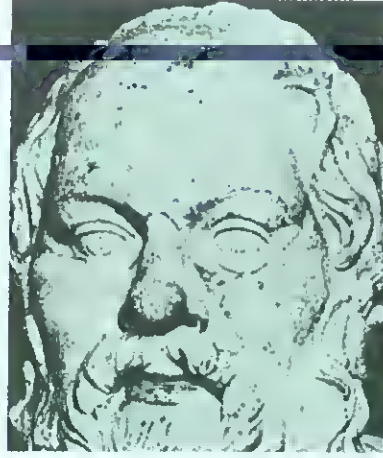
وهو أوسع الأبواب التي ضمها الكتاب ، فقد حوى عشرة فصول واحتل من الكتاب مئة وستاً وأربعين صفحة ، وقد كرّسه لوبون للحديث عن حضارة العرب من كل جوانبها ، حيث يتحدث في الفصل الأول عن مصادر معارف العرب العلمية والأدبية ، وعن اهتمام الخلفاء في العصر العباسي بنقل كتب اليونان إلى اللغة العربية ، وعن النشاط الذي كان للعرب في حقل الأبحاث العلمية والأدبية ، ثم يتطرق للحديث عن تأسيس المكتبات والمدارس واختبرات والمراصد ، ومنها يتحول للحديث عن مناهج العرب العلمية ، ويؤكد في ختام هذا الفصل بأن العرب هم أول من أدخل التجربة والترصد إلى دراسة العلوم .

في الفصل الثاني : يتحدث لوبون عن اللغة والفلسفة والآداب والتاريخ عند العرب ، فراه يقول : اللغة العربية هي لغة أسم الإسلام عامة ، ويشير من ناحية ثانية إلى أن اللغة العربية أثرت في اللغة الإسبانية واللغة الفرنسية .

وفي مجال الفلسفة عند العرب يقول المؤلف : كانت فلسفة العرب حينما شرعوا يدخلون ميدان الحضارة ، مقتصرة على مبادئ علم النفس العلمية التي هي وليدة التجربة لا الكتب ، والتي ينتفع الإنسان بها في مضمار الحياة فقط ، ثم يضيف : واليونان هم أساتذة العرب الأولون في الفلسفة ، ولم تلبث كتب أرسطو وثاليس وأبيدقليس وهرقليطوس وسقراط وغيرهم أن ترجمت إلى لغة العرب ، غير أن العرب فاقوا أساتذتهم بسرعة في جميع العلوم التي تقوم على التجربة ، غير أن جماهير المسلمين كانت تثقت بالفلسفة العرب مع ما تم لهم من المقام الأسمى في جامعات العرب ، وللجماهير ما تعتذر به عن معارضتها للفلسفة ، فقد نبذ الفلاسفة أكثر أحكام دين الإسلام ، ولم يسلموا بغير



★ فولتير ★



★ سقراط ★

في الفصل السابع يتحدثنا لوبون عن الفنون العربية بما في ذلك الرسم والحفر والفنون الصناعية من الفسيفساء وغيرها كصناعة الزجاج والخزف .

بينما يتحدثنا المؤلف في الفصل الثامن عن فن العمارة عند العرب من مختلف جوانبه .

في الفصل التاسع يتحدث لوبون عن تجارة العرب وصلاتهم بمختلف الأمم عبر الطرق البرية منها والبحرية ، حيث يؤكد وصول العرب إلى بلاد الصين شرقاً والبلاد الأوروبية شمالاً والبلاد الإفريقية غرباً .

في الفصل العاشر والأخير من هذا الباب ، يتحدثنا لوبون عن تمدن العرب لأوروبا وتأثيرهم في الشرق والغرب ، وفيما يخص أوروبا يقول : كانت أوروبا تعيش في همجية حينما دخلها العرب ، وإن تأثيرهم فيها لا يقل أهمية عن تأثيرهم في بلاد الشرق ، ويضيف : لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخلوا الحضارة إليها .

ثم يضيف لوبون : إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد ، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانية ساطعة جداً ، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنوورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون . ثم يضيف : ودامت همجية أوروبا البالغة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها ، ولم يبدُ في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر للميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم ، فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم ، ولم تكن الحروب الصليبية سبباً في إدخال العلوم إلى أوروبا كما يُردّد على العموم ، وإنما دخلت العلوم أوروبا من إسبانية وصقلية وإيطالية ، وذلك أن مكتبة المترجمين في طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠ م ، بنقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، وأن أعمال هذا المكتب كللت بالنجاح^(٧) .

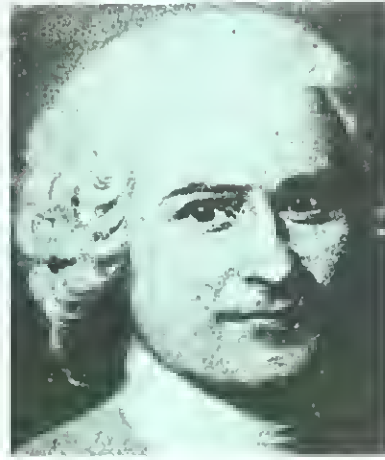
بما رواه (جوانفيل) أحد قواد القوات الصليبية حيث قال : إنها أفضع شيء رآه في حياته (قذائف اللهب) ، وإنها ضرب من التناين الكبيرة الطائرة في الهواء ، ويشير بذلك إلى قذائف اللهب بالمنجنيق ، ثم يضيف : إن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار ، وفي هذا الصدد يقول : إن الأمير يعقوب حاصر زعمياً للثوار في مدينة المهديّة بإفريقية في سنة ١٢٠٥ م ، وإنه ضرب أسوارها بمختلف الآلات والقنابل ... أي ضربها بآلات لم يرها الناس من قبل ، ثم يأتي المؤلف بأكثر من رواية تثبت أن العرب هم أول من استعمل البارود والقذائف بين الأمم ، ومن تلك الروايات رواية نقلها عن ابن خلدون .

ثم يتحدثنا عن صناعة الورق لدى العرب فيقول : إن العرب هم أول من أحل الورق محل الرقّ ، بعدها يتحدثنا عن استخدام البوصلة في الملاحة فيقول : البوصلة هي من اختراع الصينيين ، ولكنه لم يقدّم دليل على استخدامها في الملاحة ، فكانت البوصلة قليلة النفع لهم ، وقد نقل اختراعها عنهم العرب ، وهم ، أي العرب ، أول من استخدمها من الأمم على نطاق واسع ، ومن ثم نقل الأوروبيون اختراع البوصلة عن العرب .

العرب ابتدعوا علم الصيدلة

في الفصل السادس من هذا الباب حدثنا لوبون عن العلوم الطبيعية والطبية عند العرب ، ويتطرق للحديث عن كتب العرب في النباتات والمعادن والمتحجرات ، ثم يتحدثنا عن كتب العرب الطبية ، وما أحدثه العرب في ميدان الطب ، وعن أبرز الأطباء العرب كالرازي وابن سينا وابن رشد وغيرهم ، بعد ذلك يتحدثنا عن تقدم العرب في هذا المضمار وعن إدخالهم الكثير من الأدوية إلى علم الطب ، ثم يخلص إلى القول : بأن العرب هم الذين ابتدعوا الصيدلة ، وينتهي حديثه في هذا الفصل عملاً أحدثه العرب في علم الجراحة الطبية .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب ، يتحدث لوبون عن أسباب عظمة العرب والمحطاتهم ، وعن حال المسلمين في عصره ، حيث يقول : ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) في أحسن الأوقات ، حيث كان العالم المسن متصدعاً فيه من كل جانب ، ولم يكن يتوجب على أتباع محمد إلا أن يهزوه ليتساقط ، ولم تكن الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام سوى ميدان حرب دائم واسع لما تآصل في العرب من الطبايع الحربية ، ولما جاء الإسلام وألف بين قلوب العرب وجهوا جميع قواتهم إلى البلاد الأجنبية ، وكانت طبايعهم الحربية من أسباب انتصاراتهم ، ولما خلا الميدان من أعداء مجاربونهم صوبوا أسلحتهم نحو بعضهم ، وهكذا بدت هذه الصفات التي كانت سر عظمتهم سبب انحطاطهم الأكبر^(٩) .



★ جان جاك روسو ★

بقي أن أضيف بأن لوبون ضمن كتابه العظيم هذا مجموعة كبيرة جداً من الصور الفوتوغرافية الرائعة التقطها بنفسه خلال رحلاته في العالم الإسلامي ، لأهم المعالم الحضارية والمعمارية والثقافية والاجتماعية في القرن التاسع عشر الذي عاش فيه ، وتلك الصور يحد ذاتها تمثل متحفاً رائعاً قدر له أن ينضم إلى كتاب رائع ، إضافة إلى بعض الخرائط واللوحات الرائعة .

الهوامش

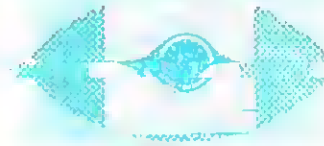
- ١ - لدينا دراسة عن حياة وآثار العلّامة عادل زعير لا تزال مخطوطة ، ربما نشرناها قريباً في مجلة «الفيصل» ، وعننا أخذنا هذه المقتطفات التي تخص زعير .
- ٢ - من المقدمة التي كتبها الأستاذ عادل زعير للكتاب .
- ٣ - لم تسعنا المصادر المتوفرة في مكتبتنا الخاصة بترجمة للدكتور غوستاف لوبون ، فقصداً دار الكتب الظاهرية العامة بدمشق ، وفنشنا المصادر المتوفرة فيها عسانا نوفق إلى ترجمته في أحدها فلم نوفق للأسف .
- ٤ - هو الوليد بن عبد الملك رحمه الله .
- ٥ - هو موسى بن نصير ، وفي رواية أنه سار في مركب نصر إلى الشام ، حيث كان الوليد ينتظره بفارغ الصبر ، إلا أنه ما كاد يبلغ دمشق ، حتى توفي الوليد .
- ٦ - راجع في هذا الصدد كتاب (تاريخ غزوات العرب) في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، للأمير شكيب أرسلان فإنه فريد في بابيه ، وقد صدر حديثاً في بيروت .
- ٧ - انظر في هذا الصدد مقالنا المنشورة في زاويتنا (المحطة الأخيرة) بمجلة (الثقافة الأسبوعية) الدمشقية بعنوان (الاستشراق والمستشرقون لغة تاريخية) صفحة ١٠ و١٢ من العدد (٢٨) لعام ١٩٨٠ م .
- ٨ - راجع حول هذا الموضوع كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب ، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ٩ - يحد بنا أن نشر إلى أن المؤلف صنع فهرساً بمصادر كتابه ، تعين الدارسين لتاريخ العرب والأمم الإسلامية كافة في الشرق .

الباب السادس

وهو الباب الأخير من الكتاب وقد ضم فصلين ، في الأول منها تحدث لوبون عن المحطات (حضارة العرب) ، ويبدأ الحديث عن ورثة العرب في الأندلس فيقول : إن من أحسن الوسائل لتقدير ما لامة من التأثير النافع أو الضار في أمة أخرى هو أن يبحث في أحوال هذه الأمة قبل أن تخضع للنفوذ الأجنبي وفي أثناء خضوعها له وبعد خلاصها منه ، فأما أحوال الأمم التي دانت للعرب قبل خضوعها لهم وفي أثناء حكمهم لها فقد بحثنا فيها بما فيه الكفاية ، وأما أحوالها بعد أن غاب العرب عن مسرح العالم ، فنبحث فيها الآن بادئين بإسبانية .

ويضيف لوبون : لم يفكر النصارى بعد أن استردوا غرناطة التي كانت معقل الإسلام الأخير في أوروبا ، في السير على سنّة العرب في التسامح الذي رأوه منهم عدة قرون ، بل أخذوا يضطهدون العرب بقسوة عظيمة على الرغم من اليهود ، ومع ما كان يصيب العرب من الاضطهاد كائن تفوقهم الثقافي على الإسبان عاملاً في بقائهم على رأس جميع الصناعات^(٨) .

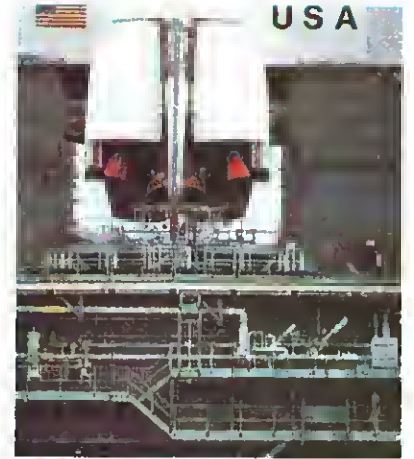
ثم يتحدث لوبون عن ورثة العرب في الشرق فيقول : السترك هم ورثة العرب في مصر وقسم كبير من الشرق كما هو معلوم ، وإذا نظر المرء إلى الترك من الناحية السياسية ، أدرك أنه كان لهم دور كبير من العظمة ، فقد ارتعدت فرائص أقوى ملوك أوروبا ، زمناً طويلاً فرقاً من سلاطينهم الذين قاموا مقام القباصة وأحلوا الحلال محل الصليب الإغريقي فوق آياصوفيا ووسطوا نفوذهم في الأفاق . ويمضي إلى القول : بيد أن عظمة الترك لم تكن في غير الحروب ، والترك وإن استطاعوا أن يؤسسوا دولة كبيرة ، فقد أثبتوا عجزهم عن إبداع حضارة في كل زمن .



موضوع خاص

وأخيراً بدأت المرحلة الثانية من مراحل غزو الفضاء ، مرحلة استثمار بحوث الفضاء لجني الأرباح الوفيرة . ففي صباح الأحد ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، انطلق مكوك الفضاء SPACE SHUTTLE الأمريكي (كولومبيا) رائداً للجيل الثاني من مركبات الفضاء المأهولة بالرواد . مركبات الجيل الأول مثل مركبة أبولو التي وضعت أول إنسان على سطح القمر انتهى دورها بعد رحلتها الوحيدة ، لتحتل مكانها بعدها في متحف الطيران في العاصمة الأمريكية . أما مكوك الفضاء فإنه لن يزور متحف الطيران قبل إنجاز (٥٠) رحلة على الأقل إلى الفضاء الخارجي ، يهبط بعدها على الأرض وكأنه طائرة اعتيادية ، لينطلق إلى الفضاء بعدها مراراً وتكراراً .

★ بوق قاعدة الاطلاق ★



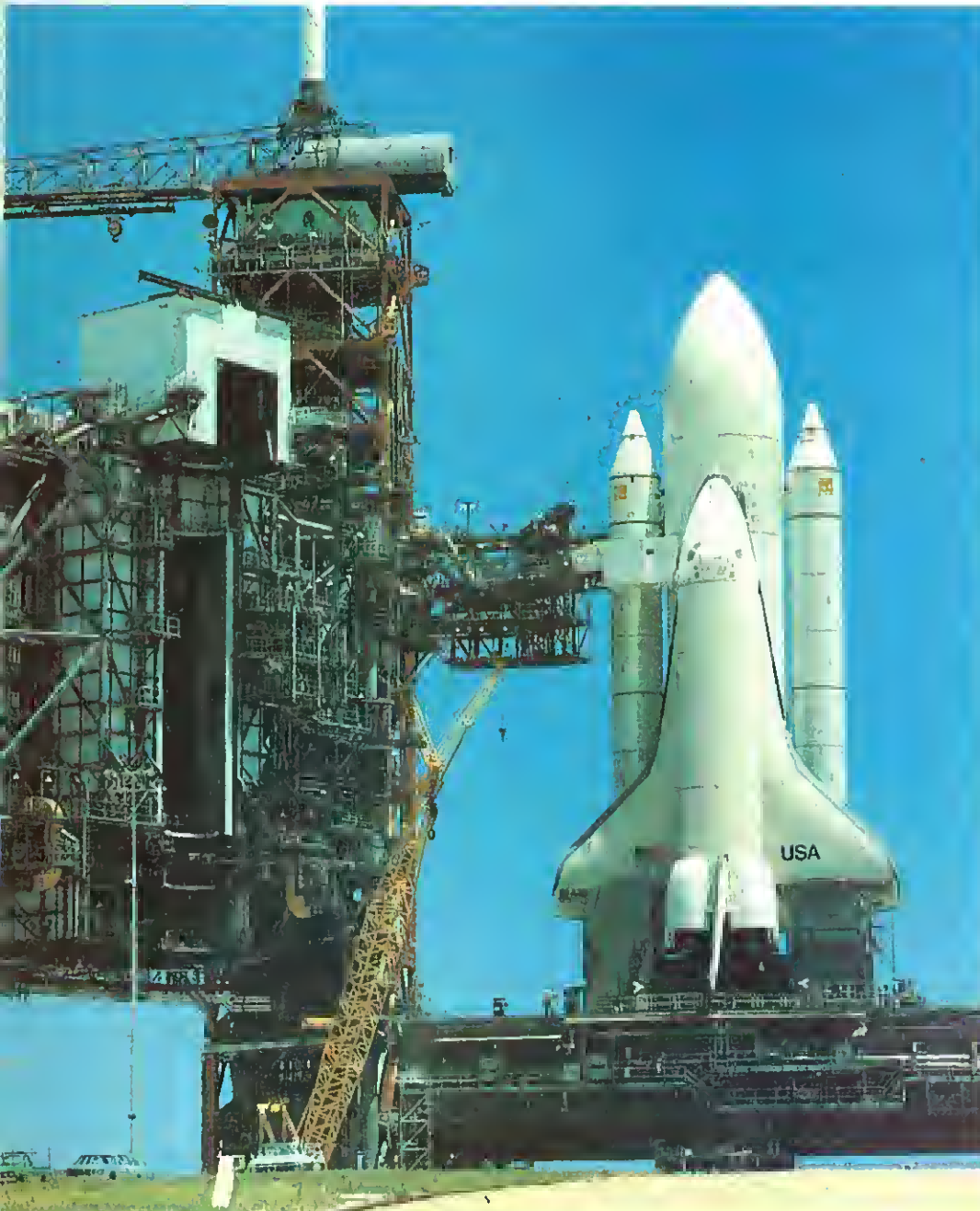
★ كولومب تستند إلى سقالة إطلاق عملاقة ★

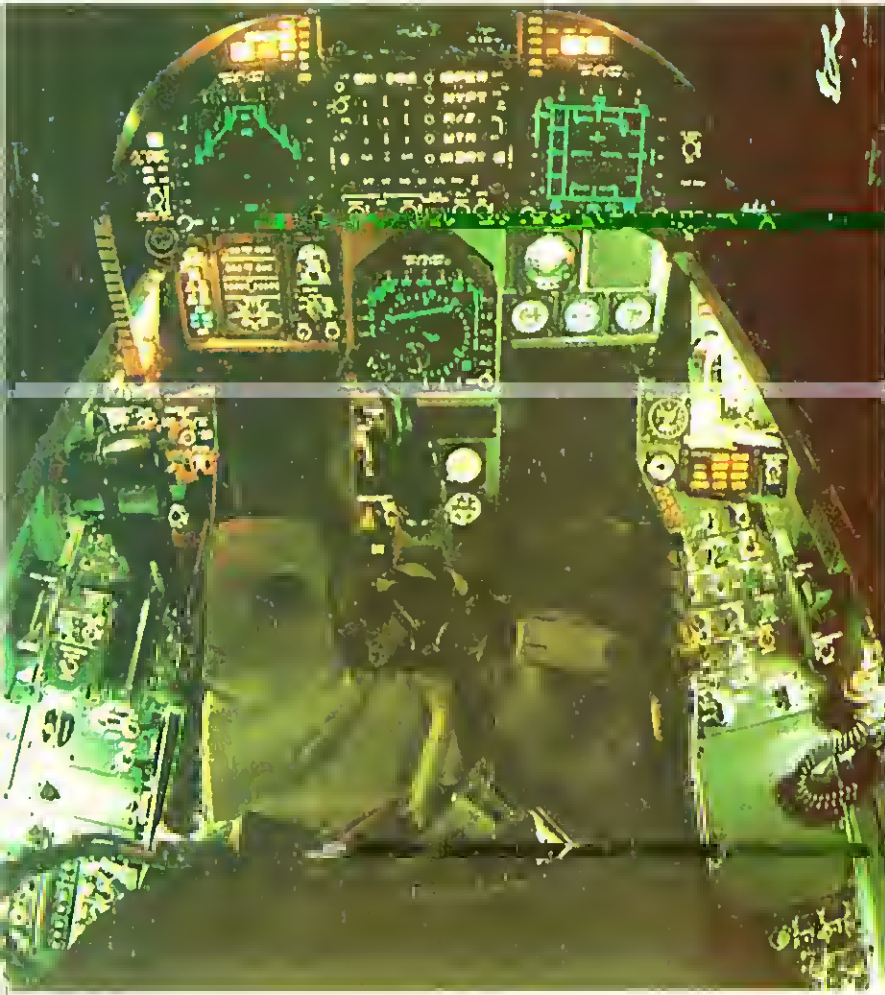
وأخيراً انطلق مكوك الفضاء

بمقام :

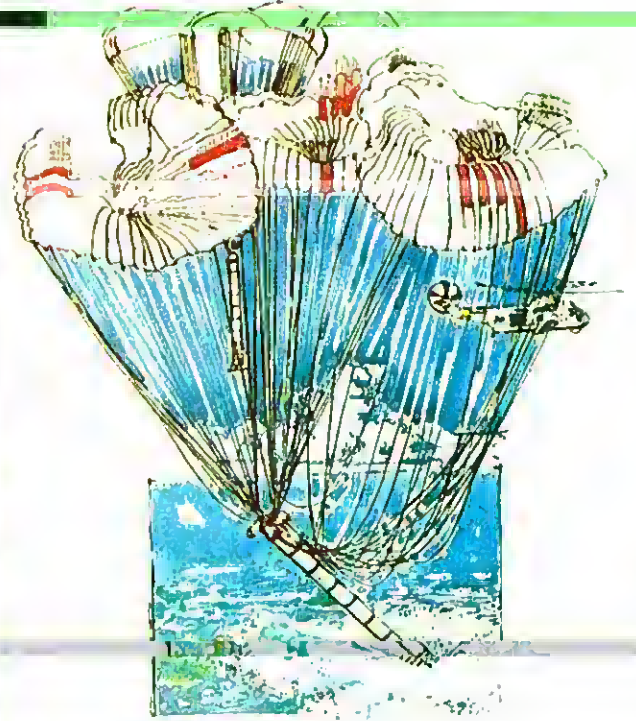
د . مهندس : مظهر صلاح الدين شعبان

مهندس : سمير صلاح الدين شعبان





★ انرى المظلات الفضائية في العالم . كل صاروخ تنصب فيه الوفود الصليب برن ٨٠ طناً . على ارتفاع ٦٦٠٠ قدم ، وسرعة ٢٢٥ ميل في الساعة تنفتح ٣ مظلات يبلغ مجموع أقطارها ما يعادل طول ملعب لكرة القدم . وهكذا ينحدر الصاروخ الساقط في الماء من القنصر ويعاد استخدامه ثانية ★



★ غرفة قيادة إحدى الطائرات الحديثة . هل تختلف كثيراً عن أجنحتها في مكوك الفضاء ؟ ★

« التقليدية » كانت تقوم بنقل الأتار الصناعية والرواد إلى مدارات حول الأرض . إلا أن مكوك الفضاء لن يقوم بنقل المعدات من الأرض إلى الفضاء فحسب ، بل « سيعيدها » إلى الأرض كذلك عند الضرورة . وبينما كانت الصواريخ تخدم رحلة واحدة فحسب ، فإن المكوك نفسه قد يقوم بأكثر من مائة رحلة قبل إحالته على التقاعد (المعاش) . فالمكوك لديه كافة المؤهلات التي تحولّه إزاحة وسائل الإقلاع التقليدية بشكل كامل . فتركز المهام المنظورة لمكوك الفضاء على وضع الحملات في مدارات حول الأرض ، مثل المختبرات العلمية ، آلات التصوير ، المناظير الفلكية ، أقالر الانصالات اللاسلكية والبت التليفزيوني وغيرها . مكوك الفضاء سينقل العلماء إلى المختبرات الفضائية مثلاً ، ثم يرجع إليهم بعد عدة أسابيع لإعادتهم إلى الأرض . وإذا تعطل أحد الأقالر الصناعية أو المختبرات بشكل يتعذر معه إصلاحه في الفضاء ، عندها « سيعيده » المكوك إلى الأرض لإجراء الصيانة اللازمة له وإعادته إلى مداره ثانية .

إرسال الرادار إلى الفضاء والقمر ، إرسال المركبات إلى الزهرة والمريخ والمشتري وزحل كانت من الإنجازات البارزة في عصر « استكشاف » الفضاء . أما مكوك الفضاء فإنه يمثل

لقد أثبت مكوك الفضاء كولومبيا على جدارة مبدأ المكوك وتمكنه من مغادرة الأرض والعودة إليها سالماً ، ليستعد لرحلة فادحة . وبذلك مهدت كولومبيا الطريق للمركبات الأخرى أطلنطس ATLANTIS ، ديسكافري DISCOVERY ، وتشالنجر CHALLENGER . ويتوقع المسؤولون في هيئة بحوث الفضاء والطيران الأميركية (ناسا) أن تقوم هذه المركبات مجتمعة بمجسمين رحلة سنوياً بحلول عام ١٩٩٠ م .

مكوك الفضاء ... لماذا؟

شاهد كثير من الناس في مختلف أرجاء العالم صور المكوك الفضائي كولومبيا محمولاً على ظهر طائرة نقل ركاب من طراز بوينغ ٧٤٧ . وسمع آخرون عن إحاطة ألسنة اللهب بالمكوك أثناء اندلاع النيران في محركاته ، وأن بعض لبنات درعه الحراري قد سقط أثناء عملية تحريك المحركات . كما تنافلت وكالات الأنباء أن الصعوبات التكنولوجية أخرت الإقلاع أكثر من سنتين كاملتين ، وأن نفقات المشروع قد ارتفعت من (٥٠٠٠) مليون إلى (٩٠٠٠) مليون دولار . ففهم كل هذا العناء ؟

مكوك الفضاء هو عبارة عن جملة نقل أو شاحنة فضائية . الصواريخ

فحسب ، بل يتسع لـ ٣٠ طناً من العنادر الحربي في الرحلة الواحدة .
 هذه الحقائق جعلت بعض المفكرين يتكهن بأن الحرب القادمة ربما تتم
 بين الأقمار المتحاربة ، أو أن تقوم « الحصون الفضائية » - على
 الأقل - بتدمير الصواريخ المعادية العابرة للقارات قبل بلوغها أهدافها ،
 باستخدام أشعة الليزر ، أو بواسطة مدافع حزمات الطاقة العالية .
 ما هو مكوك الفضاء ؟ وماذا يتميز عن المركبات
 الفضائية السابقة حتى يتمكن من الإقلاع مرات عديدة ،
 ويقوم بتنفيذ هذا العدد الكبير من المهام المتنوعة ؟

مكوك الفضاء .. ما هو ؟

مكوك الفضاء لا يعدو كونه أحد الأجزاء الثلاثة الرئيسية « لجملة
 النقل الفضائي » . مكوك الفضاء يحمل رواد الفضاء و « الحمولة » التي قد
 يصل وزنها إلى ٣٠ طناً . القسم الثاني عبارة عن « خزان خارجي »

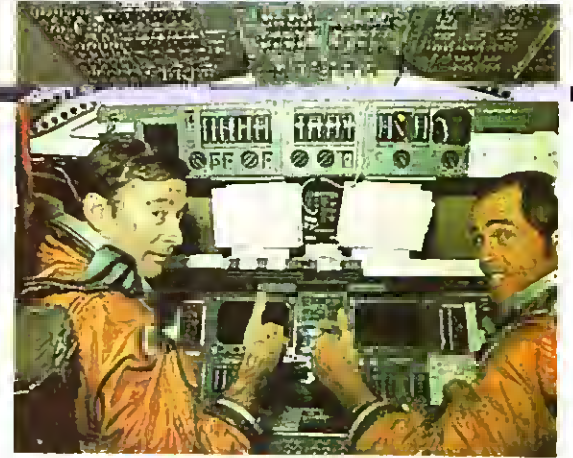
★ أحد رواد المكوك القادمين يتدرب على ملء محوة سائجة عن سفوط إحدى
 كينات الدرع الحراري في الفضاء وفي حالة انعدام الوزن ★

الخطوة الأولى على الطريق إلى أرض مبهولة . فمكوك الفضاء
 هو وسيلة الإنسان لتولج حقبة « تسخير » الفضاء في خدمة
 صالح الإنسان ورفاهه وربما حتى تدمير حضارته .

من الأفاق السريعة التي قد يفتحها مكوك الفضاء بمرونته التي
 لا تقلد ، هي مجال الاتصالات الهاتفية والتلفزة . فوضع العديد من أقار
 الاتصالات الهاتفية بتكلفة صغيرة نسبياً ، سيجعل المرء يتصل مباشرة بمن
 يشاء بصورة فورية وسعر زهيد . ومن الاحتمالات غير المؤكدة هو
 استخدام المكوك في بناء مصانع في الفضاء تستفيد من ظروف انعدام
 الجاذبية في تقليل تكلفة إنتاج بعض المواد الغالية وعلى رأسها بعض
 المستحضرات الطبية والأدوية .

وأخيراً ، لا بد من ذكر الاستخدامات العسكرية المحاطة بالنكتم
 الشديد . فقد كشفت وزارة الدفاع الأميركية عن نواياها في هذا
 الخصوص ، عندما قامت بججز ١٣ رحلة كاملة لصالحها من بين
 الرحلات الـ ٤٤ الأولى . ليس بمقدور المكوك « شحن » أقمار التجسس

★ حجرة القيادة في مكوك الفضاء . ينانق (فائد الرحلة) إلى
 اليسار وعلى يمينه مساعده كرين ★



★ الرواد يتمرنون على الخروج من المكوك في حالة سفوط في الماء .★



ولسوء الحظ فإن وزن الوقود وحده في الخزان يزن (٧٥٠,٠٠٠ كغ) . ومهما كانت محركات المكوك الرئيسية قوية ، فإنها تقدر بالكاد على رفع العبء الضخم عن الأرض .

لذا ظهرت الحاجة إلى إضافة جزء ثالث للجملة هو صواريخ الوقود الصلب . وهذه تحرق مسحوق الألمنيوم شديد الانفجار ، مما ينشر كمية هائلة من الحرارة . تتميز صواريخ الوقود الصلب بمقدرة عالية على «ذف» الأجسام الثقيلة ، وتستخدم في الأغراض العسكرية منذ مدة غير قصيرة . لم يتم استعمال مثل هذه الصواريخ في الرحلات الفضائية من قبل لأنها «هائلة» يصعب التحكم في مسارها بدقة . فحالما يتم إشعالها ، فإنها تنطلق بسرعة جنونية . وقد كان ذلك مناسباً جداً لقذف الرؤوس الحربية ، ولكنه غير مناسب إطلاقاً لريادة الفضاء .

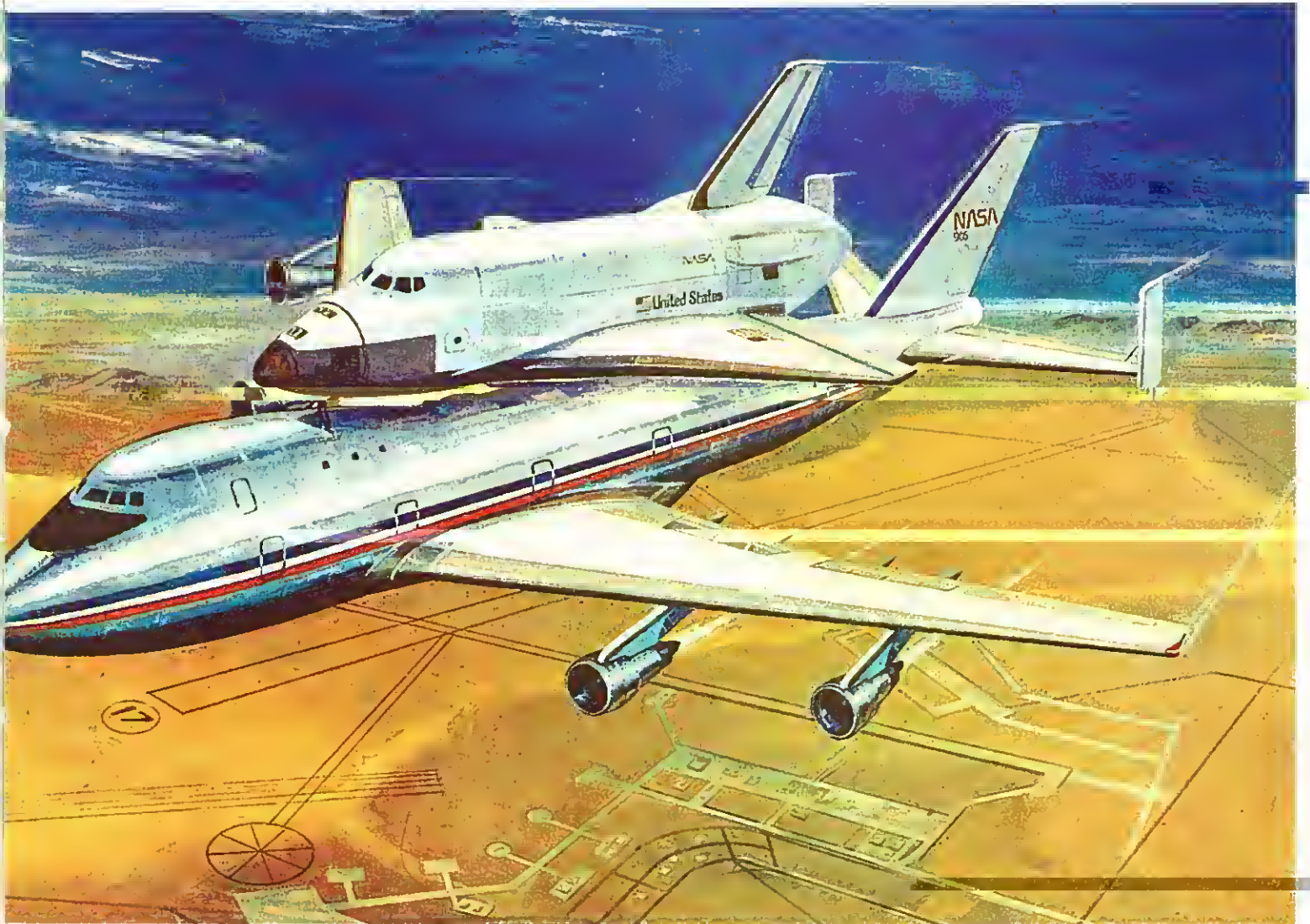
صواريخ الوقود الصلب هي «عضلات الساقين» التي تساعد جملة النقل الفضائي «للفقر» إلى الأعلى . وقد تم تثبيت صاروخين من هذا النوع على جانبي الخزان الخارجي . بعد إشعال هذين الصاروخين ، يقدمان - خلال دقيقتين - قوة رفع تعادل ٢,٦ مليون كيلوغراماً .

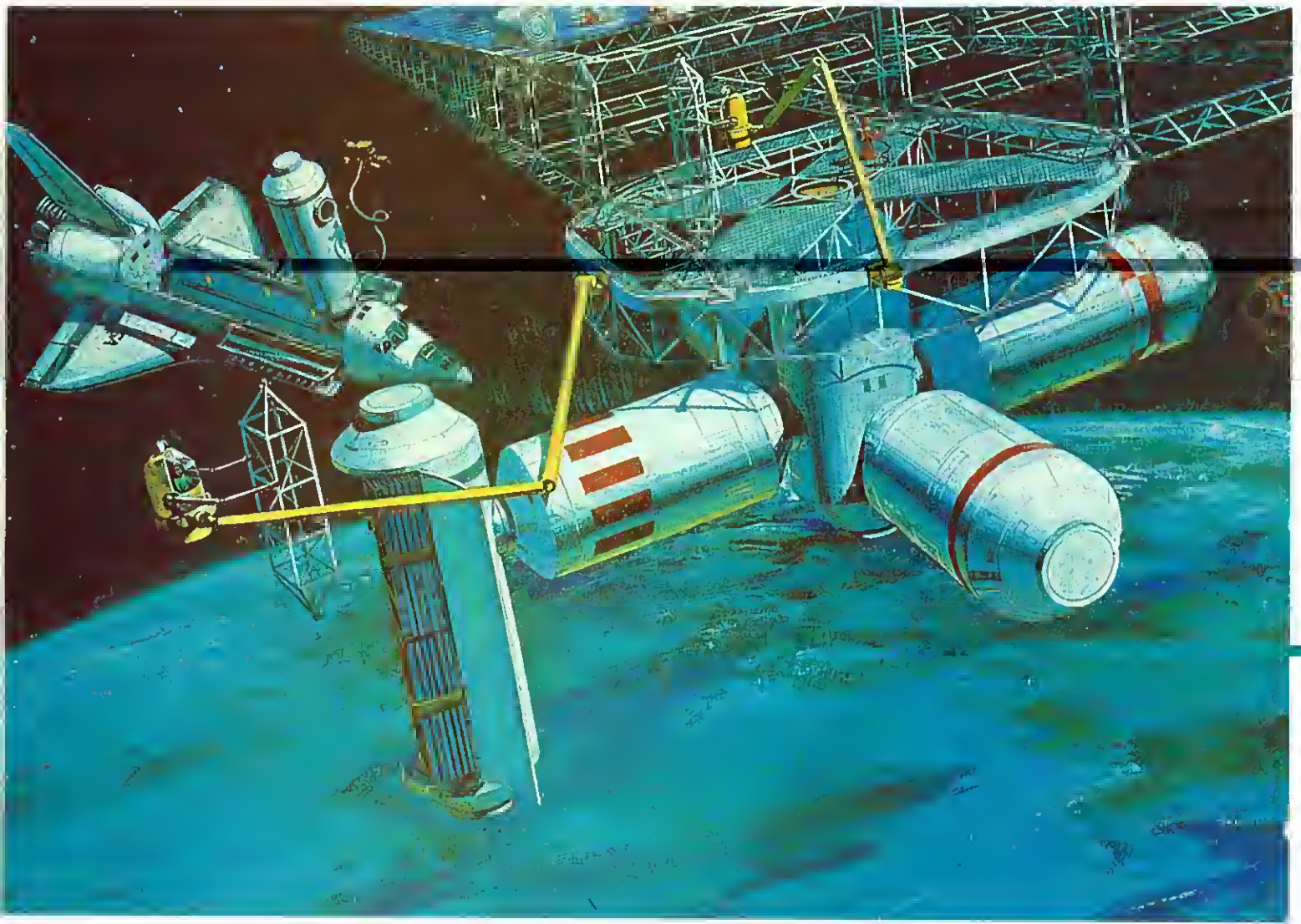
للوقود . بينما يتكون القسم الثالث من صاروخين يندفعان بإحراق الوقود الصلب . هذه الجملة الثلاثية ملتصقة مع بعضها وكأنها قطعة واحدة متماسكة ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٨٤ قدماً .

المكوك SHUTTLE الذي يبدو مثل طائرة نقل متسومة يمثل جملة النقل الفضائي . وهو الذي يجوب المسافة بين الفضاء وسطح الأرض مراراً وتكراراً . يتسع المكوك لحمل ٧ رواد فضاء أو رائدي فضاء و ٥ ركاب . وفيه مستودع طوله ٢٠ متراً يتسع لثلاثين طناً من الامتعة . الناظر من بعيد لا يتالك نفسه من التمتع أولاً بمشاهدة «الخزان الخارجي» العملاق . الذي يشبه في شكله طلقة مسدس . وبدلاً من البارود فإن هذا الخزان يحمل كميات هائلة من الهيدروجين السائل الذي يحترق عند مزجه بالأكسجين في محركات المكوك الثلاثة الضخمة فيدفع جملة النقل الفضائي إلى الفضاء .

لو صمم المكوك بحيث يضطر إلى حمل هذه الكمية الهائلة من الوقود ضمن جسمه ، لنتطلب ذلك جعله عملاق الحجم . لكن الخزان الخارجي سيكون بمثابة الجواد الطائر الذي يمتطيه المكوك . وقبل أن يصل المكوك إلى الارتفاع المطلوب يتخلص من الجواد ويتابع رحلته منفرداً .

★ المكوك على متن الجسر ★





★ بدء المستعمرات الفضائية ★

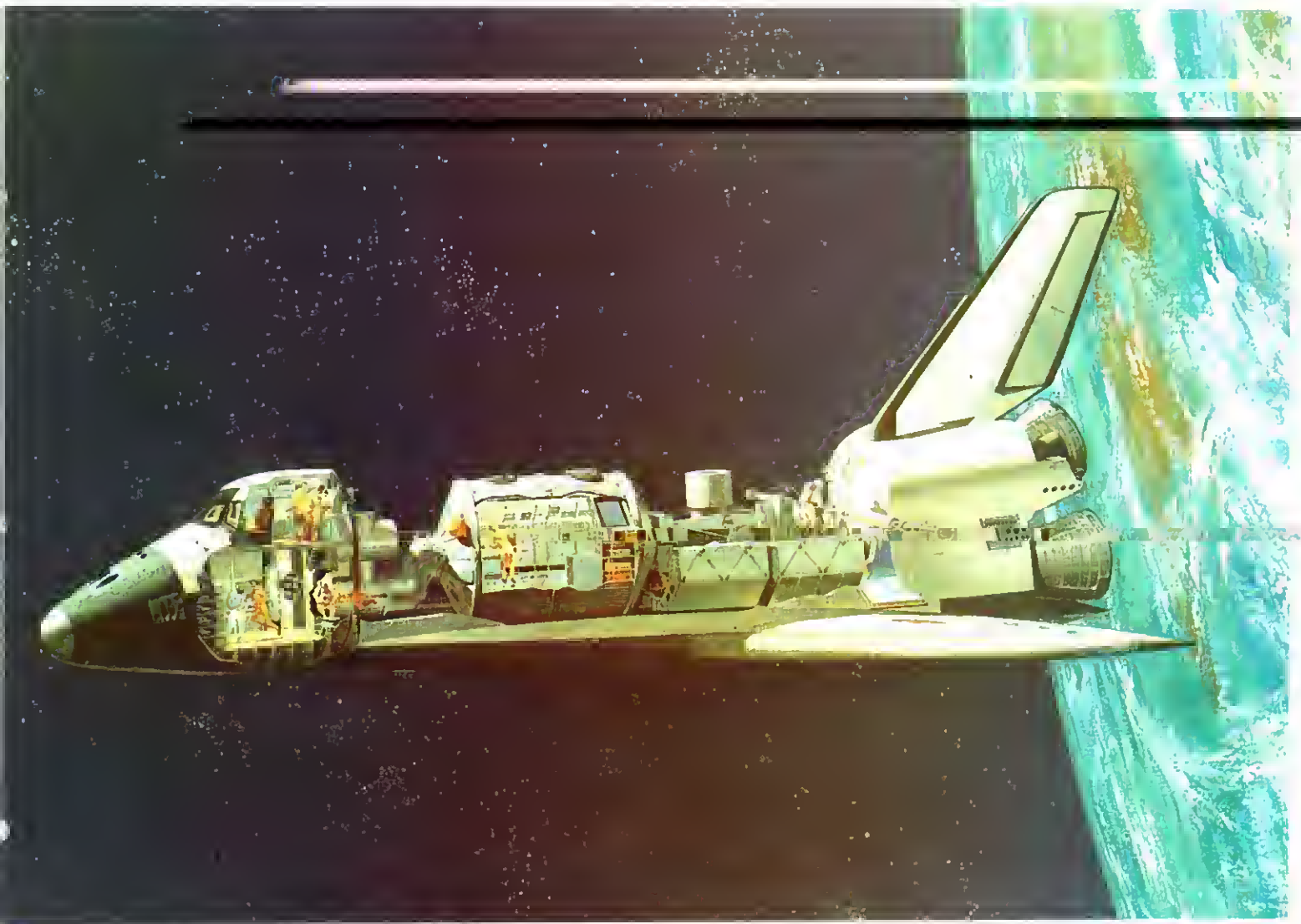
من يقود المركبة ؟

نسبع دقائق قبل اقلاع جملة النقل الفضائي تتولى الحاسبات الإلكترونية قيادة الجملة بصورة آلية . ويستمر الوضع كذلك حتى الدقائق الأخيرة ، حيث يتولى الإنسان عملية التوجيه . أثناء الفترات الحرجة من الرحلة ستقوم الحاسبات بإجراء حوالي (٣٢٥,٠٠٠) عملية ذهنية في الثانية الواحدة . لذا يوجد على متن المكوك أربع حاسبات أساسية وخامسة احتياطي . تقوم جميع الحاسبات الأساسية بمعالجة العمليات نفسها بغية ضمان أعلى سوية للأمان . ويجب أن تتوافق مع بعضها في النتائج بصورة كاملة ، كذلك في التوقيت . عندما يشذ حاسب عن رفاقه يوقف عن الخدمة . وإذا خالف أحدها بعد ذلك ، تكون الغلبة عندها للأكثرية . فإذا حصل سوء تفاهم بين الحاسبين الأساسيين الآخرين ، عندها يعمل الحاسب الاحتياطي الخامس الذي يحسم الموقف . الحاسب الاحتياطي يفترض فيه أنه لا يجوز أن يخطئ . هذه الحاسبات تريح الرواد عبه نوجيه مكوك الفضاء وتعملهم يتفرغون مطمئنين لإنجاز المهام

وهذه القوة كافية لرفع ٢٥ طائفة من طراز بوينغ ٧٤٧ دفعة واحدة مع كامل حمولاتها . عندما ينضب الوقود الصلب تقوم المتفجرات بدفع هذه الصواريخ ، وفصلها عن الجملة لنسقط في البحر ، حيث تقوم بعض السفن الخاصة باصطيادها لإعادة استخدامها مرة أخرى .

وهكذا أصبحت جملة النقل الفضائي مكونة من المكوك ، وخزان خارجي واحد ، وصاروخي إطلاق ، بحرقان الوقود الصلب . عند الإقلاع تنطلق جميع مكونات الجملة دفعة واحدة بعد دقيقتين فقط من الإقلاع يجب أن تسقط صواريخ الوقود الصلب . وقبل لحظات من

الوصول إلى ارتفاع المدار المحدد للمكوك يجب أن يتخلص من الخزان الخارجي الذي يغذي المحركات الرئيسية . بعدها لا يحتاج المكوك إلى من يدفعه . لكنه يحتاج إلى تعديل اتجاهه ، أو سرعته أو ارتفاعه . وهذا ينجزه بصورة سهلة بمساعدة محركي « المناورة » التي تمكنه من الانعطاف ، وحتى من التوقف . وبواسطتها سيخرج من مداره حول الأرض ويعود إلى مطار استقباله والتحكم في مساره .



★ الوجه الفلكي فوق متن المكوك ★

المرتفعة . يقوم هذا الدرع الكيميائي بامتصاص الحرارة الناتجة عن الاحتكاك بالهواء ، ثم يحترق مبتعداً عن المركبة . لكن هذا النوع من الدروع يفنى بعد رحلة واحدة ، بينما المكوك سيقوم برحلات عديدة قد تصل إلى (١٠٠ رحلة) . لذا لا بد من أن يكسى المكوك بجلد يتحمل الحرارة العالية مراراً وتكراراً . هذا الدرع مكون من لبنات مصنوعة من زجاج الرمل شديد النقاوة (أي من زجاج تبلغ فيه نسبة اكسيد السيليسيوم ٩٩,٧ بالمائة) . هذا الزجاج يعزل الحرارة بشكل كامل ويمنعها من بلوغ جسم المكوك المصنوع من معدن الألمنيوم . تكسو هذه اللبنات المناطق الحرجة في المكوك وقد استخدم في لصقها غراء من النوع الذي يكسو الحرارة أيضاً . بلغ عدد هذه اللبنات حوالي (٣٤,٠٠٠ لبنة) . وحيث أن المناطق المختلفة من المكوك تتعرض لحرارة تختلف عن المناطق الأخرى ، لذا تباينت سماكات اللبنات وأشكالها . من أجل ذلك أوكل أمر تفصيلها وقصها إلى حاسب إلكتروني ، ثم تلصق كل لبنة باليد في مكانها المحدد . ولو سقطت لبنة واحدة أثناء الاقلاع أو العودة إلى جو الأرض ، فإن ذلك قد يؤدي إلى عواقب وخيمة .

الأخرى الملقاة على عاتقهم .

وقد وصف أحد رواد الفضاء قيادة المكوك بأنها تتطلب اتخاذ قرارات فورية بصورة مستمرة ، وهذا يعجز عنه الرواد . فلولا الحاسب الإلكتروني لما أمكن التفكير بالمكوك الفضائي .

الدرع

حجرة قيادة المكوك لا تختلف — في مظهرها — بشكل واضح عن حجرة قيادة الطائرات الحديثة (باستثناء ثلاث شاشات تلفزيونية وأكثر من ١٠٠٠ قاطعة كهربائية) . لكن « جلد » المكوك يمثل إنجازاً تكنولوجياً فريداً من نوعه . عندما يعود المكوك من الفضاء إلى غلاف الأرض الجوي بسرعة تقارب (١٧,٠٠٠) ميل في الساعة ، مما يجعل « جلد » المكوك يرتفع في بعض الأجزاء يسخن حتى ١٢٠٠° ، ولا بد عندها أن يشتعل المكوك ، تماماً كما يشتعل النيزك عند ولوجه هواء الأرض بسرعة كبيرة . فكيف السبيل إلى حماية المكوك ؟

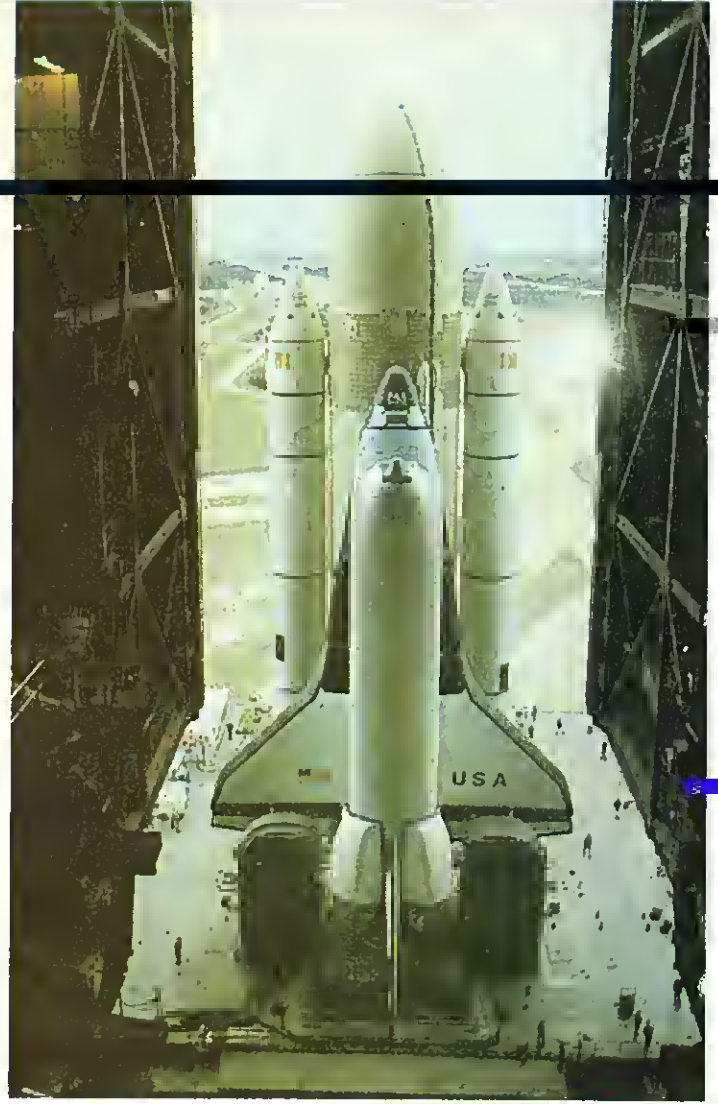
مركبات الفضاء « القديمة » كانت ترتدي درعاً كيميائياً يقيها الحرارة

المحركات لا تعمل بشكل يلائم المكوك إلا عند حرق الهيدروجين تحت هذه الضغوط العالية . لكن مثل هذه الضغوط توجب استخدام تقنية متقدمة جداً للمكوك ، ومنحها بالصفات المطلوبة . لهذا السبب أيضاً فشلت هذه المحركات مرات عديدة في تجارب اختباراتها ، المبدئية ، ولفتها السنة للهيب ، مما سبب في تأخير موعد إطلاق المكوك سنة كاملة . لكن جميع الصعوبات المالية والتكنولوجية تم تذليلها أخيراً . وفي الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ م ، خرج المكوك أخيراً من المصنع إلى منصة الإقلاع بانتظار ساعة الصفر .

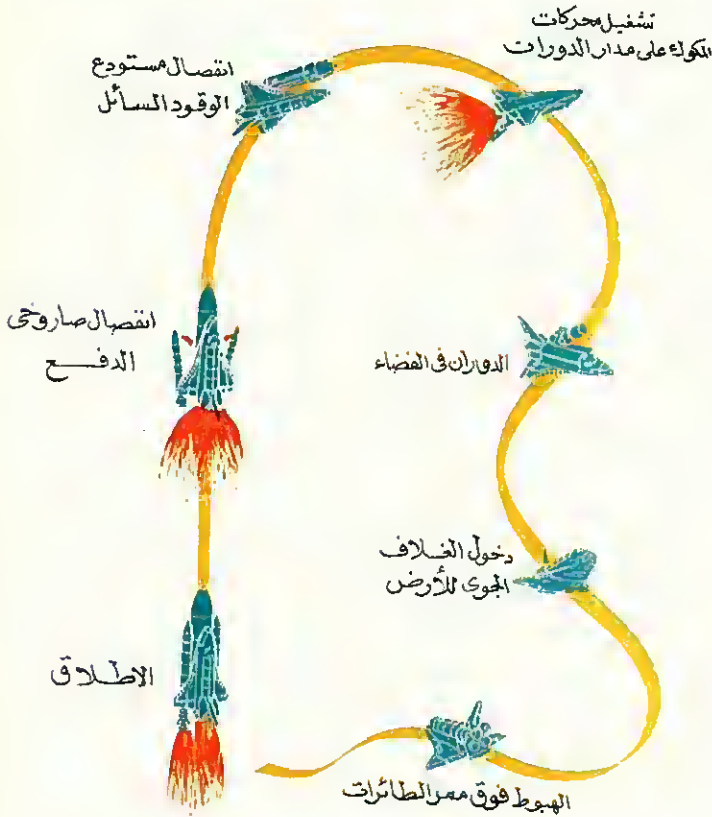
اللحظة المعصية

في السابعة من صباح الجمعة ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حانت لحظة الإطلاق وبدأ العد التنازلي . وقبل ٩ دقائق فقط من الانطلاق اكتشف علماء المتابعة أن الحاسبات الإلكترونية لا تتفاهم مع بعضها بشكل جيد مما أجل موعد الإقلاع عدة ساعات ثم ألغيت لتبدأ من جديد في صباح الأحد .

في السابعة من صباح الأحد ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حانت اللحظة الحاسمة في قاعدة كيب كنيدى في فلوريدا . جون يانغ - قائد الرحلة John Young والرائد بوب كريبن في مقاعدهما في حجرة القيادة يسمعان ، العد التنازلي ١٠ - ٩ - ٨ - ٧ - ٦ -



★ كولومبيا تخرج من المصنع في الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ م ★

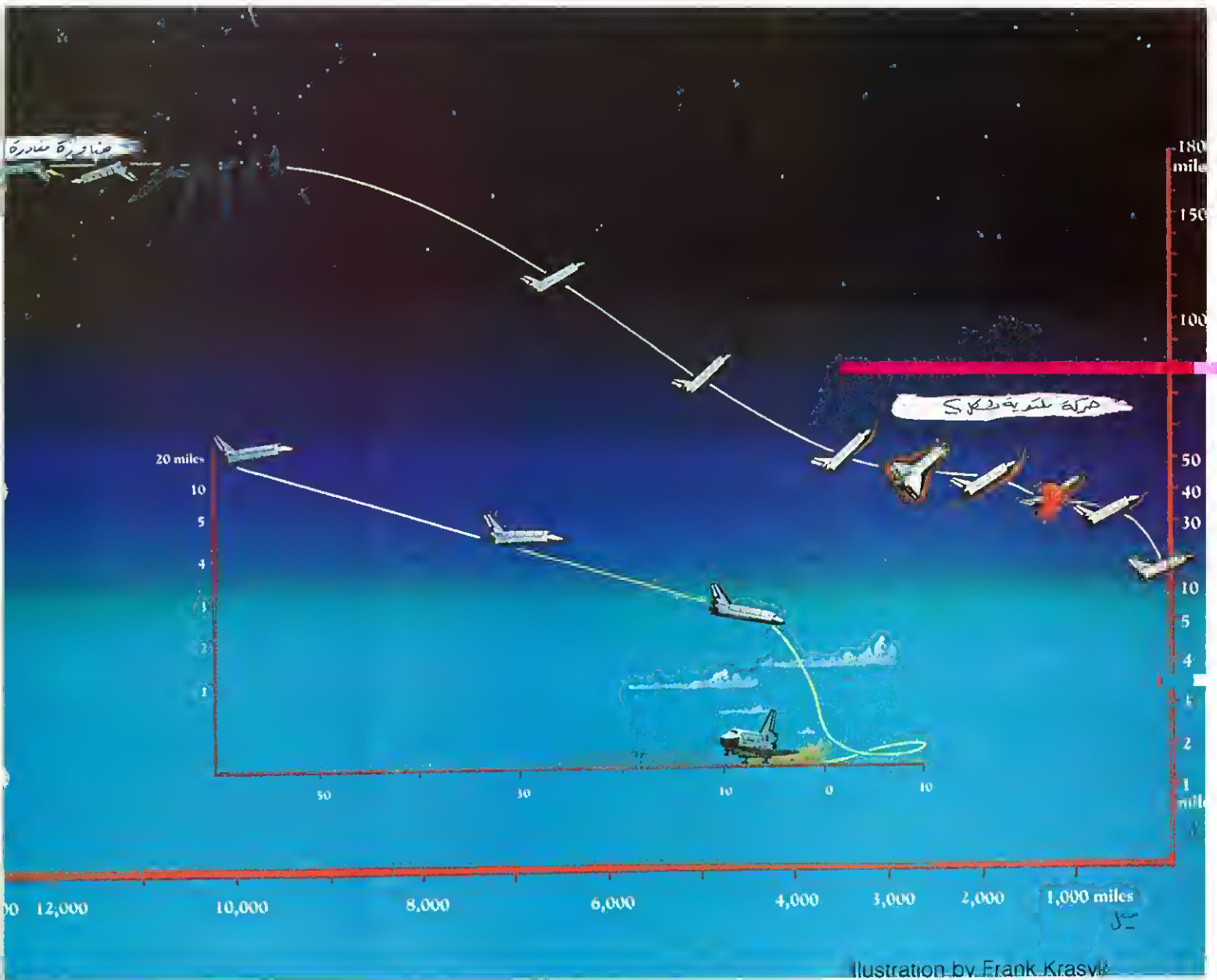


★ مراحل رحلة مكوك الفضاء. ★

أكبر المحركات في العالم

واجه مصممو جولة النقل الفضائية أكبر التحديات عند صنع المحركات الرئيسية الثلاثة ضمن المكوك . وعندما تشتغل هذه المحركات باستطاعتها أن تطلق من الحرارة ما يعادل الكهرباء التي يولدها سد هوفر الأميركي ٢٣ مرة . ورغم ذلك فإن وزن المحرك الواحد لا يزيد عن (٣٥٠٠ كغ) . وإذا حذفت فوهة العادم (مخرج الغازات) منه فإن طوله لا يتجاوز خمسة أقدام .

أكثر من ألف أنبوب ضيق تملأ حجرة احتراق الهيدروجين جيئة وذهاباً . يمر عبر هذه الأنابيب وقود الهيدروجين السائل البارد ، فيقوم بذلك بتبريد جدار حجرة الانفجار من ناحية ، لكنه في الوقت نفسه يصبح ساخناً من ناحية أخرى ، مما يسهل عملية احتراقه . أنابيب أخرى تقوم بتجميع هذا الهيدروجين الساخن ودفعه إلى عنفتين ترفعان ضغطه إلى ما يعادل ٧٠٠ مثل الضغط السائد في طناجر الضغط (بريستو) التي تستخدمها ربات المنازل في الطبخ السريع .



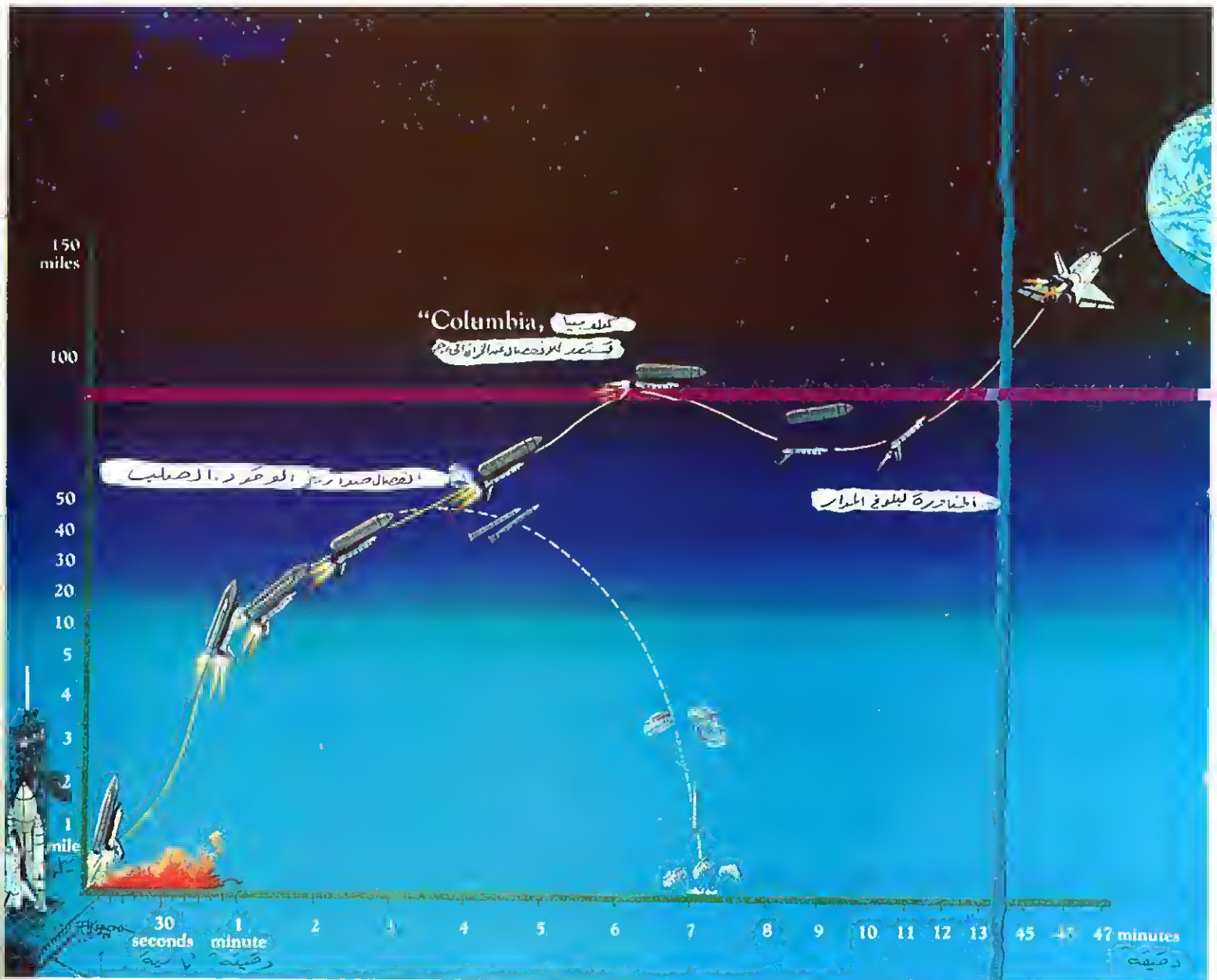
★ غطت توصيحي لكامل رحلة مكوك الفضاء كولومبيا . (إلى اليسار) غطت الانفلاج . المحور الأفقي يقيس الزمن ، أما المحور الشاقولي فيقيس الارتفاع . (إلى اليمين) غطت العودة . لي غطت الكبر المحور الأفقي يقيس مسافة الكوكب عند نقطة تماس عجلات الكوكب مع سطح الأرض ★

يسير إلى الأسفل من الخزان الخارجي وسقفه إلى الأسفل ، فهو مقلوب رأساً على عقب .

مهمة قائد الرحلة جون يانغ هي مراقبة الأجهزة المرتبطة بخط سير الرحلة . وفي أثناء ذلك يبقى متأهباً لتولي القيادة بنفسه إذا فشلت الحاسبات الإلكترونية . أما الرائد الثاني بوب كريبن BOB CRIPPEN فإنه مسؤول عن حالة المركبة والتأكد من سير عمل المحركات ودرجات الحرارة والضغط وغيرها . وعند حدوث عطل ما أو خلل يظهر ذلك في لوحة القيادة . عندها يقوم كريبن بتشغيل الحاسبات عن تفاصيل العطل ، ويعلم يانغ بالوضع لاتخاذ القرار المناسب . بعد الانفلاج بدقة ونصف تخفض استطاعة كولومبيا من ١٠٠ بالمائة إلى ٦٥ بالمائة . هذا التخفيض يقلل تسارع المركبة ، ويرفع عامل الأمان أثناء اختراق المركبة لجدار الصوت ، الذي يولد ضغطاً

٥ - ٤ « إشعال » لقد انطلقت غمامة هائلة من البخار من مؤخرة مكوك الفضاء كولومبيا . المحركات تزجر بينا العدادات تشير إلى بلوغ الضغط المطلوب في حجرة احتراق محركات المكوك الرئيسية . ست ثوان بعد إشعال المحركات الرئيسية تتعرض حجرة القيادة إلى هزة عنيفة ؛ لقد اشتعلت صواريخ الوقود الصلب « الهوجاء » وارتفعت كولومبيا إلى السماء على عمود من النار . أعمدة النار الإجمالية تدفع كولومبيا بقوة تعادل ٤ ملايين كيلوغرام . لكنها تشق عنان السماء «مرتجفة» بتأثير صواريخ الوقود الصلب .

سبع ثوان بعد الانطلاق بلغت كولومبيا ارتفاعاً قدره ٥٠٠ قدم . المكوك ينحرف فجأة بزاوية ١٢٠ لتسير في الاتجاه الصحيح . لقد أضحت جملة النقل الفضائي وكأنها طائرة عادية . وبغية إفراح مجال رؤية الأرض لفائد المكوك ، واستمرار اتصاله اللاسلكي مع مركز المتابعة فإن المكوك



المطار، يبدأ بغيبان المحرك الشاقولي ارتفاع الكوكب عن سطح الأرض، في المحط الصغير (صحن المحط الكبير) قبل لمرحلة هبوط «الطائرة» على مدرج المطار. المحرك الشاقولي يظل الارتفاع يبدأ بظل المحرك لأفقي المسافة الفاصلة

يعاد استخدامها في الرحلات القادمة.

مضى على بدء الرحلة أربع دقائق، وبلغ الارتفاع ٧٢ ميلاً. كولومبيا تشق عنان السماء بأربعة أمثال سرعة الصوت معتمدة على محركاتها الرئيسية وحدها. بعد مضي أربع دقائق ونصف على الاقلاع تنحدر كولومبيا صاعدة مع خط الأفق زاوية قدرها أربع درجات، لتببط بمقدار ١١ ميل أثناء ذلك. سبع دقائق بعد الاقلاع، الارتفاع ٧٨ ميل، السرعة ١٧ ضعف سرعة الصوت. في هذه المرحلة تزداد سرعة كولومبيا بمقدار سرعة الصوت كل ١٢ ثانية فقط.

ثمان دقائق و ٣٣ ثانية بعد الانطلاق، المحركات الرئيسية توقفت فجأة عند بلوغ مرحلة انعدام الوزن. لا بد الآن من التخلص من الخزان الخارجي الذي سيقوم بنصف دورة حول الأرض ليسقط بعدها في

ايروديناميكياً أعظمية في المحرك، ومثل هذه العملية تنفذ للمرة الأولى في تاريخ ريادة الفضاء.

٥٢ ثانية بعد الاقلاع، كولومبيا تخترق جدار الصوت عند ارتفاع قدره (٢٤,٠٠٠) قدم، وتعود محركاتها إلى العمل بالطاقة الكاملة (١٠٠ بالمائة). سرعة كولومبيا تتزايد باستمرار حتى تصل إلى ثلاثة أضعاف سرعة الصوت بعد دقيقة و ٥٣ ثانية. مؤشر الارتفاع يبين (١٢٠,٠٠٠) قدم.

بلغت السرعة أربعة أضعاف سرعة الصوت، على ارتفاع (١٣٦,٠٠٠) قدم. لقد أصبح الضغط الديناميكي على كولومبيا صغيراً لجعل العملية التالية مأمونة. يشاهد الرواد من النافذة وميضاً براقاً تتبعه هزة عنيفة. لقد فصلت المتفجرات صواريخ الوقود الصلب ناضبة الوقود عن جسم الجملة. وهذه تببط بمظلات قوية جداً في المحيط الأطلسي كي

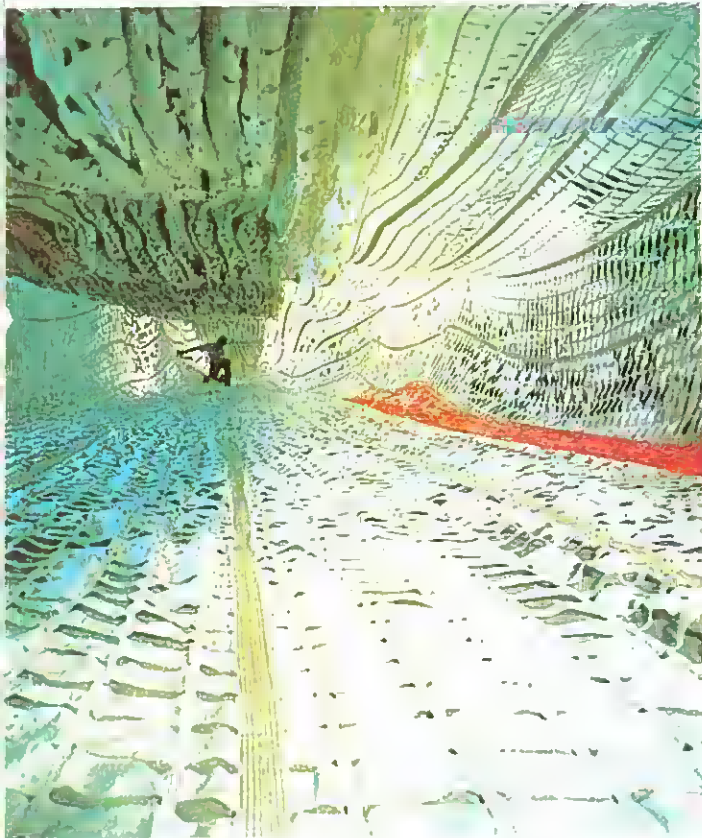
في اليوم الثالث استيقظ الرواد مبكرين للتحضير لرحلة العودة التي قد ترافقها أخطار أكبر من تلك التي كانت موجودة عند الاقلاع ، وجب على الرواد الاهتمام بناحيتين رئيسيتين : لبنات الدرع الحراري ، والحالة الايروديناميكية المجهولة .

فن ناحية دلت بعض الصور التلفزيونية على سقوط بعض لبنات الدرع الحراري . فقد أظهرت الصور بقاء داكنة في خلفية بيضاء ، إلا أن الراندين لم يستعدا لمغادرة حجرة القيادة وتفقد اللبنة . هذه الحالة سببت بعض

★ بيع (إلى الجين) وكريين في مقاعد القيادة ★



★ مظاهرات صواريخ الوقود الصلب تحتوي على نبضات كثيرة ، كي تتحمل القذيفة صدمة الضغط الناتجة عن فتحها في المحطات الأولى ★



١٧ ثانية بعد توقف المحركات يم فصل الخزان الخارجي بصورة آلية ، بينما يبقى المكوك مقلوباً . الناظر من الأرض يخمن أن المكوك هو الذي يسقط من بين برائن الخزان العملاق . وهنا تستخدم محركات المناورة للمرة الأولى في الرحلة كي ترفع المكوك إلى مدار أعلى ، بينما تصمت المحركات الرئيسية التي كانت تستمد وقود الهيدروجين من الخزان الخارجي حتى نهاية الرحلة . في الفضاء الخارجي لا تستخدم إلا محركات المناورة . الآن يشعل قائد الرحلة صاروخ إعادة توجه مما يرفع مقدمة المكوك على خط الأفق إلى زاوية قدرها ١٥ درجة ، ويبقى المكوك مقلوباً رأساً على عقب . بعدها يبدأ العد التنازلي لإشعال محركات المكوك الثانوية ذات قوة الدفع (٣,٠٠٠) كيلوغرام . ويم الإشعال فوق الأطلسي الأوسط . ١٨ دقيقة بعد الاقلاع تلوح جزر كناري في الأفق . لقد استغرقت الرحلة من الولايات المتحدة إلى أوروبا أقل من ٢٠ دقيقة . يستمر المكوك في مساره حتى الأرض ليطل على جنوب غرب استراليا . تشغل محركات المناورة للمرة الثانية ، ويعدل ارتفاع مسار المكوك إلى ١٥٠ ميلاً . وبذلك تختم عملية الإنطلاق . لقد أصبح مكوك الفضاء كولومبيا في مداره المرسوم .

يوسيات نصية

تخلص الرواد من هزات صواريخ الوقود الصلب ، ثم من هدير المحركات الرئيسية ، والوصول أخيراً إلى المدار المطلوب لا يعني الراحة بالنسبة للرواد . فعليهم في هذه المرحلة إنجاز كثير من الأعمال ، على رأسها فتح باب مستودع المكوك ، بغية تخليص المكوك من السخونة الكبيرة التي اكتسبها في فترة الانطلاق حتى وصوله إلى مداره . وهنا يقوم يانغ وكريين بتحرير أنفسهم من مقاعد القيادة ، و «يعومان» إلى إحدى «لوحات التحكم» في مؤخرة حجرة القيادة ، ويفتحان الأبواب العملاقة بحذر تام . وفي الوقت المحدد تغلق الأبواب مرة أخرى . بعدها يتأكد الرائدان من سلامة جل التحكم بالركبة التي سيعتمدان عليها عند ولوج جو الأرض ، وأخيراً يجتبران خلية الوقود FUEL CELL التي تزود المكوك بالكهرباء من الهيدروجين والأكسجين مخلقة الماء النقي لشرب الرواد في الوقت نفسه .

أنهت كولومبيا خمس دورات حول الأرض . نشغل محركات المناورة مرتين متتاليتين لرفع المكوك إلى مدار ارتفاعه ١٧٠ ميلاً عن سطح الأرض . وبعد كل هذا العناء الذي تكبده الرائدان ، فقد استحقا مكافأتهما بالخلود إلى الراحة والنوم في مقاعد القيادة ، بحيث يتمكن على المتابعة الأرضية من إيقاظهما مرة أخرى إذا لم يكن باحثين .

تم في اليوم الثاني من الرحلة إجراء العديد من الاختبارات . إلا أن المهمة الرئيسية تركزت على التحضير لولوج غلاف الأرض الجوي . لأن احتكاك المكوك المنطلق بسرعة كبيرة مع الهواء يرافقه درجات حرارة شديدة الارتفاع قد تشعل المكوك بمن فيه . وبعد التأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام يتوجهان إلى مقاعدهما للنوم .

الامتصاص للمسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية . خطورة اللبنة المفقودة أجبرت هؤلاء المسؤولين على كشف سر عسكري هام . فالوزارة لديها عدسات تصوير بالغة القوة والدقة ، بمقدورها أن تصور أقمار التجسس السوفياتية وإظهار مكوناتها ، وحتى تفاصيلها وهي قابضة على سطح الأرض .

وقد أنشع سر عدسات التصوير هذه عندما اضطرت هيئة بحوث الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) إلى طمأنة المواطنين إلى أن اللطخ

★ مكونات جملة النقل الفضائي . المكوك متصل بالخران الخارجي العملاق ، الذي يعمل على جانبه وجناحيه من صواريخ الوقود الصلب ★

الترحيب الدافئ

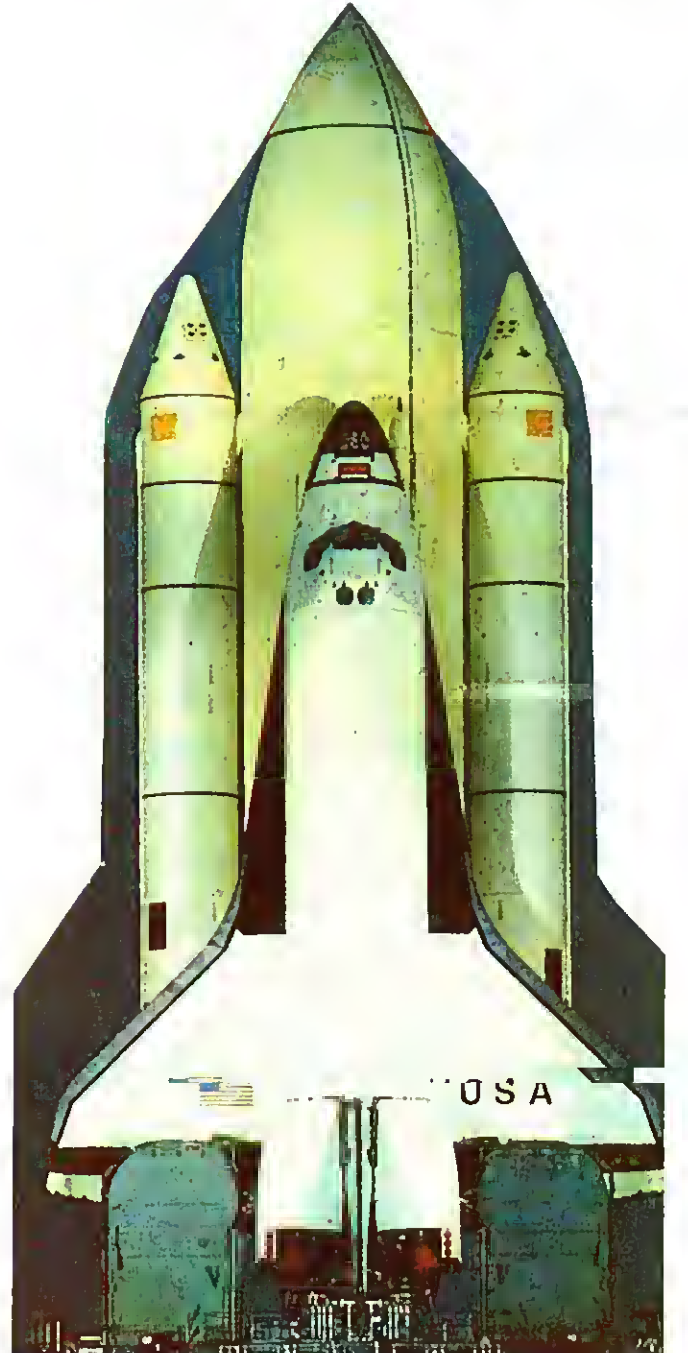
كولومبيا تخلق فوق المحيط الهندي يلفها الظلام وتعتذر اتصالها مع مركز المناوبة الأرضي في ولاية تكساس . كل شيء بالعكس : سقف المكوك أقرب إلى سطح الأرض من أرضيته ، والمكوك ينطلق لكن مؤخرته في الأمام . كل شيء أصبح جاهزاً المناورة كبح سرعة (فرملة) كولومبيا ، لتخفيض سرعتها إلى الحد الذي يمكن قبضة جاذبية الأرض من الإمساك بها وإعادتها إلى سطح الأرض . الآن تشغل محركات المناورة مدة قدرها دقيقتان ونصف أثناء العبور فوق المحيط الأطلسي . كل شيء يسير حسب المخطط المرسوم .

يانغ يقبل المكوك ليكون السقف هو الأعلى ، تنحدر كولومبيا وتصنع مع الأفق زاوية قدرها ١٨° . هذه الحالة توصل المكوك بصورة آلية إلى الوضعية المرغوبة التي ترتفع فيها مقدمة المكوك عن خط الأفق بزاوية ٤٠° . بعد ٢٢ دقيقة يصل المكوك إلى هذه الوضعية التي تجعل درعه الحراري هو أول ما يتلامس مع الهواء الأرضي ويتلقى الصدمة الأولى . وفي هذه اللحظة يدخل المكوك جو الأرض . الشاشات التلفزيونية تبين موقع المكوك ، والمعلومات الأخرى الضرورية لعملية التوجه . وفجأة يرى الرائدون شروق الشمس فوق المحيط الهادئ الجنوبي .

لقد بدأت عملية ولوج الغلاف الجوي . هبط المكوك إلى ارتفاع ٦١ ميلاً . الاحتكاك بين المكوك والهواء جعل الهواء يسخن إلى درجات حرارة عالية ، ويلفح المكوك يدفع غزير من الجسيمات المشحونة الساخنة . لقد انقطع الاتصال بسبب ذلك مع المكوك ١٧ دقيقة بشكل كامل . الأفعنة الواقية تحمي عيون الرواد من بريق البلازما (*) الذي يلف المركبة من جميع الجوانب والتي تزيد درجة حرارتها عن ١٢٠٠ درجة مئوية . لقد أثبت الدرع الحراري جدارته ولم يصب أحد بالأذى . فالمكوك والرواد يتخطى هذا الترحيب الحار من قبل جو الأرض وهم في أتم عافية .

الطائرة الفضائية

حتى الآن كان كل شيء في رحلة مكوك الفضاء كولومبيا مسالماً تقريباً لسفن الفضاء « القديمة » . إلا أن الجزء التالي من رحلة المكوك هو



الفضاء كولومبيا نشيطاً معافى ، ويجري حول المكوك ليشأكد من سلامته بنفسه .

ويعد

اجتاز مكوك الفضاء الأول كولومبيا تجربته الأولى التي استغرقت يومين وثلاثاً بنجاح تام . فقد اشتغلت جميع محركاتها عند الاقلاع ، وولجت إلى جو الأرض من الفضاء دون أن تحترق أو أن يتضرر درعها الحراري وأخيراً هبطت بسلام على مدرج مطارها وكأنها طائرة اعتيادية .

مكوك الفضاء كولومبيا هو حجر الأساس للحقبة الثانية من عصر الفضاء ، حقبة «تسخير» الفضاء واستغلاله للصناعة وتوليد الطاقة وغيرها من المجالات التي تلهب خيال المفكرين والعلماء .

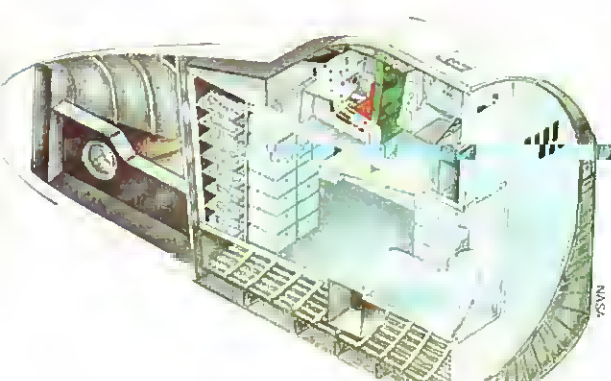
النهاية الناجحة للرحلة الأولى لها نتائج سريعة أيضاً ؛ فهي تشل إشارة بدء العد التنازلي للرحلة الثانية . فبعد حوالي ستة أشهر سينطلق رائدان آخران على متن كولومبيا في محاولة جديدة لزيادة سرعة مكوك الفضاء إلى ٢٥ ضعف سرعة الصوت .

(*) لمزيد من التفاصيل عن «البلازما .. الحالة الرابعة للمادة» انظر مجلة «الفصل العدد (١١)» ذو القعدة ١٤٠٠ هـ (أكتوبر ٢٠١٨م) .

★ سرعة ميل واحد في الساعة كولومبيا تعادل التسرع إلى مصب الاقلاع ★



★ في رحلته القادمة ستؤنس كولومبيا «سريلاً سريلاً» ليرود الفضاء ، قفب امكن لنتمو ومصفاً صغيراً ★



أقرب إلى طائرة نقل اعتيادية . وقد شبهها أحد العلماء بأنها تجميع نصف طائرة ونصف سفينة فضاء في بوتقة واحدة . القيادة الآلية أثبتت كفاءتها حتى الآن . ورغم أنها أكثر دقة من الإنسان ، لكن الإنسان يتفوق عليها عند التصدي للمفاجآت . لذا نسمرت عيون بانغ على لوحة القيادة ، كي يتولى القيادة اليدوية فور ظهور ضرورة لذلك دون أي تأخير .

ولوح المكوك جو الأرض بسرعه الهائلة التي تعادل ٢٤ ضعف سرعة الصوت يجعله مثل كرة ملتهبة بكل ما في الكلمة من معنى ، عند تحليقه فوق المحيط الهادئ الأوسط . الآن يبدأ «الطيران» الحقيقي . لا بد من كبح سرعة المكوك . لتحقيق ذلك تنحدر كولومبيا بشكل أقرب إلى الشاقولي (بزواية ٨٠°) مدة عدة دقائق . وكلما مرت بعدها بضع دقائق فإن مقدمة المكوك تحرف نحو الجنوب ، وبعد بضع دقائق أخرى تحرف المقدمة إلى الشمال . وهكذا يسير المكوك بشكل ملتو على هيئة الحرف اللاتيني S ، مما يخفض سرعته بشكل ملموس .

السرعة انخفضت إلى ٢٠ ضعف سرعة الصوت . اللهب ما يزال محيطاً بالركبة ، تمر كولومبيا الآن بمرحلة حساسة من التغيرات المستمرة في السرعة ، وزوايا الطيران والمشاهد المتنوعة على الشاشات التلفزيونية . عداد الارتفاع يشير الآن إلى ٢٩ ميلاً ، والمكوك يهبط بسرعة تعادل ٨ أضعاف سرعة الصوت . يتنفس الرائدان الصعداء عندئذ يشاهدون ساحل كاليفورنيا على بعد ٧٠ ميل . لقد اخترقا مرحلة ولوج جو الأرض بسلام .

تفقاء الرائدان أكثر بانتفاء فترة العزلة والتحديث المتبادل مع علماء المتابعة الذين يقدمون لها المعلومات الضرورية التي تساعد في عملية التوجه الصحيح . على ارتفاع ٨٢,٠٠٠ قدم ، انخفضت السرعة إلى ٢,٥ ضعف سرعة الصوت ، ورأى الرائدان البحيرة الجافة القريبة من مدرج هبوطها ، على بعد ٤٥ ميلاً .

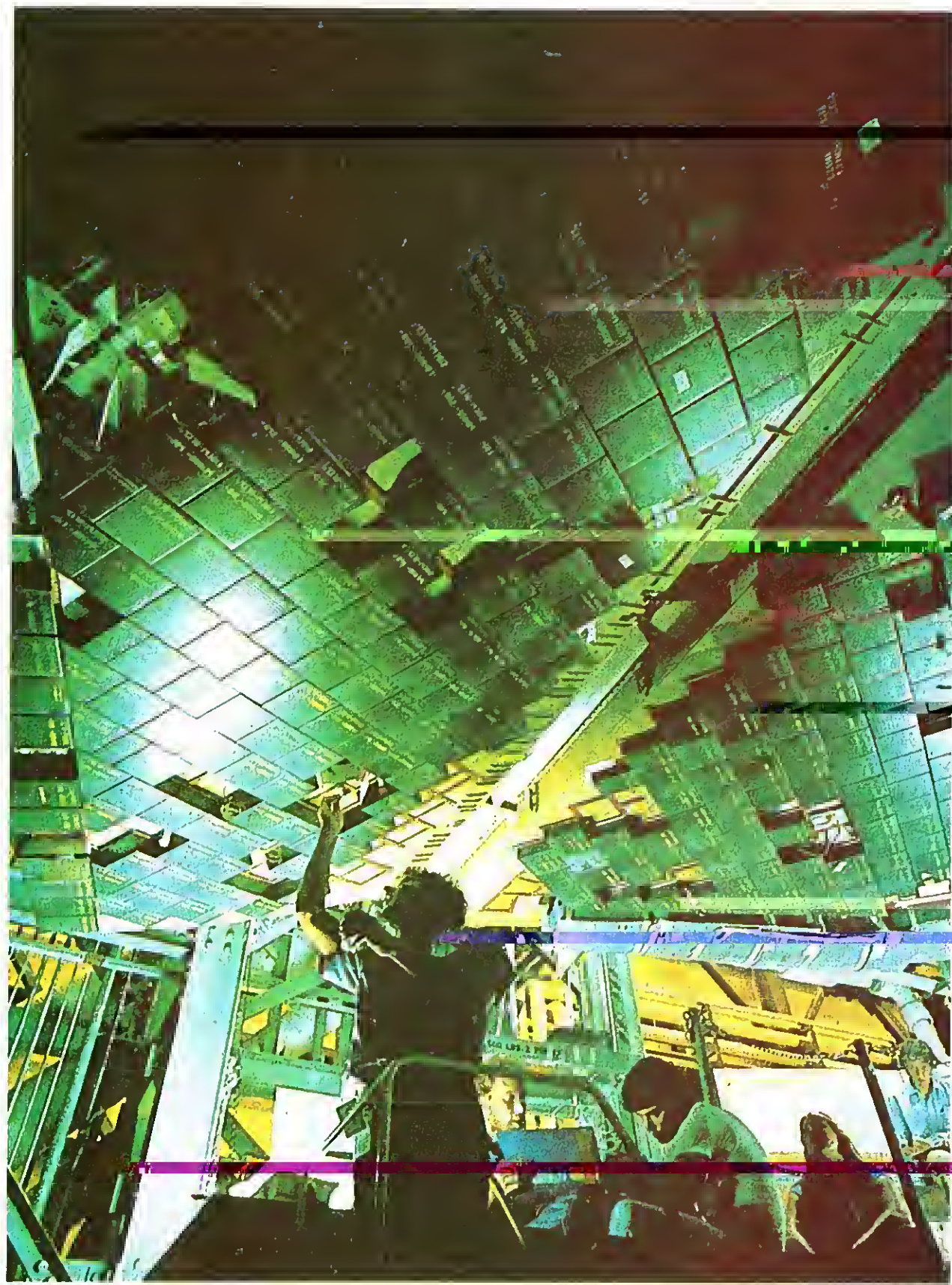
على ارتفاع (٣٥,٠٠٠) قدم تنخفض السرعة دون سرعة الصوت ، ويتولى بانغ قيادة المكوك «يدوياً» . بعد ذلك بلحظات يصل أول المستقبلين على متن طائرات خاصة لمرافقة المكوك وتوجيهه .

بلغت السرعة الآن ٣٥٠ ميلاً في الساعة . يبدأ بانغ بالهبوط بزواية شديدة الانحدار تزيد عن ٧ أمثال الزاوية التي تهبط بها الطائرات التجارية . كربين يقوم في هذه الفترة بإعلام بانغ عن سوية الارتفاع بصورة متواصلة .

وفجأة - على ارتفاع ١٧٥٠ قدم - يرفع بانغ مقدمة «الطائرة» ، استعداداً للملاسة مدرج المطار بعد ٩ ثوان فقط . السرعة تنخفض إلى ٢٢٠ ميل في الساعة . كربين يخفض عجلات الهبوط ، بانغ يسمر نظره على مدرج المطار بينما يانغ والطائرات المرافقة تعلم بانغ عن الأقدام الأخيرة التي تفصل كولومبيا عن سطح الأرض . ١٠٠ قدم ، ٨٠ قدم ، ٥٠ قدم ، ٢٠ قدم ، ١٠ أقدام ... تماس ... عجاجة من الغبار تلاحق منظر المكوك سبلاً الشائعة تشبه إلى ما لا نهاية «عثة من دافقية تم» رعب طفيلر الثلاثة ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حسب المخطط المرسوم بالضبط .

فرق الإسعاف تهرع إلى المكوك لتأكد من سلامته وخلوه من الغازات السامة أو تلك القابلة للإنفجار . بعدها يخرج بانغ من مكوك

★ لسانات الدرع الحراري تلتصق على «حليده» الكوكب باليد. يتكون الدرع من أكثر من ٣٥,٠٠٠ لينة ★



لوحة • فناني

في رحاب المآذن

عبارة تقول الكثير والكثير جداً ، بعيداً عن الزخرفة ، بعيداً عن المحسنات ، بعيداً عن التفاصيل ، وتلك من سمات الواقعية الجديدة ، حيث يلتقي الانطباع والابتداء ، الانطباع الفطري والابتداع الفني .

● إن لوحة في رحاب المآذن قطعة حية نابضة بنفحات الدين ، ونبض الواقع ، وحركة الأحياء ، وساطة للممار ، فضلاً عن اكتمال التكوين ، وتناسب المساحات وروعة المنظور ، وفوق هذا كله الطمأنينة والسكينة وقد تنزلا من فوق المآذن .

التي تلغي رؤى الفنان ورؤيته جميعاً ، ولكنها الواقعية الجديدة التي تتيح الفرصة أمام الفنان كي يضفي أحاسيسه ومشاعره على الخطوط كما يلقي بفكره وتفكيره على الألوان ، ومن ثم جاءت اللوحة قطعة حية نابضة من عقل وقلب الفنان ، وكأنها عزف على الخطوط والألوان في نوع من القصيد التشكيلي الذي نراه ونقرأه في نفس الآن .

● والذي يلاحظ على هذه اللوحة فضلاً عن بساطة الخطوط ، وحيوية الألوان ، وتلقائية الظلال ، هو قدرة الفنان على التلخيص ، وكأنما في أوجز

بنفحات الإيمان ، حيث الناس البسطاء الذين يعيشون على الفطرة ، يمارسون حياتهم اليومية في صباح يوم باكر ، فلوهم عامرة بدفء الإيمان ، وقد استغفرت نفوسهم ، واطمأنت فلوهم . وهم يروحون ويحيثون في رحاب المآذن العالية . كأنما تستظلهم وكأنما يستمدون منها الأمن والأمان .

● وإذا كانت الواقعية هي الإطار الذي اختارته الفنانة لتصوير هذا الجحوى ، أو لنقدم هذه الشريحة من الحياة في رحاب المآذن ، فهي ليست الواقعية المباشرة أو الواقعية الفوتوغرافية ،

● تتميز الفنانة زينب عبد العزيز بخطوطها الواقعية ، المستوحاة من الجحوى الشعبي ، المعطر بعبق الدير وفطرة الإيمان ، وهي ذات ولع شديد في الجمع بين عصري الإيمان والحياة ، ودائماً تصرح بفراشها ، أن لا حياة بدون إيمان ، وأن الإيمان هو ينبوع الحياة وهو غدير الإيمان .

● وفي هذه اللوحة .. « في رحاب المآذن » ، التي استوحتها الصائفة من معاشها لحي الأزهر الشريف ، حيث تعمل أستاذة بجامعة الأزهر ، يتجلى هذا التأثير الشديد للجحوى الشعبي المنسج

● أما عن نشاطها الفني ، فقد اشتركت في المعارض العامة منذ سنة ١٩٥٥ م ، كما شاركت في المعارض الدولية العامة منذ سنة ١٩٦٥ م ، وأقامت حتى الآن ثمانية عشر معرضاً خاصاً في مصر وفي بعض دول أوروبا ، وذلك منذ سنة ١٩٥٥ م . أما أحدث معارضها فقد أقامته في

عام ١٩٦٢ م ، كما حصلت على درجة الماجستير في الفن والأدب الفرنسي وكان موضوع رسالتها « يوميات أوجين ديلاكروا » عام ١٩٦٧ م ، أما درجة الدكتوراه فقد حصلت عليها عام ١٩٧٤ م ، وكان موضوعها « النزعة الإنسانية عند فنانين ثمان جوح » .

عام ١٩٧٠ م ، حصلت من وزارة الثقافة على محبة تفرغ لمدة عامين لتصوير بلاد النوبة وأسوان .

● وهي فنانة وأديبه معاً ، وإن كانت قد جمعت في دراساتها الأدبية بين الفن وفلسفة الحيات ، فقد حصلت على ليسانس الآداب من قسم اللغة الفرنسية

د. زينب عبد العزيز

● الفنانة زينب عبد العزيز ولدت في الإسكندرية عام ١٩٣٥ م ، ودرست الفن لدى منس العائمه مع انصب على الطبري . وفي



عبد القيسل السيد (٥١) من ١٠٥

كتابان هما «يوميات فنان» عام ١٩٧١م، عن دار المعارف، و«قولتير الروماني» عام ١٩٨٠م، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● تعمل حالياً استاذاً لمادة الحضارة والأدب الفرنسي بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر.

مقنتياتها في فرنسا، وإيطاليا، والمجلترا، وكندا.

● أما عن نشاطها الأدبي، فقد نشرت عديداً من المقالات الأدبية منذ عام ١٩٦٥م، في مجلات، أقال، والكاتب، والمجلة، والفكر المعاصر، والدوحة، وأفاق عربية. وقد صدر لها

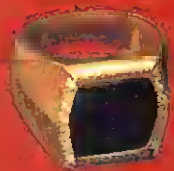
أبريل (نيسان) عام ١٩٨٠م، في «قاعة إحصاتون» احتفالاً بيوبيلها الفضي.

● وتعد الفنانة من أكثر المقنتيات، قلها مقنتيات في وزارة الثقافة، ووزارة الخارجية، وإدارة الفنون الجميلة، وفندق الميريديان في مصر، إلى جانب

Paul Buhré

بول بوريه

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥ م.



محسن
MOHSEN

المركز الرئيسي : جدة - شارع المطار وشارع الاشراف صوب : ٣٤٩٨

الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشارع الناصرية

الخبير : شارع ٢٨ وطلوع منتد

الحيثية : شارع الاستيلمية وشارع الملك عبدالعزيز



شعر: محمد منذر لطفي

- ١ -

يا هلالا .. نشر اليوم على الدنيا وسماحة
فصحا الكون على ميلاده .. ينهل راحة
أيها الزائر .. يا شهراً سماوي الملاحه
مرحباً .. تغمر وجه الشرق أنساً وسماحة
دمت للإسلام ذخراً يعشق الصبح صباحه

- ٢ -

يا رعى الله لياليك .. وأياماً ظليلة
يا رعى الله التسابيح .. وألحان الفضيلة
ونسائم من الفردوس تنهل عليله
هي في ثغري دعاء وباعماقي خيله
سوف أحييها شباباً مستقيماً .. وكهولة

- ٣ -

يا إلهي .. أرفع الدعوة من قلبي .. حرى
لتصون الشرق .. شرق العُرب والإسلام .. حُرّاً
مُكرّماً .. حتى إذا ما زُفّت الألفاق بُشرى
لهلال .. سوف تنضو بعد عام عنه سينثرا
تُزهّر الأمة تاريخاً .. وأجّاداً .. ونصرا



مدخل إلى الثقافة العسكرية

الصحافة العسكرية لا تعدو أن تكون جزءاً من الصحافة بصورة عامة ، ولا تختلف عنها اختلافاً كبيراً ، لكنها تتميز بأنها لا تهدف إلى السعي وراء الربح التجاري ، ولا تخضع لسيطرة رأس المال .. وهذا يعني أنها ذات رسالة سامية ، وأهداف نبيلة تعبر حواجز المادة .. أي أنها أكثر قدرة من غيرها على تحقيق أهدافها .. ومن أهدافها تعبئة الرأي العام وتهيئته إلى التطوع لأداء الخدمة العسكرية عن طريق فتح آفاق المعرفة ، والثقافة العسكرية إلى عشاقها ، بأسلوب بسيط ميسور الفهم للقارئ العادي والجندي المحدود الثقافة لكي يعرف كل فرد في الدولة الواجب الوطني الملحق على عاتقه وهو المساهمة في الدفاع عنه .

فالصحافة العسكرية بذلك هي الوسيلة لنشر المعرفة بين صفوف الضباط والجنود بواسطة الصحف والدوريات التي تصدرها القوات المسلحة ، بالإضافة إلى نشر الثقافة العسكرية وتعميمها للمواطنين في الصحف والمجلات المدنية في وقت السلم ، ونشر إطار المعارك والقتال وقت الحرب عن طريق صحفيين عسكريين ومدنيين متخصصين في أعمال المحرر العسكري ، والمراسل الحربي ، والمنسوبة والمخبر العسكري ، والمقرب على الأخبار العسكرية ، والنقد الحربي .

وعرف العالم الصحافة العسكرية منذ أقدم العصور ، وبرزت أهميتها في حروب القرن (١٨٥٣ - ١٨٥٥ م) ، والحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٤ م) ، وحرب السودان (١٨٨٣ - ١٨٩٦ م) ، وحرب البوير (١٨٩٨ - ١٩٠٢ م) ، والحرب الإيطالية الليبية (١٩١١ - ١٩١٢ م) ، وحرب البلقان (١٩١٣ م) حيث أرسلت الصحف الإنجليزية والروسية والأميركية مراسلين حربيين يرافقون الحملات العسكرية لتزويد صحفهم بالأخبار العسكرية ، وإرسالها بواسطة البرق أو البريد ، وكانت مهيات نقل الأخبار العسكرية والمحررين والمراسلين العسكريين والنقاد الحربيين ، صعبة لتعارض مبدأ حرية النشر مع مبدأ من مبادئ الحرب وهو « المفاجأة » (١٩١٤ - ١٩١٨ م) فتغيرت المفاهيم نحو نقل الأخبار العسكرية ، وتسهيل مهيات المراسلين الحربيين ، وتحجى ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) عندما قدرت الحكومات أن طبيعة الحرب الحديثة تستوجب أن تكون الجبهة الداخلية سليمة متأسكة ، ولا تفككها الشائعات الكاذبة ، وأنه لا سبيل لتحقيق هذا الغرض إلا بإتاحة الفرص لبعض الصحفيين كي يصاحبوا الحملات العسكرية أثناء القتال ، ويتدرب هؤلاء الصحفيون تدريباً خاصاً بحيث تأمن السلطات العسكرية جانبهم ، ويتمكن في نفس الوقت من إمداد الصحف والمجلات بالأنباء

والصحافة العسكرية ذات رسالة محدودة المعالم ، سامية المقاصد ، سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب .. ففي زمن السلم تكون المرأة التي تعكس الصورة الحقيقية عن القوات المسلحة التي تعبّر بلسانها ، فبقدر ما تكون الصورة واضحة جلية بقدر ما تكون أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال والتضليل . أما في زمن الحرب فإنها أشبه ما تكون بهمزة الوصل بين الجندي في ميدان القتال وبين أهله وبني وطنه ، كما أنها تنقل إليهم أخبار المعارك التي تدور بينهم وبين أعدائهم من غير تشويه من قبل العدو ، ويقصد إضعاف روحهم المعنوية ، وتنشيط الحماس ، وهي بالتالي تشد المقاتل بأهله وذويه وبني وطنه بعضهم ببعض برباط قوي منفعهم بذروة الشعور الوطني الفياض ، كما أنها تقوم بدور هام ، سواء في زمن السلم أو الحرب ، بنقل أخبار المجتمع وما يدور في فلكه من نشاطات إلى الجنود ، سواء في ثكناتهم البعيدة عن الحياة العامة ، أو في خنادقهم في ميادين القتال ، أو الخطوط الأمامية . وهذا يعني أن للصحافة العسكرية دوراً كبيراً في بث وعي جديد قوامه حب الوطن من الإيمان ، وأن الدفاع عنه فريضة ، والموت في سبيله استشهاد .

ودعونا نقرأ ما قبل عن دور الصحافة العسكرية لنندرك أهميتها في القتال ، فقد قال القائد العربي المسلم خالد بن الوليد قوله المأثور : « عقول الرجال على أسنة أقدامهم قبل أن تكون على أسنة رماحهم » ، وكما قال القائد الألماني « الفيلد مارشل هيندنبيرج » في حديث له مع جنده : « لا أريد منكم أية معلومات ، ولكن أروني فقط صحفهم ومجلاتهم أحكم على رجائهم ومعداتهم » . وهذه الكلمات التي توافق عليها بطل من أبطال المسلمين ، ورجل من رجالات الألمان في الرأي لم تأت عفواً ، لكنها جاءت معبرة عن وقوع تجربتهم الشخصية للرجال .. ومن هذا يتضح لنا أن الصحافة العسكرية ودورها الكبير في زمن السلم ، وزمن الحرب ومسؤوليتها تجاه القوات المسلحة التي تعبّر عنها كبيرة .

العسكرية

بقلم : لواء ركن : يوسف إبراهيم السليم

والتراجم والصحف والمجلات العسكرية ، والمقالات والتعليقات التي نشرها المحررون والمعلقون والمراسلون الحربيون في الصحف والمجلات السياسية والاجتماعية والثقافية العامة .

وتتميز الصحافة العسكرية بالتزام قواعد السلوك الأخلاقي الفاضلة ، والصدق في نقل الكلمة ووصف المعارك ، وكتابة التاريخ العسكري ، ومذكرات القادة العسكريين ، ونشر المعرفة الفنية والقواعد التي يعمل بموجبها المراسلون المحررون العسكريون للحصول على المعلومات المشروعة عن الشؤون العسكرية ، وتقديم المشورة الفنية لرئيس التحرير ، وكسب ثقة المسؤولين عن الأمور العسكرية ، وأن ينشد الكيف وليس الكم ، وتحري الدقة والصدق في نقل الأخبار^(١) .

الصحافة العسكرية في المملكة العربية السعودية

تحتل الصحافة العسكرية في المملكة العربية السعودية دوراً بارزاً في نشر الثقافة العسكرية والتوجيه المعنوي بين العسكريين . ويبدأ تاريخ الصحافة العسكرية بأول عدد صدر من مجلة الجيش العربي السعودي عام ١٣٨٢هـ ، كمجلة دورية تهتم بالتاريخ العسكري ، والدراسات العسكرية ، ثم تحول اسمها في العدد الثاني إلى مجلة الدفاع التي صدرت في عام ١٣٨٣هـ ، وتحول هدفها إلى مجلة عسكرية ثقافية اجتماعية ، وأصبحت تهتم بأخبار المجتمع العسكري إلى جانب اهتمامها بالثقافة العسكرية ، وتصدر مرة كل ثلاثة أشهر ، وصدر منها حتى تاريخ إعداد هذا الموضوع ٤٣ عدداً . ويشارك في تحريرها نخبة من الضباط والموظفين التابعين لوزارة الدفاع والقوات المسلحة السعودية وبعض الكتّاب السعوديين والأخوة العرب والمسلمين . وتعتبر المجلة مرجعاً تاريخياً وعلمياً لقطاع القوات المسلحة السعودية ، وسجلاً لدور القوات السعودية في السلم والحرب .

ثم مجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية التي تصدر سنوياً ، وصدر العدد الأول منها سنة ١٣٨٠هـ ، وصدر منها حتى سنة ١٣٩٨هـ ، ثمانية عشر عدداً ، وهي مجلة علمية ثقافية يشارك في تحريرها أساتذة ومدرسي الكلية وبعض الطلاب فيها ، وتعتبر سجلاً تاريخياً لتطور الكلية ،

الصحيحة التي تقوي الجبهة الداخلية ، ولا تفيد العدو في شيء ، ولهذا ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كان أمر المندوبين العسكريين من المسائل المقررة ذات النظام الثابت ، والمعترف به ، وأصبحت الجامعات تدرس هذا التخصص ضمن مؤتمرات ومناهج تدريس الصحافة ، وقد قال الرئيس الأمريكي السابق الجنرال (أيزنهاور) حيث كان قائد لجبهة الحلفاء : « إن دور المراسلين الحربيين جزء من هيئة أركان حربي » .

وقبل معركة العلمين جمع القائد الإنجليزي (مونتجمري) الصحفيين وشرح لهم تفاصيل المعركة لكي يكونوا على بينة عند نقل الأخبار الحربية من ميادين القتال^(٢) .

وظهرت أهمية المراسلين الحربيين بشكل أوسع في الحروب العربية الإسرائيلية (١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ م) ، وكذلك في الحرب الكورية (١٩٥١ م) ، والحرب الفيتنامية (١٩٦٨ م) .

وتهدف الصحافة العسكرية إلى تشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر والقراءة والتوجيه المعنوي بين صفوف الجيش والقوات المسلحة ، وليس من أهداف الصحافة العسكرية التجارة . وتزخر المكتبة العسكرية بالعديد من المؤلفات



* تأخذ الثقافة العسكرية جزءاً من كل من الثقافات العربية والإسلامية والدولية في جميع العلوم *

الأمن وفقهم الله لأداء مهمتهم .

وابتداء من أول العام الهجري ١٤٠١هـ ، صدرت جريدة (أخبار القوات المسلحة) عن إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة السعودية ، وتهدف هذه الجريدة إلى التثقيف والتوجيه البناء لمنسوبي القوات المسلحة من خلال مساهمة قادة وضباط ومنسوبي القوات المسلحة ، وإبراز وتعميم نشاطات القوات المسلحة ، وتسليط الضوء على المنجزات ليتعرف عليها كافة منسوبي القوات المسلحة والآخرين ، وتعميم أخبار القوات المسلحة كالأعمال المبرزة التي تم في مختلف القطاعات ، وكذا الترقيات والتعيينات الرئيسية ، ليتعرف الجميع على قاداتهم ومدرائهم وجوانب أعمالهم واختصاصاتهم ، ويدخل ضمن ذلك الإحالات للتقاعد وإنهاء الخدمة .

الكتابة العسكرية والأدب الحربي

الكتابة العسكرية تنقسم إلى نوعين : كتابة عسكرية رسمية ، وكتابة عسكرية أدبية ، أو ما يمكن أن نسميها بالأدب الحربي ، فالكتابة العسكرية الرسمية تعتمد على قواعد وضوابط ، وتتميز بالدقة وبالاختصار ، مع المحافظة على وضوح الهدف . وتتناول الكتابة العسكرية الرسمية موضوعات متعددة منها الأوامر والتعليمات ، ومنها التقارير والتوصيات لإنجاز المهام ، ومنها التوجيهات والإرشادات ، وأغراض الاتصالات الرأسية والأفقية من رسائل التبليغ والتنسيق والطلبات ، وتشتمل على عناصر معلومة تبدأ بتحديد المرسل والمرسل إليه ، والتاريخ في صدر الرسالة ثم الموضوع ، والمناقشة ، والتوصية ، أو التوجيه . وتذيل الرسالة بكتابة الاسم واضحاً مع الرتبة والوظيفة ثم التوقيع . وتحدد درجة السرية وتندرج من عادي - محظور - سري - سري جداً - سري للغاية . . حسب الأهمية . وتتصف الكتابة العسكرية الرسمية بالالتزام أدب الخطابية ، والاحترام أو التحية حسب أقدمية المرسل والمرسل إليه .

وقد تكون رسالة خيرية أو نشرة عسكرية أو تقرير عمل أو أمر عمليات . وقد تكون قرارات إدارية لشؤون الأفراد أو المالية أو التأمين وفق الأنظمة العسكرية . وفي كل حالة تلتزم الكتابة العسكرية الرسمية بالعناصر المذكورة .

وفي حالات الحرب تستعمل الكود والرموز الدالة على الوحدات والمعدات باختصار حتى لا تقع الرسائل في يد العدو فتكشف الأسرار العسكرية . كما تستعمل المبرقات في الحالات المستعجلة في السلم أو الحرب ، وتأخذ البرقية صفة الإنجاز .

وتعتبر الكتابات العسكرية من مصادر التاريخ العسكري الرئيسية ، ومن الوثائق التي يعتمد عليها في تسجيل تسلسل الأحداث العسكرية التي تبنى عليها الخطط الحربية والدروس المستفادة .

لهذا فإن الأمانة العلمية تستوجب سلامة وصحة المعلومات التي تشتمل عليها الرسائل الحربية ، فكثير ما رجع القادة لتسجيل مذكراتهم التاريخية من واقع الكتابات العسكرية الرسمية ، والنوع الثاني من الكتابة

وتقوم بتسجيل مصور للحفل السنوي للتخرج ، وبعض نشاطات الكلية ، وهي كالمائدة التي يجد فيها الطالب والباحث والقارئ والمهتم بالشؤون العسكرية ألوان الثقافة العسكرية الشيقة .

وبلي مجلة الكلية بالصدور مجلة الجندي المسلم التي يصدرها قسم التوعية الإسلامية بإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة السعودية ، وهي تصدر مرة كل شهر ، وصدر العدد الأول منها بتاريخ ١/شوال/١٣٩٢هـ . وصدر العدد العشرون منها سنة ١٣٩٩هـ ، وهي مجلة إسلامية ثقافية عسكرية تهتم بالدراسات العسكرية الإسلامية ، والتاريخ العسكري الإسلامي ، ويشارك في تحريرها أعضاء إدارة الشؤون الدينية ، وبعض الكتاب العسكريين والمدنيين ، وأساتذة الجامعات . كما يصدر عن كلية الملك فيصل الجوية نشرتين الأولى شهرية باسم «القرناس» وهي تعنى بشؤون الطيران والعلم والثقافة . والثانية مجلة «الصقور» وهي مجلة سنوية تصدر مع تخرج كل دورة من الكلية كل عام ، تهتم بنشاطات الكلية إلى جانب نشر الثقافة العسكرية ، وعلوم الطيران ، ويقوم بتحريرها أعضاء هيئة التدريس ، وعدد من طلاب الكلية ، وبعض ضباط القوات الجوية .

وإلى جانب هذه المجالات والنشرات الدورية تصدر إدارة المعلومات بهيئة الاستخبارات للقوات المسلحة نشرتين الأولى يومية تنقل إلى القادة والضباط أهم الأخبار والتعليقات المحلية والعربية والعالمية لتجعلهم يتابعون أحداث العالم أولاً بأول ، ونشرة دورية تعنى بأهم الدراسات والأبحاث العسكرية ، والمقالات العلمية ذات الأهمية الاستراتيجية لتساهم مع الصحافة العسكرية في نشر الثقافة العسكرية ، ورفع مستوى العسكريين علمياً ، والنشرة الأولى باسم «أهم الأنباء العربية والعالمية» والنشرة الثانية باسم «مقالات صحفية» .

كما أن المعاهد والمدارس العسكرية تصدر نشرات خاصة بها مثل النشرة الخاصة بإدارة موسيقات الجيش ، وإدارة الثقافة والتعليم تصدر كتيبات عن دور الثقافة والتعليم في القوات المسلحة .

مجلة الحرس الوطني

مجلة الحرس الوطني الذي صدر العدد الأول منها في شهر رجب ١٤٠٠هـ ، مجلة عسكرية فنية تمتاز من أول عدد صدر منها بالطباعة الأنيقة والموضوعات الشيقة ، وهي مجلة عسكرية ثقافية فصلية تصدر عن إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني .

وإلى جانب المجالات والنشرات التي تصدرها القوات المسلحة فإن قوات الأمن الداخلي تصدر مجلات أمنية متخصصة ، وهي وإن التزمت جانب التخصص والفنية في مجالات الأمن الداخلي ، إلا أنها تعتبر مكملة للثقافة العسكرية بمفهومها الواسع .

من هذه المجالات والنشرات مجلة «الأمن العام» التي تصدرها إدارة العلاقات العامة بالأمن العام ، ومجلة «كلية قوى الأمن الداخلي» ، وتحتوي هذه المجالات على مقالات تبحث في مجالات الأمن الداخلي ، ونشاطات قوى الأمن مما يبشر بنهضة علمية في صفوف رجال

العسكرية هي الكتابات التي لا تأخذ الصفة الرسمية مثل مذكرات القادة العسكريين ، وكتابة التاريخ الحربي والشعر الحماسي ، والخطابة في ميادين القتال ، وكتابة المقالات العسكرية في المجلات والصحف ، وكتابة المؤلفات الأدبية والتخصصية ذات الصبغة العلمية والثقافية .

وتزخر المكتبة العسكرية بالعديد من المؤلفات والمذكرات التي كتبت من قبل القادة العسكريين والكتّاب والمراسلين الحربيين ، وتصور الكتابة العسكرية غير الرسمية أصدق الأحاسيس الإنسانية للجنود في أشد وأحلك المعارك الحربية ، وتكتب بواسطة أقلام ذوي المواهب الأدبية ، وكم من مذكرات ومشاهدات سجلت أعنف المواقف للرجال في ميادين القتال غيرت مجرى التاريخ . وكم من العبر والدروس المستفادة التي تعلمناها من الكتابات العسكرية التي كتبت في أثناء الحروب وتكشف آثارها بعد وقف القتال . وتتسابق الصحف والمجلات بنشرها .

وبحسبنا التاريخ العسكري بالعديد من القطع الشعرية الحماسية ، والملاحم الشعرية ، والقصص الفنية الرائعة التي ترقى إلى مستوى الإبداع بما يشبه الخيال ، وهي تحكي قصصاً واقعية أملت بها الظروف العسكرية والتضحية والغداء في سبيل الله ثم الوطن والقيادة . وخطبة طارق بن زياد في الأندلس واحدة من الروائع في الإيجاز والتأثير ، وأحد عوامل النصر . ورسالة الخليفة - القائد الأعلى لجيوش المسلمين - التي أرسلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القائد العام للجيوش الحارثية في الشام سيف الله خالد بن الوليد التي تقضي بعزله وتعيين أبي عبيدة عامر بن الجراح بدلاً عنه ، إحدى الرسائل الحربية والوثائق التاريخية التي غيرت مجرى الحرب والتاريخ .

ولم جانب توافر الموهبة لدى بعض الكتّاب العسكريين فإن للتدريب والدراسة على الكتابة العسكرية سواء الرسمية أو الأدبية دوراً فعالاً ، ففي المعاهد والمدارس والكتليات العسكرية ندرس مادة الكتابة العسكرية للعسكريين ، ويتدربون عليها باستعمال النماذج والنمازين حتى يجيدوها ، وتلعب الترجمات لكتابات العسكريين من الدول الأخرى التي كتبت بلغات أجنبية دوراً بالغاً في رفع مستوى الكتابة العسكرية وجودتها ، فالافتباس وتبادل المعارف العسكرية أحد المبادئ المتعارف عليها في إرساء قواعد وأصول هذا الفرع من العلوم العسكرية .

والكتابات العسكرية إلى جانب الأشياء الإيجابية والمنافع الكثيرة منها تشتمل على جوانب سلبية . فهي واحدة من المصادر الهامة للمعلومات من وإلى العدو ، ولكن فوائدها تكاد تغطي على عيوبها ، فهي أمر لا بد منه كالماء والسلاح والذخيرة ، فهي ذخيرة العقول والنفوس ، ومقومات المعنويات ، فكم من خطبة أو مقال أو رسالة ضاعفت من القوى المعنوية للجنود فتحرز النصر بينما هي مقدمة على الهزيمة فتنجيهم من شرورها .

ويمع بالكتابة العسكرية نقل المعارف والعلوم العسكرية من الخلف إلى السلف في مسيرة الإنسانية نحو العزة والكرامة والنصر ضد شرور الأعداء والهزيمة ، وتسجيل ما تعارف عليه العسكريون في قواميس ومعاجم للمصطلحات والتعابير العسكرية التي تمثل مفاتيح العلوم والفنون الحربية .

والقرآن الكريم والسيرة النبوية يزخران بسالعديد من الآيات والأحاديث التي تغرس في النفوس حب الجهاد والقتال في سبيل الله ، وأعظم المدارس والمراجع العسكرية للجندى المسلم التي يستمد منها أسلوبه وخبرته في درب الكتابة العسكرية ، والأدب الحربي الطويل ، إلى جانب قصص الأنبياء والرسل التي تمثل حياتهم جوانب من الحياة العسكرية كقادة ورواد لجيوشهم في سبيل الدعوة لدين الله والذود عن حياض المقدسات والأوطان .

مثال الأدب الحربي

ومن أمثلة الأدب الحربي ودور الخطبة والشعر في المعركة عندما ولي خالد بن الوليد قيادة الجيوش الإسلامية في معركة اليرموك^(١) لما وجد الجيوش الرومية منظمة وعلى استعداد تام لمواجهة المسلمين ، تحمس خالد وثار ثورة الرجل الغيور على الإسلام والمسلمين ، وخطب في المسلمين خطبة حماسية قال فيها :

« إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فأخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا اليوم له ما بعده لا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة وأنتم على تسائد وانتشار » . ولقد كانت هذه الخطبة البليغة آثار عظيمة في نفوس المسلمين ، إذ رفعت من روحهم المعنوية ، وقوت من قلوبهم ، وشدت من أزرهم ، ودفعتهم دفعاً إلى ميدان الشرف والكرامة .

وبعد الهزيمة التي لحقت بالروم في اليرموك ، وتم للمسلمين النصر ، فرحوا فرحاً عظيماً ، وغمرت السعادة قلوبهم وذهب بعضهم ينظم القصائد الشعرية معبرين عن بهجتهم بهذا النصر العظيم ، وقد نظم القعقاع بن عمرو قصيدة في تلك المناسبة قال فيها :

ألم ترنا على اليرموك فزنا
كما فزنا بأيام العراق
وعذراء المدائن قد فتحننا
ومرج الصفر على العناق
فتحنا قبلها بصرى وكانت
محرمه الجنساب لدى التلاقي
قتلنا الروم حتى ما تساوى
على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا
على الواقوصة البتر الرقاق

الخواشي

- (١) انظر كتاب الدكتور محمود محمد الجوهري ، المراسل الحربي ، الكتاب ١٨٤ من سلسلة « أفراء » التي تصدرها دار المعارف المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- (٢) محمود محمد الجوهري - الحرر العسكري ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٩ م .
- (٣) أحمد محمد عمار - اليرموك ، مكتبة دار العلوم بالرياض ، ١٣٩٨ هـ .

من مفاخر الحضارة العربية والإسلامية بنوعيتها المادي والفكري ، المدرسة المستنصرية ببناها الشامخ التي لا يزال معظمها ماثلاً للعيان على شاطئ دجلة الشرقي ، الضفة الشرقية من بغداد بين جامع الأصفية والخفافين ، وتاريخها الحافل كذلك .
وقد تصدى عدد من الباحثين لدراسة هذه المدرسة ، ولكنه لا زال هناك جوانب عدة لم تنلها الدراسة أو البحث والتحقيق .

المدرسة المستنصرية في تاريخها أول جامعة إسلامية

المستنصر سنة ٦٣١ هـ . ومن الجدير بالذكر أن معظم المدارس في ذلك العصر كانت تسمى بأسماء مؤسسيها ، مثل : المدرسة التاجية المنسوبة إلى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز ، والمدرسة النظامية التي سميت باسم نظام الملك وغيرها .
وقد بنت المدرسة المستنصرية بسعة وضخامة بحيث فاقت جميع المدارس التي سبقتها في العصر الإسلامي ، من حيث أبنيتها وزخرفتها وفخامة البناء وسعتها وجمال المنظر ، وحسن الموقع^(١) .

مميزاتها

وقد اعتبر إنشاء المدرسة المستنصرية خطوة نحو التطور في تاريخ المدرسة في العالم الإسلامي في ذلك العصر . إذ كان من المعروف أن المدارس السابقة لمدرسة المستنصرية كانت تبنى وتخصص كل واحدة منها لدراسة مذهب واحد من المذاهب الإسلامية ، ولكن هذه المدرسة (الجامعة) أول مدرسة عرفها العالم الإسلامي جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة^(٢) :
(الحنفي ، والشافعي ، والحنبلي ، والمالكي) في بناية واحدة^(٣) .

وفضلاً عن ذلك فقد عنيت هذه المدرسة (الجامعة) بدراسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم العربية

الخليفة المستنصر

بنت هذه المدرسة في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله وبأمر منه ، وهو ابن الخليفة الظاهر بأمر الله . وقد ولد سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م ، وبيع بالخلافة يوم وفاة أبيه في الثالث عشر من رجب سنة ٦٢٣ هـ - ١١٢٦ م .
وقد ترك هذا الخليفة آثاراً كثيرة دلت على عظيم همته وكبير نشاطه ومن أشهرها وأبقاها ، المدرسة المستنصرية .

لقد كان الخليفة المستنصر شخصية محبوبة مهيبة ، ورزياً وقوراً محباً للعلم والعلماء ، وقد وصفه المؤرخون : « بأنه كان عاقلاً وعادلاً ، لبيباً كريماً كثير الصدقات ، وكان حسن السيرة ، جميل السيرة ذا علم وعمل ، وعفو وحلم »^(٤) .

وفضلاً عن ذلك كله أحب الأدب والعلم ، وقرب الأدباء والعلماء ، وشجعهم بالهبات والعطاء الكثير ، مما ساعد على نشاط الحركة العلمية ، فكثر المشتغلون بالعلوم وزادوا رغبة واشتغالا .

تأسيس المدرسة

أسست المدرسة المستنصرية في بغداد سنة ٦٢٥ هـ ، وافتتحها الخليفة

بضام : د. محمد حسين عساف

الطب ، ودور القرآن الكريم أسوة بالمدرسة المستنصرية»^(٨).

تكاليف الإنشاء ، وحفل الافتتاح

تولى عمارة المستنصرية أستاذ دار الخلافة محمد بن العلقمي ، وبلغت النفقة عليها (٧٠٠) ألف دينار . وتم افتتاحها في اليوم الخامس من شهر رجب سنة ٥٦٣١ - ١٢٣٣ م ، باحتفال مهيب . وكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة في بغداد .

وقد ذكر لنا الإربلي وصفاً شاملاً لحفلة افتتاح المدرسة فقال : «كسيت المدرسة بأفخر الملابس ، وتحلت كأحسن العرائس»^(٩) . ووصف هذا الاحتفال كذلك ابن الفوطي فقال : «في الخامس من رجب حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار والغرباء إلى المدرسة ، وحضر الخليفة المستنصر واستقبل بعظيم الحفاوة والإجلال . ووقف نائب الوزارة نصير الدين بن الناقد ويده

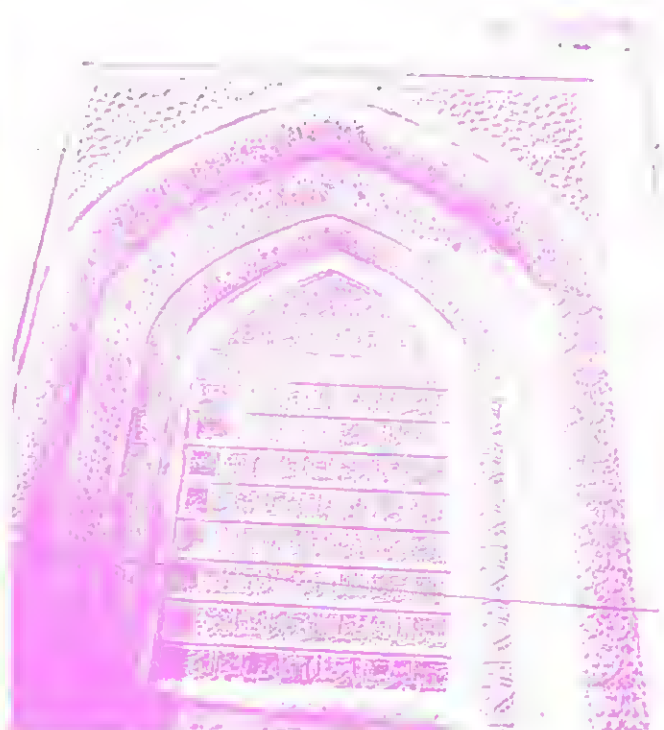
والرياضيات ، والفرائض ، والتركات ، ومنافع الحيوان ، وعلم الطب وحفظ القوام والصحة ، وتقويم الأبدان»^(١٠) . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك . فقد كانت مدارس الطب تبني مستقلة استقلالاً تاماً عن مدارس الفقه ، أو دور الحديث ، أو دور القرآن الكريم ، كالبيمارستان العضدي في الجانب الغربي من بغداد ، ومدرسة الطب الذي أسسها أبو المظفر باتكين في البصرة سنة ٥٦٢٩ هـ ، في خلافة المستنصر ، ومدارس الطب في دمشق وغيرها .

وكذلك دور القرآن الكريم فقد ظلت مستقلة هي الأخرى ، أو في داخل المساجد إلى أن أنشئت المستنصرية فصارت تلحق بالمدارس . أما دور الحديث فقد كانت من ابتكار نور الدين زنكي ، فقد ذكر ابن واصل : أن نور الدين محمود زنكي : «بنى في دمشق داراً للحديث وأوقف عليها وقفاً كثيرة ، وهو أول من بنى داراً للحديث فيها سمعناه»^(١١) .

وقد كانت دور الحديث تشترك أحياناً مع دور القرآن الكريم ، فبنى دوراً مشتركاً للقرآن الكريم والحديث معاً . وتكون مستقلة عن مدارس الفقه أو تجعل في المساجد كما في جامع «قُمريّة» بالجانب الغربي من بغداد^(١٢) . وظلت دور الحديث على هذه الحال حتى أنشئت المستنصرية ، حيث صارت دور الحديث تلحق بمدارس الفقه إلى جانب مدارس

علاميّة في العالم





السجلات الخاصة بالمدرسة المستنصرية وأعلن بدء افتتاح المدرسة برعاية الخليفة المستنصر بالله، وتلا على الحاضرين، نظام المدرسة مبيناً أقسامها ومراتبها ومخصصاتها وتفصيل إدارتها ووقوفها، وموظفيها، وعدد طلابها، ومناهج التدريس فيها^(١٠).

وفي نفس الوقت اختير لكل مذهب من المذاهب اثنان وستون فقيهاً، ورتب لها مدرسان ونائباً لتدريس، وخلع على كل واحد منها جبة سوداء، وطرحة تحلبية واعطيت بغلة تجردت جميل وعدة كاملة. وأما النائبان فقد خلع على كل واحد منها قبض مصمت، وعمامة قصب. ثم خلع على جميع المعيدون وهم لكل مذهب أربعة. ثم خلع على المتولين للعمارة والصنائع والحاشية، وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب.

وفي غمرة البهجة والفرح هذه، مدت موائد الطعام في صحن المدرسة، وقد حوت هذه الموائد أنواع الأشرية والأطعمة والحلواء. وقد ذبح في هذه المناسبة ألفاً رأس من الغنم، وعملت الخلاوة وبعد أن أكل الحاضرون حل من الأكل إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام.

وفي نهاية الاحتفال ألقى الشعراء القصائد الجميلة في مدح الخليفة المستنصر، وفي وصف المدرسة المستنصرية.

ومن القصائد التي أنشدت في هذه المناسبة قصيدة ابن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي التي منها:^(١١)

ما مثل الفلك العظيم لمبصر
في الأرض قيل إيالة المستنصر
هذا بناء معرب عن قسده
رفعت قواعده بفعل مطهر
انظر تجد نظم الثريا في ذرى
شرفاته وضياء المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه
ورأى الصواب وذاك بعد تحير
والأرض حاسرة القناع كأنها
خود تبرز في رداء أخضر
تزهو بما عمر الخليفة فوقها

علماً لأحكام البشير المنذر
بالجانب الشرقي بالشاطئ الذي
هو طور سينا كل صاحب منبر
ما حق دجلة أن تفوه بلفظه
قهزت وأي ماجل لم يقهر
غلب العطاء الماء فيا واثني
سداً يفوق صناعة الإسكندر
إن أصبحت بحراً فإن بنائه
بإفاضة المعروف خسة أبحر

وضع الإمام بها أساس بنائه
والموج بين مجسم ومزجر
قصرأ ومدرسة لمن يطلب الفنى
أو رام شأو العالم المتبحر
لبس الغبي بها شهامة ماهر
وغدا المغل مزاحماً للمكثّر
لم تخل من حبر وشيخ فاضل
يروى الحديث وساجد ومعفر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها
في كل قطر واحد لم يذكر
فرق يشق على المريد طلابها
في الشرع والمطلوب كالمعتذر
فاليوم قد جمعت أمور الدين في
أرجائها وأزيل عذر المقصر.

ومن قصيدة الحسين الكوفي قال فيها:^(١٢)

بسقت بفرعك هاشم وسموت في عليائها
عمرت مدرسة أمّرت بسمائها وبنائها
أسرت عيون الناظرين بحسنها وبها
ليست مدارس من مضى في الحسن من نظرائها
ورسمت بالمستنصرية منتهى أسمائها
سمة مقدسة لما ضمنت حروف هجائها.

وظلت هذه المدرسة تؤدي دورها طيلة أربعة قرون من الزمان منذ افتتاحها سنة ٩٣١هـ، حتى ١٠٣٠هـ، عدا فترتين من الزمن، الأولى قصيرة كانت في أثناء الاحتلال المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)، والثانية طويلة جداً تبدأ من احتلال جيوش تيمورلنك وكانت قد احتلتها مرتين في سنتي ٧٩٥هـ و ٨٠٣هـ.

أقسام جديدة

الحق بالمدرسة عدد من الأقسام الأخرى حيث اعتبرت متممة لها وهي:

١ - دار القرآن الكريم: لقد عُني المسلمون بدور القرآن الكريم عناية كبيرة تدل عليها مؤلفاتهم الكثيرة في علوم القرآن الكريم، ومعانيه، وطبقات القراء، والقراءات السبع أو العشر، والشواذ، وعللها، ووجوه القراءات، وطرق القراء، كما تظهر عنايتهم مما ألفوه في فن التجويد، وما وقفوه لهذه الدور من وقوف، ومن جملة هذه الدور دار القرآن الكريم في المستنصرية، وهي بناية مستقلة تجاور المستنصرية. وقد ذكرها الخزرجي فقال: أما الدار المجاورة لهذه المدرسة فإنه لم ير مثلاً لها أحد، وهي أحسن بناء، وأحكم قواعد من كل أثر آثره الخلفاء الماضون^(١٣).

وقد اختص هذا القسم بتعليم قراءة القرآن الكريم ودراسة كل ما يتعلق بشؤون القرآن الكريم، وقد نص قانون المدرسة في ذلك: أن يكون في دار القرآن الكريم شيخ يلقي القرآن الكريم وثلاثون صبياً أيتاماً، ومعيد يحفظ التلاقين. وقد خصص هؤلاء الطلاب الأرزاق اليومية، فكان يعطى لكل واحد منهم في كل يوم ثلاثة أرباط خبزاً،



وغرف طبيخاً، وفي كل شهر ثلاثة عشر قيراطاً، وجبة. وقد خصص المستنصر لشيخ دار القرآن الكريم كل يوم سبعة أرباط خبزاً وغرفين طبيخاً، وفي الشهر ثلاثة دنائير. أما المعيد فخصصاته كانت في كل يوم أربعة أرباط خبزاً وغرف طبيخاً. وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً.

ومن أشهر شيوخ دار القرآن الكريم في جامعة المستنصرية هم:

فخر الدين اليعقوبي، وكمال الدين أبسو بكر محمد بن جمال الدين ويعرف بابن المريعي المتوفي سنة ٦٨٩هـ. ومظفر الدين أبو عبدالله المبارك بن عبدالله بن الدماغي المتوفي بعد سنة ٦٨٩هـ^(١٤).

٢ - دار الحديث أو دار السنة: وهذا قسم آخر ملحق بالمدرسة، وقد اختص هذا القسم بدراسة الحديث النبوي الشريف. وشرط الخليفة المستنصر أن يكون في دار الكتب التي هي الخزانة، عشرة أشخاص يشتغلون بعلم الحديث النبوي الشريف، ويكون لهم قارئاً يشغلان الطلبة بعلم الحديث، ويرأسهم شيخ عالي الإسناد يقرأ عليه الحديث.

وشرط أيضاً هذه الدار أن يتولى أمر هذا القسم شيخ عالي الإسناد يشتغل بعلم الحديث، وقارئ للحديث، وطلبة أسوة بالأيتام الذين يتلقون القرآن الكريم في الحفّز والغرف والمشاورة، وأن يقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع.

ومن أشهر شيوخ الحديث، أبو الحسن القطيعي المتوفي سنة ٦٣٤هـ، وأبو طالب القبيطي، وابن جزيرة الحريمي المتوفي سنة ٦٤٣هـ، ومحب الدين ابن النجار المتوفي سنة ٦٤٣هـ، ونصر الله البغدادي المتوفي سنة ٨١٢هـ^(١٥).

٣ - مدرسة الطب: كان علم الطب من العلوم المهمة التي تدرس بالمستنصرية في بناية خاصة تقع مقابل باب المدرسة الرئيسي. وهي صفة فاخرة تحت الإيوان الذي تكامل في سنة ٦٣٣هـ، وقد اتخذت هذه الصفة مكاناً لتدريس الطب ومداواة مرضى المستنصرية. وكان أطباء المدرسة يترددون إلى مرضاهم في صباح كل يوم يتفقونهم. وكان يطلق على هذا المكان البجارسن، أو المارستان يعني (المستشفى).

وكان في المستنصرية مخزن فيه أنواع الأشربة والأدوية والعقاقير، وهو أشبه بالصيدلية اليوم. وقد درست معالم مدوسة الطب اليوم ولم يبق منها شيء يذكر.

وقد اعتبر حفظ قوام الصحة، وتقويم الأبدان من العلوم التي اهتمت بها المدرسة وأطبائها.

وكان من شروط هذه المدرسة^(١٦):

١ - أن يكون بها طبيب حاذق مسلم.

٢ - أن تكون له أسوة النحوي في الخبز واللحم والمشاورة.

٣ - أن يكون عشرة أنفس من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب .
٤ - أن يوصل إليهم من الجرايات أسوة بطلبة الحديث في الخبز والطبخ والمشاورة .

٥ - أن يكون الطبيب يطيب من يعرض له مرضى من أرباب هذا الوقف .

٦ - أن يعطي المريض ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأكحال السائلة ، والسكر ، والفرايج ، وغير ذلك .

ومن أشهر الأطباء الذين درّسوا في المستنصرية هم :
١ - شمس الدين بن الصباغ : كان عالماً بالطب ، ماهراً في صناعته له فيها تصانيف . وكان طبيب الخليفة المستنصر ، توفي في المحرم سنة ٦٨٣ هـ^(١٧) .

ب - محمد الدين أبو علي عبد المجيد بن عبد الله يعرف بابن الصباغ البغدادي : وقد أصاب هذا الطبيب شهرة واسعة لسعة علمه وغزارة معرفته وقد ذكره ابن الفوطي فقال : « الحكيم الفاضل ، والطبيب الكامل ، اشغل وحصل وكتب ، وعاشر الوزراء ، والملوك ، ولازم صاحب شرف الدين هارون ، وأياه صاحب شمس الدين محمد بن الجويني سفيراً وحضراً »^(١٨) .

قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وستمئة في أيام السلطان أرغون ومعه فرمان بخزانة كتب المستنصرية ، وأن يمتحن الأطباء والصيدالة بالعراق فمن ارتضاه أقره على عمله ، ومن لم يرضه يستبدل به من يراه أهلاً للتدبير والعلاج وحفظ الصحة والمزاج . توفي في أوائل شعبان ٧١٥ هـ .

ج - علاء الدين علي بن ركن الدين محمد بن عيسى بن مسعود الإربلي : تعلم الطب على يد والده الطبيب ركن الدين ، وقد برز فيه وحذق حتى اشتهر بين الناس ، ولم يزل يسعى ويجتهد إلى أن حصل له الجلوس في إيوان الطب في المدرسة المستنصرية^(١٩) .

د - ابن الكتبي الشافعي : وقد اشتهر في علم الطب وسرع فيه . وقد درس الفقه كذلك وبرز فيه ووضع عدة مؤلفات أيضاً .
هـ - دار الكتب (المكتبة) : لقد حوت المستنصرية مكتبة كبيرة ، فعندما أنشأ المستنصر بالله المدرسة طلب أن تكون فيها مكتبة عامرة نقل إليها الكتب النفيسة التي ضمت جميع العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستون حملاً . وقيل إن المستنصر أودع خزانته في المستنصرية ثمانين ألف مجلد^(٢٠) .

وقد رتب الكتب فيها وبوت حسب فنونها ليسهل على القراء تناولها . وإذا أراد أحدهم نسخ بعض المخطوطات فإن الموظفين كانوا يزودونه بما يحتاج إليه من الأقلام والورق .

وتكون المكتبة أو (دار الكتب) كما تسمى أيضاً أهم الأقسام في المستنصرية وكانت مرجعاً لطلاب المدرسة ومدرسيها وشيوخها ، كما كانت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء في خارج المستنصرية . وقد قصدها الكثير منهم ، وترددوا عليها ، وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمان .

وقد رتب فيها الموظفون منهم الخازن ، ومشرف ، ومناول ، وقد وضعت شروط لدار كتب المستنصرية هي :

- ١ - أن يكون فيها خازناً للخزانة .
- ٢ - أن يكون له في كل يوم عشرة أرطال خبزاً ، وأربعة خباً بجوانجها وخضرها وحطبها .
- ٣ - أن يكون له في كل شهر عشرة دنائير .
- ٤ - أن يكون فيها مشرف على الخازن .
- ٥ - أن يكون له في كل يوم خمسة أرطال خبزاً ورطلان من اللحم .
- ٦ - أن يكون له في كل شهر ثلاثة دنائير .
- ٧ - أن يكون فيها مناول للكتب .
- ٨ - أن يكون له في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طيبخاً .
- ٩ - أن يكون له في كل شهر ديناران .
- ١٠ - أن تجعل الخزانة يرسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء ورتب لهم الورق والأقلام لمن يريد أننسخ^(٢١) .

ومن الأمور التي تدل على عناية واهتمام المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وميله إلى اقتنائها وخزنها في دور الكتب ما أورده الصفدي فقد قال : « بيعت كتب العلم في أيامه بأعلى الأثمان لميله إلى اقتنائها ، ورغبته في تحصيلها ، وإكبابه على مطالعتها ، وحسن خطوطها ، ووقفها على أهل الفضل ، وخزنها في المدارس ، وصنّف الفضلاء في دولته بدائع المصنفات في فنون العلم وتقربوا بآهائها إليه »^(٢٢) .

وقد عين أول خازن لهذه الدار شمس الدين علي بن الكتبي عندما فتحت في الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١ هـ . وخلع على المشرف ، وعلى المناول عنده^(٢٣) ، ومن أشهر خزنة هذه المكتبة :

١ - ابن الساعي : (٥٩٣ - ٦٧٤ هـ) تاج الدين علي بن أنجب ابن عبد الله بن عمار ، الخازن والمؤرخ الملقب بابن الساعي . وكان إمامه حافظاً مبرزاً على أقرانه فقيهاً بارعاً قارئاً بالسمع محدثاً ، شاعراً له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، منها تاريخه المشهور في ستة وعشرين مجلداً^(٢٤) . رتب خازناً في دار كتب بالمدرسة المستنصرية وكذلك بالمدرسة النظامية ولذلك لقب بالخازن .

٢ - ابن الفوطي : (٦٤٥ - ٧٢٣ هـ) أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي ولد وسمع ببغداد صاحب محيي الدين بن الجوزي . ثم أسره المغول في واقعة بغداد ٦٥٦ هـ ، وأنقذه نصير الدين الطوسي فلأزمه وأخذ عنه علوم الأوائل .

ومن أشهر المشرفين في خزانة المستنصرية :

١ - محيي الدين بن العاقولي : كان هذا رجلاً قاضياً فقيهاً صاحب فضائل وعقل وافر وسيرة حميدة ، اشتغل وحصل مشيخة المستنصرية والإفادة بها عند والده ، وكذلك الإشراف على خزانة الكتب^(٢٥) .

وأول مناول في خزانة المكتبة المستنصرية ، الجاهل إبراهيم



ابن حذيفة . وخلق عليه يوم افتتاح المستنصرية في الخامس من شهر رجب سنة ٥٦٣١ هـ .

ومحمد بن سعد بن محمد بن أبي النجم الحيدادي . قدم بغداد واستوطنها وسكن النظامية وكان محمد هذا صاحب ابن الساعي ووصيه ، وكان مناوياً بخزانة الكتب بالمستنصرية .

وكذلك عبد الرحيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن أبي النجم الحيدادي ، وهو الآخر كان مناوياً بخزانة الكتب المستنصرية كأبيه وله بها معرفة تامة . ولد في شهر ربيع الأول سنة ٥٦٧١ هـ ومات ببغداد في أواخر سنة ٥٧٤١ هـ .

ومما يؤسف له حقاً أن قسماً كبيراً من كتب هذه الخزانة كان قد تفرق في مواطن عديدة نتيجة لإهمال المشرفين ، وعدم تطبيق شروط الواقف ، وأن أول نكبة أصابت هذه الخزانة كانت عند احتلال المغول بغداد سنة ٥٦٥٦ هـ ، حينما اضطرب الأمن ، وسادت الفوضى وأبيحت المدينة ، واستولى بعض الطامعين على كتب المدرسة العلمية ، ومنهم نصير الدين الطوسي الذي رافق الجيش المغولي ودخل معه بغداد ، وقد نقل هذه الكتب إلى مدينة (مراغة) حيث بنى هناك مرصداً علمياً ، وخزانة كتب كبيرة . وكلما مر الزمن وتقدم بالمدرسة المستنصرية وتعاقت الخواص تناقص عدد الكتب وصارت نهياً للطامعين .

الهوامش

(١) الإبري : خلاصة الذهب مسوك . ص ٢١١ .

(٢) لسترلج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٢٨ .

(٣) الخواص الجامعة ، ج ٥ ، ص ٥٢٨ .

(٤) الإبري : خلاصة الذهب المسوك ، ص ٢١٢ .

(٥) الإبري : خلاصة الذهب المسوك ، ص ٢١٢ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٧) الخواص الجامعة ، ص ٤ .

(٨) ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٤ .

(٩) خلاصة الذهب المسوك ، ص ٢١٢ .

(١٠) الخواص الجامعة ، ص ٥٥ .

(١١) الخواص الجامعة ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(١٢) الأنوسي : مسجد بغداد وآثارها ، ص ٩٠ .

(١٣) الخزرجي : في حوادث سنة ٥٦٣١ هـ .

(١٤) ابن الفوضى : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ .

(١٥) الإبري : خلاصة الذهب المسوك ، ص ٢١٢ .

(١٦) الخزرجي : حوادث ٥٦٣١ هـ . ابن الفوضى : الخواص الجامعة ، ص ٥ .

ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٢٤٤ .

(١٧) الذهبي : في حوادث ٥٦٨٣ هـ .

(١٨) ابن الفوضى : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٥ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(١٩) ابن الفوضى : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ، ص ٣٢١ .

(٢٠) ابن عثبة : عمدة الطالب ، ص ١٨٢ .

(٢١) ابن الفوضى : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ، ص ١٦٧ . ناجي

معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٢٧٤ .

(٢٢) الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .

(٢٣) الخواص الجامعة ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢٤) العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ .

(٢٥) السلمي : المنتخب المختار ، ص ١٨٥ .

كولين ويلسون



*
كولين
ويلسون
*

«إن العالم اليومي يمرنا
معه مثل عبد رقيق خلف
عربة قائد منتصر ، وعلى
الإنسان أن يتعلم كيف
يقطع الحبل ، ويسمح
للعقل أن يثبت في مكانه ،
وأن يغدو واعياً لقربته
بالجبال والصخور»
كولين ويلسون

وانسان هذا العصر

بقلم : جلال العشيري

الشباب الذي يعيش في وحدة موحشة ، ويشعر بالمرارة الاجتماعية ، وعبثاً يحاول الخروج من مرض الغربة أو اللانتماء !
ولكن كتاب كولين ويلسون في الواقع ، أعمق من هذا بكثير . إنه بمثابة الصرخة التي نهت إلى عمق الأزمة التي يعانيها العقل الأوروبي المعاصر ، ذلك العقل الذي شهد منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولا يزال يشهد حتى وقتنا الحاضر ، ظواهر لا يمكن أن توصف إلا بأنها أزمة ، ولم تكن مصادفة بل كان مما يبعث على التساؤل ، أن أصبحت ينابيع الفكر الفلسفي هي آراء برجسون ونيتش وكروتش وشبنجلر ووليم جيمس ، وكلها آراء تشيد بقوى أخرى غير العقل الاستدلالي أو المنهج العلمي ، وننادي بمبادئ الخدس أو الإرادة أو الوثبة الحيوية أو النجاح العملي ، حتى أصبح دعاة العقل أقلية ضعيفة خائفة الصوت ، تدافع عن مبادئها بنجمل واستحياء .

ولم يقتصر هذا على مجال الفكر الفلسفي أو الفكر النظري الخالص ، بل تعداه إلى علم النفس والسيكولوجيا الحديثة ، فذهب فرويد وتلميذه أدلر ويونج ، وسائر علماء المدرسة التحليلية إلى إطلاق سهامهم على قلعة العقل ، والاحتفاء بقيعان اللاوعي أو اللاشعور ، باعتبارها الأوعية التي تحتفظ بالتجارب والذكريات والأحلام ، وتكون عالماً مظلماً معتماً لا يدرك إلا من خلال رموزه ، ولا ينفذ إليه العقل الواعي ، وإن كان هو أساس تفسير الكثير مما يدور في مجال الوعي .

وفي مجالات الأدب والفن ، اتخذت الرواية والدراما والموسيقى والفن التشكيلي ، نفس الاتجاه ، حيث خفت صوت العقل والوعي ،

«العقل في أزمة» .

أجل ، تلك هي الصرخة التي أطلقها في بريطانيا فيلسوف شاب في الرابعة والعشرين من عمره ، يدعى كولين ويلسون ، والتي أودعها كتابه الذي سماه « الغريب » أو « اللامنتمي » والذي وصفه بأنه «دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن العشرين» .

وما إن أطلق كولين ويلسون هذه الصرخة في بريطانيا ، حتى تردد صداها في أميركا والقارة الأوروبية ، وأصبح اسمه على كل لسان بهم بقضايا الفكر والثقافة ، بعد أن كان نكرة لا يذكره أحد ، وقد تمس له بعض النقاد المعروفين في إنجلترا ، مثل : سيريل كونولي ، وإديث ستويل ، وفيليب توينبي ، فاعتبروه على صغر سنه ، كاتباً من الطراز الأول ، بل لقد ذهب فيليب توينبي إلى أن كتابه هذا «أضاف إضافة حقيقية إلى فهمنا لأشد مشكلاتنا عمقاً وأكثرها تعقيداً» .

وأكثر من هذا ، لقد اعتبره شباب الأدب الإنجليزي في الخمسينات ، وهو الشباب الذي أطلقت عليه الصحافة الأدبية اسم « الشباب الغاضب » أو « الجيل الغاضب » ، والذي ينتمي إليه كل من جون أوز بورن ، وأرنولد ويسكر ، وهارولد بستر ، وشيلا ديلاي ، وجون وين ، وكنجسلي رميس ، ودوريس لسنج ، وآلان سيليتو ، اعتبروا (كولين ويلسون) بمثابة فيلسوف هذا الجيل ، وأول من أرسى دعائم هذه المدرسة ، بإصداره هذا الكتاب ، الذي جعل منه كولين ويلسون رمزاً لنفسه ولجيله من المفكرين الإنجليز الشباب .

ذلك أن كتاب « الغريب » أو « اللامنتمي » ، كما يقول الناقد كارل بود ، أحد المشاهير لأدب الخمسينات ، يبرز صورة المفكر الإنجليزي

واختفى الترابط المنطقي ، والقالب المحدد ، وحلت الانطباعات السريعة المباشرة ، والفورات الوجدانية الحادة ، وأصبح الفن بدوره يخاطب القوى اللاواعية في الإنسان . والأدب كأنما يغوص في الأعماق السحيقة للذات البشرية .

والذي يعني من هذا كله ، هو أن هذه الظواهر جميعاً ، ما كان لها أن تجتمع في توقيت زمني واحد ، إلا لتشير إلى مدلول واحد ، وتعبّر عن أزمة واحدة ، هي أزمة العقل ، أو الأزمة التي يمر بها العقل .

صحيح أن العقل ذاته هو الذي شخص هذه الأزمة ، وهو الذي توصل إلى تحديد ملامحها وظواهرها ودلالاتها العامة ، وصحيح أن تحليل العقل لذاته ، وتجرده على نفسه ، هو تأكيد لوظيفة العقل وتحقيق لدوره الإيجابي ، ولكن الصحيح أيضاً أن هذه جميعاً ظواهر تشير إلى محنة العقل في مواجهة تحديات العصر .

أمراض الإنسانية المعاصرة

ومن هنا كان وصف كولن ويلسون لكتابه بأنه بحث في كنهه مرض الإنسانية في منتصف القرن العشرين ، فهو إذن يفترض أن الإنسانية مريضة في هذا العصر ، ويحاول أن بشخص الداء الذي تعانيه الإنسانية ، وفي ذات الوقت يحاول أن يصف الدواء الذي يشفي الإنسانية من هذا الداء ، أما هذا الداء ، فهو ما يسميه كولن ويلسون بمرض الغربة أو اللاتناء . فعنده أن مشكلة اللاتمنّي تبدو لأول وهلة مشكلة اجتماعية ، ذلك لأن من صفات اللاتمنّي أنه لا يتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه ، لكن مشكلة اللاتمنّي ، في حقيقتها ، ليست مجرد مشكلة اجتماعية . وإنما هي مشكلة روحية أو ميتافيزيقية .

فن هو اللاتمنّي ؟

هو الشخص الذي يرى الإنسان على حقيقته ، تلك الحقيقة التي تحجبها عن العين طبيعة الحياة في المجتمع الحديث ، ولأنه ينشد الحقيقة وحدها ولا يقبل غيرها ، نراه باستمرار في حالة تمرد على المجتمع ، وكأنما هو يعيش خارج لا داخل هذا المجتمع ، ومن ثم فهو في حالة دائمة من الاستبطان ، يستبطن ذاته ويطل عليها من الداخل ، لكي يراها على حقيقتها السافرة ، ويدرك النزاع الناشب فيها بين ما هو حيواني صرف ، وما هو إنساني خالص .

« لا أملك شيئاً ، ولا أستحق شيئاً ، وبالرغم من ذلك أشعر بالحاجة إلى تمويض ! » .

هذا هو اللاتمنّي عندما يفتش في أغوار ذاته ، فلا يكاد يجد فيها شيئاً ، وعندما يفتش في خارج ذاته لا يكاد يجد فيها شيئاً كذلك « أما البحث الفلسفي فإنه يلوح عديم المعنى ، لا شيء يمكن اختباره ، ولا شيء يمكن اختياره ، وأما الحقيقة فإنا نرى ماذا يعنون بها ؟ ! » .

وتنطلق أفكار اللاتمنّي بصورة غامضة من حب قديم ، وما كان يحيط به من ملاذ عسائفية ، إلى التفكير في حقيقة الموت ... « الموت ... إنه أهم الأفكار على الإطلاق » . ثم يعود إلى مشاغله اليومية « يجب أن أكذب مالا » . وفجأة يرى ضوءاً منعكساً على الجدار ، إنه منبعث من الغرفة المجاورة لدى إحدى الأسر ، ويقف على الفراش في غرفته الوحيدة ، يراقب الغرفة المجاورة : « إنني أنظر وأرى .. الغرفة المجاورة تدعوني إلى ... » .

وهكذا لا يكاد اللاتمنّي يخرج من أغوار ذاته ، ليستشرف العالم من حوله ، حتى يكون عائله هو الحبة الدائرة في الغرفة المجاورة ، التي يراقبها من ثقب في جدار ، والسبي وصفها الشاعر كيتس فيما كتبه إلى الشاعر براون قبل وفاته بعام واحد : « إنني أشعر وكأنني مبيت منذ زمن ، وإنني إنما أعيش الآن حياة ما بعد الموت ! » .

الرؤية أكثر من اللازم

لذا يمكننا أن نصف اللاتمنّي بأنه الشخص الذي يعيش في انقسام مع ذاته ، ومع العالم من حوله ، فهو يرى أن العالم الذي يعيش فيه ، ويعيش فيه الناس ، عالم غير حقيقي ، وهو في ذات الوقت لا يرى في الوجود سوى الفوضى التي تتجاهلها العقلية البورجوازية ، ولأنه يرى أن الفوضى هي حقيقة العالم ، نراه لا يهم إلا بها ، ولا يتحدث إلا عنها ، ولا ينظر إليها إلا بين اليأس والتشاؤم ، اسمعه يقول :

« ورأيت نفسي على الرصيف مرة ثانية ، لا أشعر بالطمأنينة التي كنت أمني نفسي بها ، وإنما أحس باضطراب وارنباك ، كنت وكأنني لا أرى الأشياء على حقيقتها ، وكنت أرى أكثر من اللازم ، وأعمق من اللازم ! » .

ولن نجد هنا أن نهمه بأنه شخص مريض وغير سوي ، لأنه سرعان ما يدافع عن نفسه قائلاً : « إننا جميعاً مرضى ، نعيش في حضارة مريضة ، والفرق بيني وبينكم أنكم تجهلون هذه الحقيقة المرة ، على حين أعرف أنا أنني مريض ، ولدي من الشجاعة ما يجعلني أواجه حقيقة مرضي ! » .

★ برودنو ★
★ سارتر ★



وهكذا نجد أن اللامتني إنسان لا يستطيع الحياة في عالم البورجوازية ، ذلك العالم السهل المريح ، ولا يستطيع ، في ذات الوقت ، قبول ما يراه ويلمسه في الواقع ، فهو « يرى أكثر وأعمق من اللازم » ، وإن ما يراه لا يعدو الفوضى ، فالبورجوازي يرى العالم مكاناً منظماً تنظيماً جوهرياً ، وإن وجدت فيه بعض عناصر القلق وعدم الارتياح ، إلا أن انشغال البورجوازي بمشكلات حياته اليومية ، يجعله مضطراً إلى تجاهل هذه العناصر ، أما اللامتني فإنه لا يرى العالم معقولاً أو منظماً ، وحين يقذف بمعانيه الفوضوية في وجه هذا العالم ، فما ذلك إلا لأنه يحس بشعور يبعث على الكتابة ، شعور بأن الحقيقة ينبغي أن تُقال على الرغم من كل شيء ، وإلا فلن يكون الإصلاح ممكناً ، بل إن هذه الحقيقة ينبغي أن تُقال حتى إذا لم يكن هناك أمل في الإصلاح .

إن اللامتني — كما يقول كولين ويلسون — إنسان استيقظ على الفوضى ، ولم يجد سبباً يدفعه إلى القول بأن الفوضى إيجابية بالنسبة إلى الحياة ، قد تكون الفوضى هي جرثومة الحياة ، كما أن البيضة هي فوضى الطائر ، إلا أن الحقيقة برغم ذلك ينبغي أن تُقال ، والفوضى يجب أن تواجه .

ولكن من ذا الذي سيقول الحقيقة ، ومن ذا الذي سيواجه الفوضى ؟ هل هو اليوجي أو القديس أم القوميسار أو الناثر ؟ إنه عند كولين ويلسون ، كما عند الكاتب المخبري آرثر كويسلر صاحب كتاب « اليوجي والقوميسار » ، إنه لا القديس ولا الناثر يستطيع أن يخلصنا مما نحن فيه ، وإنما الإنقاذ الحقيقي هو في اجتماع هذين العنصرين في مركب ثالث جديد ، وهذا معناه أن أسلوب الشك والزهد والعبادة كما نجده عند رجل الدين ، قديماً كان أو صديقاً ، لا يكفي لمواجهة الأزمان المادية التي يواجهها إنسان هذا العصر . والعكس كذلك صحيح ، حيث لا يكفي أسلوب التمرد والثورة لإصلاح عطب الحياة ، لأنه لا يكاد يصلح شيئاً حتى يقضي على كل شيء ، فاليوجي أو القديس والقوميسار أو الناثر كلاهما إنسان ذو بُعد واحد ، لا يكاد يكفي لمواجهة روح العصر ، ذلك الذي لا بد له في رأي كويسلر من اجتماع هذين البُعدين ، ولا بد له في رأي كولين ويلسون من إضافة بُعد ثالث .

الإنسان ذو الثلاثة أبعاد

ويبدأ كولين ويلسون بالبحث عن هذا الإنسان في كتب الأدب ، وكما يتجلى في أبطال أشهر الروايات العالمية الحديثة ، كما صورها خيال بعض الروائيين المحدثين ، مثل بطل رواية « الجحيم » للكاتب الفرنسي هتري باربوس ، وبطل رواية « الغثيان » لجان بول سارتر ، وبطل رواية « الغريب » لألبير كامو .

فأبطال هذه الروايات يعيشون جميعاً في عالم انعدمت فيه القيم ، وضاع منه اليقين ، وأصبح كل شيء فيه جائزاً ، وبالنسبة لصعب

التنفس ، وغامت الرؤية ، وفقد الاتجاه ، فراحوا يقضون معظم وقتهم منفردين في غرفهم الخاصة ، لأنهم لا يجدون ما يجبر قيامهم بفعل أي شيء آخر في عالم بلا معنى ولا جدوى .

لقد فقدوا نغمتهم في العقل كما فعل الفيلسوفان كير كيچارد ونيتشه ، وشعروا بأن العلم لا يحقق سعادة الإنسان ، شأنهم في ذلك شأن الفيلسوف الأميركي هوسايتهد ، والكاتب الإنجليزي هـ . ج . ويلز ، ومن ثم اقتربوا من « كافكا » وعالمه المأساوي .

ويرى كولين ويلسون أن شخصية الغريب الوجودي ، كما صورها جان بول سارتر ، تطور طبيعي لشخصية الغريب الرومانتيكي كما صورها جوته في « آلام فرتر » ، وهو الغريب الذي كان في القرن التاسع عشر ، يعتبر أنه من الطبيعي بالنسبة له أن يموت شاباً مثل شيلي ، أو يعيش مريضاً مثل شيللر ، أو يظل في برزخ بين الموت والحياة كما كان حال كولروج .

والفرق بين الغريب الرومانتيكي والغريب الحديث ، هو أن الأول دائم البحث عن الحقيقة وإن كان لا يجد هذه الحقيقة ، وهذا هو العذاب ، إلا أنه يعتقد في وجود هذه الحقيقة وهذا هو العزاء . وبين العذاب والعزاء يعيش الغريب الرومانتيكي الذي كان يعتقد أن الخطأ ليس كامناً في الطبيعة الإنسانية ، لأن الكمال الإنساني شيء ممكن التحقيق ، وإنما الخطأ كامن فيه هو ، في ملكاته وقدراته وفي نظرتة للعلاقة المتبادلة بين العالم والإنسان ، وهذا ما عبّر عنه الدكتور جوتسون على لسان بطله « راسيلاس » بقوله : « لست أريد أن أكون سعيداً ، وإنما أريد أن أكون حياً وفعالاً » .

فهو يشعر أن شيئاً ما ينقصه ، هذا الشيء ليس في خارج ذاته وإنما في داخله هو ، وهو ما عبّر عنه راسيلاس بقوله وهو يهرب من « الوادي السعيد » : « يلوح لي دائماً أن للإنسان حاسة سادسة ، أو قابلية أخرى بالإضافة إلى حواسه ، هذه القابلية يجب أن تشبع قبل أن يكون سعيداً السعادة الكاملة ! » .

هذا هو الغريب الرومانتيكي الذي يختلف عن الغريب الحديث ، الذي لا يفهم ما يقصده الناس حين يتحدثون عن الحقيقة ، فإذا تكون هذه الحقيقة ، وما جدوى العثور عليها إن كانت موجودة : « الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟ » . إن هؤلاء الذين يعتقدون بأن الطبيعة الإنسانية هي المريضة ، وأن الغريب هو الذي يواجه هذه الحقيقة المريرة ، هؤلاء لا يعنوننا الآن ، إننا كما يقول اللامتني الحديث في وضعية سلبية ، وهذه الوضعية السلبية هي جوهر العالم ، و « لا طريق هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل » ، وإلى هذا يجب أن ينصرف انتباهنا الآن .

وعلى الرغم مما بين اللامتني الرومانتيكي وبين اللامتني الحديث من فروق في النظرة إلى الحقيقة . . حقيقة العالم وحقيقة الإنسان ، إلا أنها يشتركان في صفة هامة ، هي اهتمامها معاً بمشكلة بعينها يسميها كولين ويلسون بمشكلة اللامتني ، إن مشكلة اللامتني هي كيفية تحقيق ذاته في وجود سمته الفوضوي ،

فهو إنسان يريد أن ينظم هذه الفوضى ، وأن يهدف هذا النظام ، وأن يخلع على هذا الهدف المعنى والجدوى ، ومن أجل حلمه الوردي الجميل ، ذلك الحلم الذي يتلاشى مع مطلع الفجر ، نراه يضع حياته سدى ، ويعيش في سأم وملل ، ويشعر بأن ذاته منشقة على ذاته ، فهو نصف همجي ونصف متمدين ، نصفه حيواني والنصف الآخر فيه الإنسان ، أما غايته القصوى فهي أن يحقق وحدة واحدة في هذه الذات ، وأن يحيا حياة واحدة ، حياة أضيق ما فيها يتسع لكل أشواق الإنسان .

وهذا معناه ، في رأي كولين ويلسون ، أن مشكلة اللامتنمي ليست مشكلة فكرية بقدر ما هي مشكلة حياتية ، أو هي على حد تعبيره «مشكلة البحث عن جواب للسؤال» . والسؤال هو : ماذا يجب على اللامتنمي أن يصنع بحياته وفي حياته ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه قبول الحياة كما يقبلها ويحياها من هم حوله ؟

ولما كانت مشكلة اللامتنمي هي البحث عن الطريقة المثلى التي يحيا بها حياته ، بمعنى أن مشكلته في جوهرها مشكلة حية أو مشكلة حيانية ، فإن كولين ويلسون لا يكتفي بدراسة الغربة في كتب الأدب ، وإنما يعود من الأدب إلى الحياة نفسها ، فيدرس حياة بعض من اعتبرهم من الغرباء أو اللامتنمين .

والثلاثة الذين يختارهم كولين ويلسون هم : الكاتب الإنجليزي ت. ا. لورانس ، والرسام الهولندي فان جوخ ، وراقص الباليه نيجنسكي ، إنه يختارهم نماذج ثلاثة للامتني ، يتميز كل منهم بميزات خاصة ، ينافس بها الآخرين في غريته ولائته ، ميزات في العقل والوجدان والجسد ، لقد حاولوا جميعاً أن يتغلبوا على مرض الغربة أو اللاتناء عن طريق سيطرة كل منهم على ذاته ، إلا أن سيطرتهم جميعاً على ذاتهم لم تكن كاملة ، لأن الطريق التي سلكها كل منهم لم تكن مجدية في حد ذاتها ، إذ حاول لورانس أن يسيطر على عقله فحسب ، وحاول فان جوخ السيطرة على وجدانه فقط ، واكتفى نيجنسكي بالسيطرة على إمكانات جسده وكفى .

ومن هنا كان فشلهم جميعاً في التخلص من داء الغربة ومرض اللاتناء ، فانتهى الأمر بلورانس إلى ما يسميه كولين ويلسون بالانتحار العقلي ، وقضى فان جوخ على حياته بيده ، أما نيجنسكي فكان مصيره الجنون .

ويخلص كولين ويلسون من دراسته لحياة هؤلاء الغرباء الثلاثة ، إلى أنهم جميعاً كانوا نفوساً ضائعة ، وإلى أن الإنسان المثالي هو الذي يجمع بين فكر لورانس الثاقب ، ووجدان فان جوخ الجامح ، وإدراك نيجنسكي لإمكانات جسده ، وهذا هو الإنسان ذو الأبعاد الثلاثة .

العودة إلى الإيمان

ومضي كولين ويلسون في تحليل وضعية اللامتنمي ، ف يرى أن أهم ما

يشغل بال اللامتنمي هو رغبته في ألا يكون لامتنمياً ، إنه يحرص على الانتقاء ، ولكنه لا يستطيع أن يتخلل عن كونه لامتنمياً ، وإلا كان معنى انتائه أن يكون بورجوازيًا عادياً ، يرتدي العديد من الأقنعة ، لسكي يتلاءم مع الحياة الاجتماعية المحترمة ، ومع متطلبات المدنية والتحضّر . وهذا هو ما يكرهه اللامتنمي ولا يطيقه أبداً ، بل ربما كان الموت عنده أفضل من حياة مثل هذه الحياة .

إن مشكلة اللامتنمي هي كيف ينطلق إلى الأمام ، في الوقت الذي عاد فيه كل من لورانس وفان جوخ ونيجنسكي إلى الوراء ، فاندحروا جميعاً .

وهذا معناه أن اللامتنمي ليس مجنوناً وليس مريضاً ، إنه فقط أكثر حساسية من أولئك الأشخاص المتفائلين ، وأكثر شفافية من هؤلاء الرجال صحيحي العقول . إن مشكلة اللامتنمي في جوهرها هي مشكلة الحرية ، لا الحرية السياسية بالطبع ، ولا الحرية الاجتماعية بطبيعة الحال ، وإنما الحرية بمعناها الروحي العميق ، على اعتبار أن جوهر الدين هو الخوة .

فاللامتنمي يبدأ — كما يقول كولين ويلسون — بنوع من التوترات الداخلية ، من حالة تأزم باطني ، ودوار داخلي عنيف ، ويحاول جاهداً أن يتخلص من توتره وتأزمه ودواره العنيف ، ولن يجديه في شيء الذهاب إلى طبيب نفسي ، لأنه ليس في مقدور الطبيب النفسي أن يجد حلاً لمشكلة اللامتنمي .

إن مشكلة اللامتنمي أشبه بمشكلة الصوفي الذي ينشأ في حضارة بعينها ، ولكنه لا يلبث أن يرفض قيم هذه الحضارة ، فيهرب منها ويلوذ بصومعته في الصحراء ، وبعد أن يتفكر في ذاته وفي العالم من حوله ، وفي عظمة الخالق ، نراه يعود إلى العالم من جديد ، داعياً إلى نبذ قيم الحياة المادية ، مبشراً بقيم الحياة الروحية .

وبالمثل نجد اللامتنمي يلوذ بغرفته الوحيدة ، بعيداً عن البشر ، حيث يفرق في تأملاته الذاتية ، يحلل مشاعره ، ويطلق لخواطره العنان ، ويفكر في إصلاح العالم ، فإذا قدر له أن يعرف نفسه المعرفة الكافية ، وأن يعرف بالتالي ماذا يفعل بنفسه وسط نفوس الآخرين ، اتضحت رسالته وصار صوفياً ، إلا إذا عجز عن معرفة نفسه ، وعن السيطرة على ملكاته وقدراته ، فإنه يظل لامتنمياً .

وهذا معناه أن ذلك اللامتنمي هو الإنسان الذي تشغله مشكلة طبيعة الحياة ذاتها ، ومشكلة العيشية في هذه الحياة ، ومشكلة البحث عن سبيل للخلاص ، الخلاص من مرض اللاتناء باعتباره من أخطر أمراض العصر ، وذلك عن طريق الإيمان ، أو العودة إلى الإيمان .

صحيح أنه لا يستطيع أن يقبل قول القديس أوغسطين : «إنه لكي نفهم ينبغي أن نؤمن» ، وإنما الصحيح أنه يريد أن يقيم إيمانه على أساس عقله ، وكأنما يعارض عبارة القديس أوغسطين بالعبارة

القائلة : « إنه لكي تؤمن ينبغي أن تفهم » .

ومع ذلك ، فهل يستطيع اللامنتمي أن يجد له مخرجاً من هذه الحلقة المفرغة ؟

إلا إن الجواب الذي ينتهي إليه بحث كولين ويلسون هو الجواب الديني !

الشروق من الشرق

ويحاول كولين ويلسون أن يصف لنا طريق الخلاص ، خلاص الغريب من غربته ، أو اللامنتمي في محاولته الانجاء ، وإذا كان قد أشار إلى أن هذا الخلاص لا يكون إلا بإدراك الإنسان أنه لا يتكون من عقل فقط أو وجدان فحسب أو جسد وكفى ، وإنما عليه أن يحقق الوحدة الحسية من بين هذه العناصر الثلاثة ، لكي يحيا حياة واحدة ، فإنه هنا يصف لنا السبيل إلى اندماج هذه العناصر جميعاً ، وانصهارها في بوتقة واحدة .

فعند كولين ويلسون أن اللامنتمي يلمح بصيصاً من الأمل في خلاصه الروحي ، وذلك من خلال لحظات من الكشف الصوفي أو الرؤية الإشرافية ، لحظات تتوهج فيها حواسه جميعاً وتنسجم فيها روحه مع الوجود ، ويشعر وكأنما هو والحياة شيء واحد . فيبدو له الكون آية من آيات الله ، والعالم قائم على نظام بديع محكم ، والحياة عميقة المعنى ، رائعة الغاية ، جديدة حقاً بأن تعاش .

هذه اللحظات المتوهجة ، هي التي ينبغي على اللامنتمي أن يقبض عليها بكل ما أوتي من قوة ، وألا يدعها تفلت من بين يديه ، ففي هذه اللحظات خلاصه ، وفيها خروجه من غربته ، وشفائه من داء اللانجاء ؛ بل أكثر من هذا ، على الإنسان أن ينمي في نفسه هذه الملكة النورانية ، ملكة الرؤية الصوفية أو الكشف الروحاني ، وذلك عن طريق الإرادة الحرة . فاللامنتمي هنا كالشاعر الملهم ، الذي يهبط على إلهامه دون أن ينتظر حتى يهبط إلهامه عليه ، وهذه الرؤية التي تمثل التهاب الحواس جميعاً ، فضلاً عن يقظة الوجدان ، ممكنة للجميع كما يقول الشاعر ولجم بليك ، طالما كانت نوافذ الإدراك نقية صافية .

وكما افتتحت أبواب الأعماق عند ولم بليك ، وأطل عليه هذا النور ، يمكن أن تنفتح بدورها أمام اللامنتمي ، إذا حرص على تنمية هذه الملكة في نفسه ، وتوفر له الهدوء الروحي ، وتمهياً لاستقبال هذه الرؤى الصوفية ، التي تخلع على كل الأشياء الغاية والمعنى ، فتبدو له كل ورقة من أوراق الشجر ، بل كل ذرة من ذرات التراب ، وكأنها عالماً كاملاً يبعث في داخله السعادة القصوى والفرح الذي لا ينتهي !

ويذهب كولين ويلسون إلى أن هذه الرؤى ليست سوى أمثلة على قابلية الإرادة الحرة على جعل الأشياء تحدث ، لا كما علمتنا فلسفة الغرب التي تميل إلى إخضاع الإرادة للوجود ، ولكن كما أرشدتنا إلى ذلك

بحق . . حكمة الشرق .

وهكذا تقودنا مشكلة اللامنتمي إلى الحلول التي اهتدى إليها حكماء الشرق ، بحيث يصبح المثل الأعلى عند كولين ويلسون هو الحكماء الشرقي الذي لا معنى بأكثر مما يسد رمقه ويقم أوده من المال والطعام ، ويحرص كل الحرص على الرياضة والمجاهدة حتى يحصل له الكشف والمشاهدة ، فبرى الحقيقة بنور اليقين ، وهو نور يزرعه الله في قلب المؤمن إذا اتجه بكيانه كله إلى الله .

ويختار كولين ويلسون من بين حكماء الشرق ، المتصوف الهندي الشهير «سري رامنا كريشنا» ، فيعرض لحياته ، ويشيد بحكمته ، وكيف نشأ في قرية صغيرة ، وكانت حياته تسير على وتيرة غنائية ، وكان هو نفسه كالوتر الرقيق الذي يتذبذب بالانغماس لدى أي اهتزاز ، وأمام أي جمال أو توافقه في الطبيعة ، وكان مزاجه الروحي ، أو كما يسميه كولين ويلسون ، حساسيته التخيلية دائمة التطور على امتداد حياته ، إلى أن بدأ يفكر في الله بتفكيره في التوافق ، وكيف أن ما نشاهده من توافق في الكون إنما هو آية من آيات خلق الله .

وقد أدرك رامنا كريشنا أن الهدوء يتأق في لحظات التأمل بتوجيه التفكير نحو فكرة التوافق ، ومن ثم راح ينفرد بنفسه في أماكن لا يضايقه فيها أحد ، وكان يجلس مرتباً ويحاول أن يجعل انفعالاته وعقله متعاونين لتحقيق أقصى درجة من درجات الانفصال عن العالم . وتمر الساعات وإذا به يرى أن الأشخاص والجيال والأنهار والطبيعة كلها صارت أكثر حقيقية ، وأنها وجدت لقصد وغاية ، وأن ما يشهده وما يراه إن هو إلا لحظة من لحظات الإرادة الحرة .

وكان رامنا كريشنا قد أرهقه التأمل الطويل حتى أنه لم يعد يرى هدفه ، وحتى أقدم بالفعل على محاولة الانتحار ، ولكن محاولته الانتحار كانت خطأ مفاجئاً هدد قواه الحيوية ، فأيقظت فيه الحواس ، وأهبت فيه الوجدان ، فترأت له الرؤيا ، وكانت رؤياه مثل رؤيا نيتشه على قمة التل ، إلا أنه إذا كانت رؤيا نيتشه رؤيا سلبية ، فإن رؤيا رامنا كريشنا هي الرؤيا الإيجابية ، ذلك أن خطر الموت أيقظ فيه الإرادة النائمة ، فلما استيقظت هذه الإرادة ، أضاءت له الحقيقة وقذفت في قلبه بنور اليقين .

لقد نجح رامنا كريشنا ، كما يقول كولين ويلسون ، في توجيه البواعث ذاتها ، فقبض على السيف وأراد أن يتحرر به ، وفجأة كشفت قوى الحياة عن ذاتها في نفسه ، وقالت له : « هراء ! إنك لن تموت ، انظر إلى هذه الأعمال التي أعدتها لك ، لكي تقوم بأدائها ! » وهكذا توافرت لرامنا كريشنا رؤياه الصوفية ، التي كانت إدراكاً مفاجئاً حقيقة أن الكون مليء بالحياة ، وأن هذه الحياة لا تكف عن تعزيز سطوتها على المادة ، من أجل أن تفسح الطريق أمام قوى الروح .

وهنا نرى كيف أن اللامنتمي يعرف نفسه فجأة ، وأن إدراك هذه الحقيقة يمثل الخلاص النهائي بالنسبة إلى اللامنتمي . وإذا بلغ اللامنتمي

مرحلة راما كريشنا من الإدراك الروحي ، فإنه يفقد غربته ، ويحصل على انتباهه ، ويجد الله .

وعند كولين ويلسون أن راما كريشنا ما كان يستطيع أن يصل إلى هذه المرحلة من الإدراك الروحي لله ، لو لم يحتفظ بحساسية الطفولة طيلة حياته ، أما نحن الغربيين ، وسط حضارتنا المعقدة ، فلإننا مضطرون إلى الانخراط في مزاج معين ، ومن ثم فليس تزييفاً أن نقول إن حضارتنا الغربية هي المسؤولة عن انتشار التماذج المادية في الفكر ، أما راما كريشنا الذي يقف في الطرف الآخر من قوس الطيف الحضاري ، فقد كان باستطاعته أن ينفذ إلى أعماق أعماق الإنسان ، وأن يصل إلى إدراك الله . الأمر الذي لم يستطع أن يفعله إلا عدد ضئيل جداً من الغربيين ، فيما عدا أولئك القديسين الذين ظهرُوا في العصور الوسطى .

أجل ، إنه إذا كان الغروب قد حل على الغرب ، فإن الشروق لا يكون إلا من الشرق !

النمو المتسق للإنسان

ومن الشرق بعرج كولين ويلسون على اليونان ، حيث الفكرة اليونانية وحضارة البحر المتوسط ، وحيث الاحتفال بالإنسان وأعياد البشر ، فتراه يشيد بموقف المتصوف اليوناني الحديث جورديجيف ، الذي حاول البحث عن «نظام» يستطيع اللامنتمي من خلاله أن يشق من أمراضه وأوجاعه باتباع هذا النظام ، وهو النظام الذي سماه «النمو المتسق للإنسان» ، والذي أودعه كتابه «الجميع وكل شيء» .

فعند جورج جورديجيف أن الفكر لا أهمية له في ذاته ، وإنما تكمن أهميته فيما يحققه من نتائج في الحياة ، ويتألف النظام الذي يضعه من مجموعة من التمرينات والقواعد ، التي لا يعرفها الآن سوى تلاميذ جورديجيف وأتباعه ، وأبرزهم «ب. د. أوسبنسكي» صاحب كتاب «في البحث عن المعجزات» الذي قص فيه ما حدث له حين كان يتعلم على يد جورديجيف ، هذا الذي يصفه بأنه كان بالنسبة إليه كما كان سقراط بالنسبة إلى أفلاطون .

ويبدأ جورديجيف بأشد حالات الإنسان ضلالاً وضياًعاً ، فيذهب إلى أن الإنسان غارق في هذه الضلالات والضباغات ، نائم في أحضان العديد من الأوهام . إلى الدرجة التي لا يمكننا معها أن نعتبره حياً يعيش ، وإنما هو آلة ، فاقدة الوعي ، أو أداة لا تملك شيئاً من الإرادة الحرة .

ويؤكد جورديجيف على أن البشر نائمون ، وأنهم إنما يسرون في نومهم دون أن يتوافر لهم شيء من الإدراك الحقيقي ، غير أن الإنسان يستطيع أن يستيقظ من سباته العميق ، وأن يحصل على شيء من اليقظة والحرية ، وذلك عندما يصحو على الحقيقة الأولى التي تقول بأن أولى خطوات الحصول على الحرية ، هي أن ندرك أننا لسنا أحراراً .

وعند جورديجيف أن الإنسان متى أدرك هذه الحقيقة ، يكون خلاصه

بعد ذلك ، في اتباع ما سماه نظام «النمو المتسق للإنسان» ، ويتألف هذا النظام من ثلاث طرق ، هي طريقة الفقير ، وطريقة الراهب ، وطريقة اليوجي ، وهذه الطرق الثلاث تقابل الحالات الثلاث من حالات اللامنتمي ، التي أشار إليها كولين ويلسون ، وهي التي تتم فيها محاولات السيطرة على الجسد ، والسيطرة على الوجدان ، ثم السيطرة على العقل ، إلا أن الجديد في نظام جورديجيف أنه يدعي بأن نظامه يمثل طريقة رابعة تحتوي الطرق الثلاث الأخرى .

على أن هذه الحالات الأربع ، ترتبط عند جورديجيف بدرجات الإدراك ، حيث تبدأ أولاً بالنوم ، والثانية بما سماه «الإدراك اليقظ» ، أما الثالثة فيدعوها «التذكر الذاتي» ، في حين يدعو الرابعة بالإدراك الموضوعي .

والذي يخلص إليه كولين ويلسون من شرحه وتحليله لفلسفة جورديجيف الصوفية ، هو وصفها بأنها أكمل وأكثر الفلسفات الوجودية مثالية ، بحيث يقول كولين ويلسون : إن نظام جورديجيف واللامنتمي يسعيان نحو هدف واحد .

دفعه الحياة

وهذا ما عبّر عنه جورديجيف بأبلغ تعبير وأروع ، حيناً قال في كتابه «الجميع وكل شيء» :

«الإنسان مرتبط بكل شيء في حياته ، مرتبط بالخيال ، مرتبط بحقيقته ، مرتبط بعذابه ، بل إنه مرتبط بعذابه أكبر من ارتباطه بأي شيء آخر ، ويجب عليه أن يحرر نفسه من هذه الروابط ، لأن الارتباط بالاشياء والتخيل بها ، يفسح المجال لظهور ألف «أنا» في الإنسان ، ويجب على هذه «الأنا» الكثيرة أن تموت لكي تولد «الأنا» الكبيرة» .

ويخلص كولين ويلسون من هذا كله إلى الهجوم العنيف على موقف الإنسانيين والعلماء والمناطق ، أولئك الذين يهتمون معرفة أنفسهم ولا يهتمون بالجواهر الديني ، الذي هو جوهر الخلاص بالنسبة إلى اللامنتمي .

وهنا نراه يشيد بالكتاب الإنجليزي برنارد شو لإدراكه أهمية الإرادة ، وتأكيده على فكرة دفعه الحياة ، وسيطرة الروح على المادة ، والعقل على الغريزة ، فلإننا نجد - كما يقول كولين ويلسون - عند برنارد شو كما نجد عند جورديجيف إدراكاً للمجهود العظيم الذي تقوم به الإرادة الحرة ، من أجل التعبير حتى عن أقل ما يمكن من الحرية !

وهو يجعل من برنارد شو عملاقاً من عمالقة الفكر الإنساني ، ويضعه إلى جوار بسكال والقديس أوغسطين وسائر الفلاسفة ، أولئك الذين لم ينقذ آراءهم من التشاؤمية إلا إدراكهم الصوفي لإمكانات الإرادة الحرة ، الخالصة من العادة الآلية ، أو التعود الآلي على شؤون الحياة . فعند هؤلاء جميعاً أن أقوى الحقائق العقلية المطلقة ،

لا تعود صحيحة إلا حين تسندها حقيقة دينية ، وفي ذات الوقت لا يمكن للحقيقة الدينية أن توجد بعيدة عن العقل ، أو بعيدة عن الجهود الذاتي الذي يحاول الوصول إلى هذه الحقيقة .

وعندما يسأل سائل : « أين تذهب الروح بعد الموت ؟ » يجيبه كولن ويلسون قائلاً : « لا حاجة بها إلى أن تذهب إلى أي مكان ، لأن الجنة والجحيم يملآن هذا الكون بصورة عادلة ! » .

الطريق .. طريق الإيمان

وهكذا نجد كولن ويلسون في ختام بحثه عن السلامة ، وعن الحلول التي تضع حداً لمسألة اللاتناء في عصرنا الحاضر ، وهو ما عبّر عنه صراحة بقوله : « لست أهدف إلى إيجاد حل نهائي كامل لمشاكل اللاتنتمي ، وإنما إلى الإشارة إلى أن هنالك حلولاً تقليدية أو محاولات بذلت من أجل الوصول إلى تلك الحلول » .

نجد في ختام هذا كله ، يعلن في « المانيتسو » أو التصريح الذي أصدره الأدباء الغاضبون في إنجلترا ، أن واجب الكاتب يحتم عليه أن يحمل سلاحه ليحارب النزعة المادية المتفشية في حضارة العصر ، وأن يهيب بكل قوى القيم والروح أن تعمل على تثبيت دعائم الإيمان ، كما يعلن في هذا التصريح أنه يقف في صف واحد مع الفلاسفة الوجوديين المؤمنين بالدين في وجه المادية والإلحاد ، وأنه لا سبيل إلى خروج الإنسانية من وعكتها ومحنتها وإحساسها بخواء الحياة إلا عن طريق الإيمان .

هذا الإيمان هو الذي يساعد إنسان هذه الحضارة على محاربة الإحساس بعيشة الحياة ، وعلى الاعتقاد بأن الحياة لا تخلو من القصد والغاية ، وأن الحياة إنما تقصد إلى العلو والتسامي ، وتتغيا إدراك حقيقة الله .

إن اللاتنتمي الذي ظل قرابة قرن كامل من الزمان ، يلوح بالطريقة دون أن يدرك ماذا كان يفعل ، ولا ما الذي كان ينبغي عليه أن يفعله ، قد وضع كلتا يديه على حقيقة كونه لامتتياً ، وأن الحياة لا تحتل كثيراً أمثاله من اللاتنتمين ، وإلا كان ماله إما الموت أو الجنون .

وربما كان أروع ما في كولن ويلسون هذا الفيلسوف الشاب ، الذي يتميز بسعة اطلاعه ورحابة معرفته ، كما يتميز بجديته وجرأته في تناول قضايا الأدب والفكر والحياة ، هو نظرته إلى الحياة ذاتها على أنها مشكلة كبرى ، وأن الإنسان ينبغي أن يدرك عمق هذه المشكلة ، وأن يجند كل قواه لحلها الحل السعيد ، الذي يمكنه من التوافق مع الحياة ، والتكيف مع المجتمع .

من هنا كانت نظرة كولن ويلسون إلى الفكر على أنه ربيب الحياة ،

ولا يمكن للكاتب المعاصر ، أن يعزل منهج الفكر عن مضمون الحياة ، فالفكر النظري الخالص ، نشاط ذهني أجوف ، كبيت العنكبوت الذي يعجب الناظر بما فيه من دقة الصنعة وبراعة الصانع ، دون أن تكون له أية فائدة ، فهو بيت في مهب الريح ، لا يقوى على الصمود أمام عاصير الحياة .

ومن هنا أيضاً كانت نظرة كولن ويلسون إلى الفكر المعاصر ، ومدى مسؤوليته بإزاء قضايا المجتمع ومشكلات العصر ، فهو قرن الاستشعار بالنسبة لهذه القضايا وتلك المشكلات ، عليه أن يشخصها وعليه أن يكتب « روشة » العلاج . وعلى ذلك فهو لا يسوي بين الأدب وبين الجمال ، وإنما يعتبر الأدب وسيلة يوضح بها الأديب مشكلاته في الحياة ، وسيلة تمكنه من أن يجي حياة أكثر ثراءً وغنى .

أجل إن كتابات كولن ويلسون وأفكاره ، لا تكن قيمتها فيما تنطوي عليه من جدية وعمق ، ولكن في كونها صرخة من صرخات هذا العصر ، صرخة يطلقها هذا الفيلسوف الشاب في وجه المفاهيم العلمية الجامدة ، والتقاليد الخاملة ، وهي في ذات الوقت دعوة مغلصة إلى الاهتمام بالقيم الروحية في هذا العصر .

نعم ، « إن إعطاء الحل الأول للإرادة ، يمثل طريقة أخرى لإعلان أن الحياة هي عمل من أعمال الإيمان ! » .

وإذا كانت الحياة عملاً من أعمال الإيمان ، وسأل سائل : « في أي شيء هي عمل من أعمال الإيمان ؟ » كانت الإجابة : « في الحياة نفسها ! » .

هذا كله ولكثير غيره لم يكن الناقد الإنجليزي فيليب توينبي مغالباً ، عندما وصف كتاب الغريب أو اللاتنتمي لكولن ويلسون بأنه قد أضاف إضافة حقيقية إلى فهمنا للمشكلات الروحية العميقة في القرن العشرين .

وحقاً كان هذا الكتاب « دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في هذا العصر ! » .

المراجع

- ١ - أنيس منصور : « وداعاً أيها الملل » ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- ٢ - د . رمسيس عوض : « في الرواية الإنجليزية المعاصرة » ، دار المعارف بمصر .
- ٣ - د . فؤاد زكريا : « آراء نقدية في مشكلات النفاة » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٤ - كولن ويلسون : « اللاتنتمي » ، ترجمة : أنيس زكي حسن ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٥ - د . مصطفى بدوي : « دراسات في الشعر والمسرح » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية) .



★ من قبل الحكمة من التوبة، سكنت لرفصات، وملابس توبية لعمد عبد الحفي "و العبيد" ★

ما هو دور الفن في عصر التكنولوجيا؟

لقد اتخذ النصف الثاني من هذا القرن طابعاً علمياً، حتى عرف بأنه عصر التكنولوجيا. بما حققه من إنجازات وكشوف في الطاقة، والفضاء، والذرة.. إلخ. وينظر بعض السيكولوجيين إلى أثر الحضارة التكنولوجية على العقلية الإنسانية نظرة تخوف بل ذعر، إذ لا يبدو لهم منها إلا الجانب المخرب، ويرون أنه لا وسيلة لإنقاذ البشرية إلا بشحنة كبيرة من العواطف الإنسانية، ولكنهم متشائمون حول مصير الجيل الحالي، ويتطلعون إلى إنقاذ الأجيال القادمة، فقد غدا الإنسان المعاصر من خلال لقائه اليومي بآلاف الظواهر التكنولوجية خاضعاً لسيطرتها، وتحكمها، في حين يتصور أنه يتحكم فيها.

التربية الجمالية

في عصر التكنولوجيا

بملم : فوزي سليمان

فالمعلم العلمي والتكنولوجي كعمل فيه ابداع وابتكار يحتاج إلى الخيال، والمعرفة الفنية يحتاج إليها صاحب المعرفة العلمية والمنطقية، مهما كانت مهنته. ويقول هؤلاء إن العلم يتجه إلى الفن، والعالم المثقف الواعي يقوم الفن قدرة إبداعية أقوى، ونحسب أعمق بمشاكل

ولكن هناك - على الجانب الآخر - من يقول إن التكنولوجيا ليست إلا من ابتدع الإنسان، بسخرها لخدمة أغراضه، وللمعلم من أجل نفعه، وأن مقاومتها تعني الانتحار.. ويؤكد هؤلاء دور التكنولوجيا في خدمة الحياة الروحية للإنسان من خلال مخترعاته مثل السيما والتلفزيون، فإن هاتين الوصلتين تستطيعان أن تقدموا الزاد الروحي للإنسان المعاصر من خلال برامجها عن الفن.. والفن نفسه يحتاج إليه التكنولوجيا.



★ ثلاثيات سورية للفران دعت احمد ★

عصره ، تتيح له قدرة على علاجها ، فهو - مثلاً - أكثر وعياً بمخاطر الطاقة الذرية ، أو تلوث البيئة وغيرها من المشاكل التي تعرض بها التكنولوجيا علمنا .

أهمية التربية الجمالية

« من هنا كان الاهتمام بالفرس التي تميز الحضارة ، عصر التكنولوجيا ، فالتربية الجمالية الواعي بقيمة الفن - ذلك التراث العظيم الذي خلفته أجيال متلاحقة في تطور البشرية - يكاد يكون أكثر إيجابية في الإسهام الفعّال لخدمة مواطنيه والإنسانية عامة ، والتصدي للسلبات في بيئته وفي العالم .

وقد وجد أن السينما - وبالتالي التلفزيون كل بخصائصه - يستطيع أن يقوم بدور كبير في نشر التربية الجمالية ، وكل منها من مستحدثات العلم والتكنولوجيا .

ولكن .. لماذا السينما والتلفزيون ؟

.. ليس هناك الكتاب ، والمتحف ، والمسرح ، وقاعات العرض ،

وغيرها من الوسائل ؟

إن الشائنة في مقدارها أن تقدم لك كل الفنون والمعارف - كبيرة كانت أم صغيرة - وهي تستطيع أن تحضر كل أشكال الفن إلى أعداد ضخمة من المشاهدين . وتتملك الشاشة إمكانات عالية وفريدة للتأثير على مشاعر المشاهدين . كما أن الثقافة البصرية الموجهة للجهاير من خلال الشاشة تجعل الناس أكثر نقبلاً لأشكال أخرى من الفن .

وأذكر هنا - كمثال - برنامج المسرح ، أو الموسيقى أو الفن التشكيلي ، الذي يقدم على شاشنة التلفزيون ، من المؤكد أن هذه البرامج قد ساعدت على توسيع رقعة متذوقي هذه الفنون وتقريبها إلى الناس العاديين ، بعد أن كانت بعيدة عنهم أو « مترفعة » عليهم من قبل .

فيلم الفن وليس الفيلم الروائي

وحيثما نتحدث عن فن الفيلم ، فإن التفكير يتصرف عادة إلى الفيلم الروائي - ولا شك أن الأعمال الروائية العظيمة ، تعتبر وسيلة للتربية الجمالية ، لكنها قليلة نوعاً . وإذا كرس فيلم روائي حياة رجل من رجال الفن ، رسماً أو مثلاً أو موسيقياً - وهذا أيضاً نوع قليل العدد - فإنه يركز على الأحداث حول الشخصية لا على أعماله الفنية ، مما يقلل من قيمة الفن الأصلي الذي يصل إلى المشاهد ، علاوة على غاظر قيام ممثل معين بتمثيل دور الفنان ، فغالباً تحجب شهرته أهمية العمل الفني .

هذا فنحن نغصده بفيلم الفن ، الفيلم غير الروائي ، الفيلم الذي يستغل كل الوسائل الممكنة لوسائل التعبير المتاحة لتقديم جوهر الفن . والفيلم هنا ليس مجرد نسخ للعمل الفني ، بل يكشف عن أبعاده ، ويعطي له حياة جديدة ، ويفسر فلسفته . إنما فيلم الفن يجب أن يكون هو نفسه عملاً فنياً ، زائراً بالمشاعر الإنسانية التي تهز نفوس المشاهدين ، وتجعل من العمل الفني شيئاً عزيزاً ومثيراً ومفهوماً وهاماً بالنسبة لهم ، يثير فيهم الإحساس العميق بقيمة الفن ، وينمي فيهم مثاليات جمالية وأخلاقية يعملون على تطبيقها في الحياة .

إن إمكانات الشاشة الضخمة تتيح لنا أن نزور أعظم متاحف العالم ، وأهم مراكز الفن ، وأن نعيش كبار الفنانين العالميين من غير أن نترك بيوتنا . إن النهضة العلمية والتكنولوجية تقرب إلينا روائع الفن العالمي في مختلف أشكاله وأساليبه ، تدلف بنا إلى أعماق التاريخ ، وأسرار الماضي ، تكشف وتخلل ، وتجيب عن تساؤلاتنا ، وتنبع صموحنا إلى المعرفة ، وترفع من مستوى التربية الجمالية للشعوب ، وتثبت معنى التفاهم بينهم ، كما أنها تستطيع أن توصل عن طريق أفلام الفن مختلف

هل يصح الفن في عصر التكنولوجيا

إن العلم يتجه إلى الفن والعالم الواعي

المعارف والعلوم الإنسانية . ومن هنا يرتفع صوت بعض المربين بإدخال مادة الفن ، واستخدام أفلام الفن في المدرسة لا خارجها فقط .

التربية الفنية .. أيضاً !

يقسم البعض أشكال أفلام الفن إلى أفلام تتناول فناناً واحداً ، وأفلاماً تختص فترة زمنية معينة ، وأفلاماً تتناول مجموعات فنية من مختلف الأنواع ، كما في فيلم عن متحف اللوفر ، أو قصور آل هابسبورج في فيينا ، أو قصور حكام فلورنسا أو روما بما فيها من رسوم ونحت وأثاث ، وأسلحة ، وجواهر .. الخ .

وهناك من ينسب إلى أفلام عن مذاهب معينة ، أو هي نفسها لها اتجاهات معينة ، فهناك أفلام سوربالية تتناول موضوعها بطريقة خاصة ساخرة أحياناً قد يعترض عليها البعض لما تحده من تشويه في العمل الأصلي ، فهي إذن لا تستخدم العمل الفني ، وهناك أفلام شاعرية غالباً تأثيرة Impressionistic .

على أي حال فإن كلاً من فنان الفيلم : كاتب السيناريو ، والمخرج ، والمصور ، يحاول أن يبدع له صورة تعبر عن رؤيته للواقع ، يقدم بها قيمة جمالية تثير الموضوع بعناصره لكن في خاطر الفنان الأصلي ، وذلك بفضل تكنولوجيا



★ «الليلة» لوحة زيتية لنفيسة درجوسيون ★

١- أم أن التكنولوجيا يمكن أن تكون في خدمة الحياة الروحية للإنسان ؟ حي المثقف يقدم للفن فدرية إبداعية أقوى ، وتحسباً أعظم بمشكلات عصره .

الفن . لكن - لا نك - أن المخرج يظل هو الفنان المسؤول عن تكامل العمل الفني .

أفلام عن فنان واحد وأعماله

وفي مثل هذا النوع يختلف تناول الفنان ، فقد يحاول أن ينقل إلينا حياته من خلال أعماله ، أو أعماله من خلال مراحل حياته وتطورها ، أو يمزج بين هذا وذلك . وقد يحاول أن يربط هذه الأعمال الفنية بالأحداث الاجتماعية والسياسية لبلده . وفي كل حالة تختلف نظرنا إلى الفيلم .

مثلاً قسم سعد نديم فيلمه عن «راغب عياد» إلى ثلاثة أقسام تبعاً للمراحل الثلاث التي اجتازها هذا الفنان مبتدئاً بالحياة في الريف المصري ، ثم الحياة الشعبية ، ثم الحياة في الصحراء . . وفي كل هذه المراحل كان دائماً مرتبطاً ببيئته ، سواء في الريف أو المدينة أو الصحراء .

وفي فيلمه عن «الفنان أنور عبد المولى» ربط المخرج بين أعمال الفنان والأحداث والظروف التي مرت بها بلاده ، كما في تعبيره عن الحرب ومخاطرها في تحته للام وهي تحمل طفلها وتهرب فرقة أثناء غارة جوية خلال الحرب العالمية الثانية . وعن طريق الإضاءة وتحريك (الكاميرا) يقدم الفيلم رؤيته ، محاولاً أن يستشف المعاني التي قصدها الفنان ، ومن هنا لا بد أن يقوم بتعمق حياته والجو الذي عاش فيه .

فنان رائد

وقد أثرت نفساً آخر لأفلام الفن ، وصلت إليه من خلال نقاش لأعمال المخرج المصري سعد نديم في نطاق أفلام الفن . وأركز على أفلام سعد نديم - أساساً -

لأنني وجدت في استعراض لمجموعة أفلام الفن التي أنتجت في مصر في السنوات بين ١٩٥٧ و ١٩٧٦ م ، أن هذا الفنان يستأثر بإخراج وإنتاج الغالبية العظمى من هذه الأفلام ، من خلال أعماله الفردية ومن خلال موقعه كمدير للمركز القومي للأفلام التسجيلية التابع لوزارة الثقافة . وقد تم إنتاج ٤٥ فيلماً من أفلام الفن في هذه

الفرة ، وهو عدد غير كبير لكنه دلالة - على أي حال - على الاهتمام بهذه النوعية من الأفلام حتى تحفز رسالتها في التربية الخيالية للناس . ومثل هذه الأفلام تهتم بها كل الدول المتحضرة ، وتقام لها المهرجانات الدولية الخاصة ، وتعقد لها منظمة اليونسكو المؤتمرات والندوات الدولية .



★ «أبو سبل الشرق» من أعمال الفنان نظير اليرير ★

● إن النهضة العلمية والتكنولوجية تُقَرِّب إلينا روائع الفن العالمي في مختلف أشكال

● التربية الجمالية وسيلة فعالة في

لقد شاهدنا أفلاماً من هذا النوع لم يوفق فيها أصحابها ، بسبب زحمة الأعمال الفنية المختلفة ، فلم تَفِ إلا بالغرض الإعلامي أو الإخباري ، وانتفت عنها القيمة الفنية . أما بالنسبة لفنان دارس ومتدرب للفن التشكيلي مثل سعد نديم ، فقد حالفه التوفيق وقدم لنا فيلماً ، عرض فيه لكل فنان بطابعه المميز ، فقد فضى وقتاً كافياً لدراسة كل فنان ، في محاولة لتلخيصه ، وإبراز النقطة الرئيسية في عمله ، وهي بلا شك عملية مجهدة تحتاج لصبر وثقافة فنية بعينان على التعمق وتكثيف كل فنان في دقيقة واحدة معبرة .

أفلام عن أعمال لعدة فنانين في موضوع واحد

وهو نوع معهود حيث يشترك عدد من الفنانين - أو يجمع المخرج بين أعمال عدد من الفنانين - في التعبير عن موضوع معين ، فني أو سياسي . وقد شاهدنا في كثير من مهرجانات السينما الدولية أفلاماً من هذا النوع حول قضايا الحرب أو السلام ، استغلت في التعبير عن اللوحات الفنية لعدد من الفنانين من بلد واحد أو من عدة بلاد .

ويحضرني هنا فيلم عن ستة فنانين مصريين يعبر كل منهم عن كيفية تناولها لموضوع المرأة في لوحاته ، كل بأسلوبه الخاص . وخرج لنا فيلم «حواء في أعمال

هكذا فعل سعد نديم في أفلامه عن الفنانين الذين نعرض لهم ، وهكذا فعل ولي الدين سامح في فيلمه عن «المثال مختار» ، حيث أبرز العلاقة بين الفنان والقرية ، وإحسان فرغل في فيلمه عن «الفنان ناجي» ، الذي أبرز فيه تعبير محمد ناجي عن الحياة في بلاده ، وهذا ما نلمسه أيضاً في فيلم أحمد كامل مرسي عن «محمود سعيد» ، حيث عرض حياته من خلال أعماله ، وأثر البيئة في فنه ، أو في فيلمه عن «يوسف كامل» الذي حلل فيه أعماله وعلاقتها بالبيئة حوله .

أفلام عن مجموعة من الفنانين في موضوعات شتى

ونقدم هنا مثالا لفيلم سعد نديم عن «الفن المصري المعاصر» . . أو «التفرغ في التصوير والنحت» وهو عن أعمال مجموعة من الفنانين اختارهم الدولة لمنحة التفرغ لماضيهم الفني أو لما ينتظرهم من مستقبل ، فبعضهم سنة أو أكثر ، مستريح البال في مرسمهم . وقد أقامت وزارة الثقافة معرضاً لفناني الشرع هؤلاء وعددهم عشرون . عشرة من الكبار وعشرة من الشباب . .

كيف يستطيع فيلم أن يجمع أعمال عشرين فناناً ، كل منهم له طابعه ، في عدد محدود من الدقائق ؟

ويتخذ المخرج أحمد فؤاد درويش من أعمال الفنانين الفلسطينيين إسماعيل شموط، وتامم الأكحل في الرسم، ومصطفى الحلاج في النحت، موضوعاً لفيلمه «وجوه من القدس»، الذي كان وسيلة للدعوة للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية. وكان هذا أيضاً هدف المخرج أنسور الشافعي في فيلمه «فلسطين» الذي دعا للقضية من خلال رسوم في معرض عن فلسطين بصور الكفاح ويؤكد حقوق الفلسطينيين المشروعة.

أفلام عن عمل فني واحد

وهذا أصعب الأنواع لأن الفنان السينمائي يحرص نفسه بنفسه في إطار لوحة فنية واحدة أو عمل فني معين يحاول عن طريقه أن يعبر عما فصحده الفنان. ومن أشهر أفلام هذا النوع فيلم فرنسي اقصر موضوعه على ملعقة واحدة في شكل فنانة نائمة، يبرع الفنان الفرنسي في تصويرها من مختلف جوانبها مستغلاً كل إمكانيات الضوء واللون ويذكر محبو الفن لوحة جورنيكا المشهورة للفنان الشهير بابلو بيكاسو. وهي لوحة واحدة ولكنها مشحونة بالشاهد المعبرة. ولعل أقرب مثال عربي لما لوحة للفنانة تحية حلم تمثل صبياً صغيراً بصرخ ويدها مرتفعتان إلى أعلى. وهي تصلح لفيلم سينمائي قائم بذاته، لم يتح له أن يتحقق!

ولكن فيلماً آخر تحقّق — على يد سعد نديم — عن لوحة واحدة للفنان محمد راتب صديق باسم «في موكب السلام» أراد فيها الفنان أن يعبر عن إحساسه بالرغبة العارمة في السلام رغم كل التضحيات والآلام في سبيل هذا الأمل المشهود. وجاء تعبيره مستمداً من عالمه الخاص الذي تغلب عليه قصص الكتب المقدسة. فصور موكباً كبيراً من النساء ليس له أول ولا آخر... كلهن فلاحات كما يبدو من رهن الغامق، وبعضهن يحمل أطفالاً... والجميع ينظرون إلى أعلى... وأيديهم ترتفع في نفس الاتجاه؛ في حين أن الأقدام أسفل اللوحة تتحرك بما يوحي بموكب يسير قدماً. وكل الوجوه تعبر عن الأسى والخزن، فقد دفعت ولا تزال تدفع الثمن في سبيل السلام.

ولقد استمتعا باللوحة كما استمتعا بالفيلم الذي تحركت فيه الكاميرا — بحساسية — بين أجزاء اللوحة المختلفة، بحيث نحس — نحن المشاهدون — بتحريك الموكب إلى الأمام فيما هو محصور وجامد داخل اللوحة.

ولا يعني هذا التقسيم الذي أقرناه لأفلام الفن، أن ننحصر داخل إطار جامد لا نحجّج عنه. فهناك أيضاً في نطاق أفلام الفن، للفنان سعد نديم — أيضاً — يمكن أن تندرج أفلامه عن الأنار المصرية، وعن الفنون الشعبية، فقد أخرج أفلاماً عديدة عن الكشوف الأثرية في الجزيرة وسفارة، وعن معابد ادفو وكوم امبو وأسوان والأفصر، وأخرج — أخيراً — أكثر من فيلم عن مراحل إنقاذ معابد فيله، عرضت في المحافل الدولية نائياً لدور النضامين العالمي — عن طريق هيئة اليونسكو — في إنقاذ هذا التراث الإنساني. وفي الفنون الشعبية أخرج أفلاماً — لحساب التلفزيون العربي — عن الصناعات الشعبية في الجلود والذهب والنحاس والزجاج والفخار. ولا بد من الإشارة إلى أفلام الأخوين عبد القادر التلمساني — مخرجاً — وحسن التلمساني — مصوراً — عن الفن العربي والإسلامي في فيلمهما «زخارف عربية» و«فن الخط العربي»، وعن الفن التلقائي بقرية الخرابية في فيلم «ستوديو الفن في القرية». وكذا فيلمهما عن رسوم فنان الحملة الفرنسية في كتاب «وصف مصر».

وبعد التلمسانية حالياً لفيلم تسجيلي كبير عن الحضارة والفنون الإسلامية بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على التاريخ الهجري. وبداية القرن الخامس عشر الهجري. ومثل هذه الأفلام التي أشرنا إليها وغيرها، تقوم كوسيلة فعالة في التربية الجمالية، ونقل الثقافة المعاصرة إلى الشعب عن طريق الصورة المشوقة، من أجل إحضار مشاعره، وإثراء وجدانه، وإشباع حاجاته النفسية، والروحية، فليس بالتكنولوجيا وحدها يعيش إنسان هذا العصر.



هـ وأساليبه، وترفع من مستوى التربية الجمالية للشعب لثقافة المعاصرة إلى الشعب

الفنانين، نموذجاً طياً لموضوع واحد من وجهة نظر أكثر من فنان، وهو من إخراج سيده هي منى مجاهد.

وكان فيلم «حكايات من النوبة» لسعد نديم أول فيلم يعتمد على اللوحات الفنية (سنة ١٩٦٣ م). وقد تناول موضوع النوبة بعدائها وتفاليدها كما عبر عنه مجموعة من الفنانين زاروا النوبة قبل أن تغرقها مياه السد العالي! وأخذ المخرج (٤٠٠) صورة للوحات الفنانين، ثم اختار منها مائتين، نسج منها السيناريو المطلوب، معتمداً على حركة الكاميرا، حتى تكونت من مجموعة الصور قصة نروي عادات النوبيين في الزواج وفي الموالد على نغمات الحركات الراقصة.

وأذكر فيلماً شاهدته في أحد المهرجانات الدولية، وهو فيلم عربي فلسطيني باسم «شهادة الأطفال الفلسطينيين في زمن الحرب» صر فيه مخرجه «قيس الزبيدي» مجموعة من رسومات الأطفال الفلسطينيين في بعض مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بلبان. نعر عن تحيلهم لوطنهم الذي تركوه ولم يروه بالعين، وعن حياتهم في المخيمات، وعن الكفاح الفلسطيني من أجل التحرير... وزاد المخرج على لوحات الأطفال بتصويرهم — أي الأطفال — وهم يرمون... وهم يلعبون بين المخيمات. ونفس هذه الفكرة كانت موضوع الفيلم اللبناني «متناثرون مع الرياح» إخراج جاك ميدفو. وقد وجدت أن الأفلام عن الأطفال وعن رسومهم وسيلة نستطيع أن نؤثر في الرأي العام العالمي بإنسانيتها.

نتيجة مسابقة أرامكو للأطفال في الرسم والتصميم

هرفح اخيار لجنة التحكيم على إحدى وأربعين لوحة (بزيادة إحدى عشرة لوحة عما أعلن سابقاً) من بين مايزيد على ألف وثلاثمائة لوحة من الرسوم الجيدة التي تشتمل عن الكثير من الأصالة والابتكار. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار. وقد تم الاتصال برقياً بأصحاب اللوحات المختارة، كما تم تسليم معظم الجوائز.

من أجل ذلك فإنه يطيب لإدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللاستاذة والمسؤولين في المدارس في جميع أرجاء المملكة لمساهمتهم في نجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا المظهر الجيد. كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعمل عنها في بداية العام الدراسي القادم . واسه ولي التوفيق.



فيما يلي
أسماء
أصحاب اللوحات
التي اختارتها
اللجنة



الاسم المدرسة

مدرسة أشبيلية المتوسطة بأخبر
مدرسة صلاح الدين المتوسطة ببريدة
مدرسة أبي بكر الصديق الابتدائية بمكة المكرمة
مدرسة الجاحظ الابتدائية بالطائف
مدرسة فيس بن عاصم الابتدائية بالطائف
مدرسة ابن خلدون الابتدائية بسيهات
مدرسة الفيصل المتوسطة بالدمام
المدرسة المتوسطة الثانية للبنات بأخبر
المدرسة الأولى للبنات بالقصيف
مدرسة البنات بكتيف - بيشة
مدرسة الأبناء الابتدائية بالرياض
مدرسة منارة الرياض بالرياض
معهد الزينة الفكرية للبنات بالدمام
مدرسة مكة المكرمة المتوسطة بالرياض
متوسطة الفرعين بخميس مشيط
المدرسة السادسة عشر الابتدائية بالمدينة المنورة
مدرسة الإمام المتوسطة بالدمام
مدرسة أم الحمام المتوسطة بالقصيف
مدرسة متوسطة ابن الرومي بالرياض
مدرسة ابن القيم الابتدائية بجدة
مدرسة بلال بن رباح الابتدائية بنبولث
مدرسة الفتح للبنات بجدة
مدرسة الخوخية المتوسطة بسيهات
مدرسة خالد بن الوليد الابتدائية بالطائف
مدرسة الدمام المتوسطة للبنين بالدمام
مدرسة الهدى المتوسطة بالدمام
مدرسة متوسطة العليا بالرياض

الاسم

أحمد محمد البكري داود
أسامة أحمد عبد الحميد دياب
أيمن عبد الرحيم ميمحي
حسام محمد رشاد هندان
حسان عبد الرحمن محمد صالح
حسين عبد الرحيم حسين النضر
جمال عبد الله الهويشل
جميلة عامر محمد محمد الصعيري
حميدة منصور السنان
داليا محمد أبو اليزيد محمود
رشا أحمد قاسم بيشة
رشا عبد الرحيم مراد
سعاد الجريدات
سعد عبد الله الهويمل
سعيد حسين القحطاني
صفية أمير حسين محمد
عادل علي مريزق الحربي
عبد الجليل شبيب بدر الشبيب
عبد الرحمن إبراهيم الرحيمي
عبد الرحمن صالح عبد العزيز الفج
عبد الله جابر الهندي
علوي جمعان باتيس
علي عبد الرحيم حسين النضر
فنيصل ظافر محمد العمري
ماجد عثمان فهد العبد الله
مازن محمد صالح المغلوث
ماهر عبد الرحمن العبد الكريم

الاسم المدرسة

مدرسة الأندلس بسيهات
مدرسة زيد بن حارثة الابتدائية ببقيق
مدرسة المتوسطة الخوخية بأخبر
المدرسة العنونة الابتدائية للبنات ببريدة
أرامكو - الظهران
المدرسة الثانوية السادسة بجدة
المدرسة المتوسطة بالدمام
مدارس الرياض الأهلية بالرياض
مدرسة الدمام المتوسطة بالدمام
مدرسة السادسة والعشرون للبنات بالرياض
مدرسة الملك فيصل الابتدائية للبنين بجدة
مدرسة المتوسطة النموذجية بالخبر
مدارس الرياض الأهلية بالرياض
مدرسة الوفاق الابتدائية بالرياض

محمد عبد الجليل علي الرميح
محمد علي محمد اليامي
محمد وأثل أحمد البنا في
مروة أحمد دنياب
مي سالم مبارك الدوسري
نانسي سعيد عطية
نبيل أحمد بولشيت
نوف حمد العبدلي
هشام محمد عبد رجب
هويدا محمد أبو سبعة
هيثم طالب الملاوي
ياسر أحمد نزار الباي
ياسمين فيصل محمد عناف
يحيى صالح محمد علي





بقلم : الفريق يحيى عبد الله المعالي

ابراهيم بن العباس الصوري

الأديب الشاعر

أشخاص الرواية (تعلب).

المنظر

(إبراهيم الصولي - جعفر
ابن رفعة المغني - الخليفة
المتوكل - أبو العنقاء -
حاجب - أحمد بن يحيى
وعنده جعفر بن رفعة المغني).

جعفر : إيه يا إبراهيم لماذا أرسلت في طلبي؟
إبراهيم : لقد أرسلت في طلبك يا جعفر لاسمعك بيتين قلتها في أمير
المؤمنين المتوكل على الله .
جعفر : وما هما يا ابن العباس ؟
إبراهيم : اسمعهما يا ابن رفعة وإذا ذهبنا إلى أمير المؤمنين فغنمها بين
يديه .

جعفر : سأفعل .
إبراهيم : هذان هما البيتان :
ما واحد من واحد أولى بفضل أو مروة
ممن أبوه وجده بين الخلافة والنبوة
جعفر : إن هذين البيتين جميلان وسيسر بهما المتوكل
كثيراً .

إبراهيم : إنه ليسرني أن أسمع هذا الرأي منك فإنك لناقد ومتقن .
جعفر : أرجو أن تسمح لي أن أسالك عن تلقيت الشعر
والأدب .

إبراهيم : لعلك تنكر ذلك لأن جدنا صول كان تركياً وكان يحكم
ولاية جرجان ، وقد دخل في الإسلام على يد يزيد بن المهلب لما فتح
جرجان وأصبح من رجال يزيد .

جعفر : نعم فهذا ما يدعو إلى الاستغراب .
إبراهيم : لك الحق ولكن جدّي محمد بن صول كان من رجال



الذي دعا عبسني ، ولعنني ، وكان يحكي أبا عمارة ، وقد قتل في "الفنن" التي قامت بين عبد الله بن علي بن عباس وابن أخيه إلى جعفر المنصور .
جعفر : ولكن هذا لا يكفي لتكوين عروبتك أنت وأخوك عبد الله .

إبراهيم : انتظر حتى أكمل لك الموضوع .

جعفر : قل فإنني مصغ إليك .

إبراهيم : لقد تزوج أبي : العباس بن محمد بن صول أخت العباس ابن الأحنف ، وهو كما نعلم شاعر رفيق الحاشية جيد الشعر ، وكانت أخته أمة ضليعة في اللغة والأدب وإن لم تكن شاعرة مثل أخيها فمن هنا اقتبسنا الشعر والأدب .

جعفر : الآن عرفت السر ولقد أعجبني أسلوبك في نقد الشعر .

إبراهيم : ماذا أعجبك فيه ؟

جعفر : إنك تقول القصيدة ثم تنقح أبياتها فتسقط منها

لما لم تره ربيلا ثم سئمت منها ما تراه أقل جودة ، وتسقط ما سبقك الشعراء إليه من معاني ، ثم لا تبقي من القصيدة إلا بيتاً أو بيتين .

إبراهيم : نعم ولذلك فإنه لا يروى لي من الشعر إلا البيت أو البيتان .

جعفر : هل تحرص على قول الشعر ؟

إبراهيم : إني كاتب أديب ولا أزعم أنني شاعر ولكن قد بفع لي بعض الشعر مصادفة أثناء كتابتي بعض الرسائل .

جعفر : اذكر لي نموذجاً من ذلك .

إبراهيم : كتبت مرة رسالة إلى أحد أصدقائي فلت فيها :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغرب

ولم أكن أفصد أن أنظم ذلك شعراً ولكنه أصبح بيتاً مستقيم الوزن .

جعفر : إذن فدعبل الخزاعي الشاعر على حق إذ يقول :

لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء .

إبراهيم : ما الذي سمع من شعري حتى قال ما قال ؟

جعفر : لقد أنشدته قولك :

إن امرأ ضن بمعروفه عني لمبذول له عذري

ما أنا بالراغب في عرفه إن كان لا يرغب في شكري

إبراهيم : إني لأشكره على حسن ظنه .

جعفر : ولقد قرأت لك رسالة تشفع فيها لبعض

أصدقائك وتقول فيها : إن فلاناً ممن بزركو شكره وبحسن ذكره

وبعني أمره ، والصنيعة عنده واجدة موضعها وسالكة به طريقها :

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى

إصابة شكر لم يضع معه أجسر

إبراهيم : إن العبارة الأخيرة في هذه الرسالة بيت شعر ولكنني لم

أقصد نظمه وإنما ورد عفواً على لساني فجرى به قلبي .

جعفر : حقاً إنك لشاعر مطبوع ولو تقصدت نظم الشعر

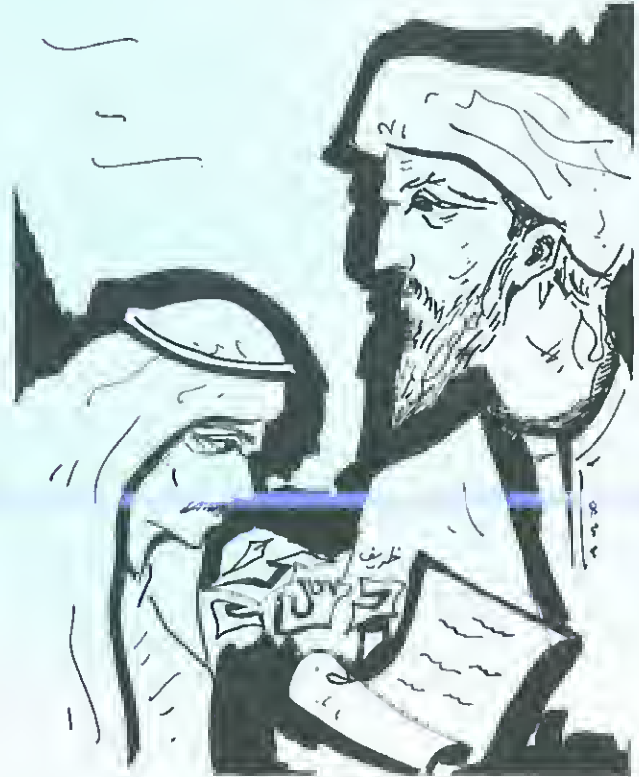
لنظمت القصائد الطوال ولكنك اخترت الكتابة .

إبراهيم : هذا حسن ظن منك .

جعفر : والآن أرجو أن تسمح لي بالخروج وسنلتقي في

مجلس المتوكل على الله أمير المؤمنين . أستاذن (مخرج) .

(يدخل خادم ويقول)





الخادم : إن أبا العيناء بالباب .
 إبراهيم : ائذن له فليدخل (يدخل أبو العيناء) .
 أبو العيناء : السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته .
 إبراهيم : وعليك السلام يا أبا العيناء ومرحباً بك .
 أبو العيناء : لقد اشتقت إليك فجئت لزيارتك وأرجو أن لا أشغلك عن شيء .
 إبراهيم : أهلاً وسهلاً بك ، وإذا سمحت لي فإني مكلف بتحرير رسالة لأمر المؤمنين المتوكل على الله وسأخذها إليه بعد قليل فاسمح لي بأن أكتبها ثم أحررها وسنخرج سوياً إلى مجلس أمير المؤمنين المتوكل .
 (إبراهيم يقرب دواة وقلماً من البوص ويبريه ويحسن بريه وقطعه ثم يبدأ الكتابة - تسقط نقطة كبيرة من الحبر على الورق - يمسخ إبراهيم النقطة بكفه) .

أبو العيناء : عجباً لك يا إبراهيم مع ظرفك ولطفك تمسح الحبر بكفك .
 إبراهيم : لا تعجب يا أبا العيناء فالمال فرع والقلم أصل ومن هذا الحبر الأسود جاءت هذه الثياب البيض والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع .

أبو العيناء : لك حق فيما قلت :

(بعد تفكير)

إبراهيم :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ
 وأسلمه الوجود إلى العيان
 ووشاه فنغمه أديب
 فصيح في المقال بلا لسان
 نرى حلل البيان منشرات
 تجلي بينها صور المعاني

أبو العيناء : صدقت يا إبراهيم .

(يستمر إبراهيم في الكتابة وبعد أن ينتهي منها يخاطب أبا العيناء) .
 أبو العيناء : هيا بنا إلى مجلس أمير المؤمنين فلعله ينتظرنا الآن .

★ ★ ★

منظر آخر

(المتوكل في مجلسه وعنده أحمد بن يحيى الملقب بشعلب وجعفر بن رفعة المغني) .

(إبراهيم وأبو العيناء يصلان إلى الباب ويخاطبان الحاجب) .
 إبراهيم وأبو العيناء : استأذن لنا على أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر .
 الحاجب : إن عنده أحمد بن يحيى الملقب بشعلب وجعفر بن رفعة .
 (يدخل "الحاجب")

الحاجب : إن سيدي إبراهيم بن العباس الصولي ، وأبا العيناء الشاعر يطلبان الإذن بالدخول .
 المتوكل : ائذن لهما .
 الحاجب : تفضلاً بالدخول .
 (يدخلان)

أبو العيناء وإبراهيم : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
 المتوكل : وعليكما السلام ورحمة الله - اجلسا .
 (يجلسان)

المتوكل : إيه يا إبراهيم هل أعددت الرسالة ؟ .
 إبراهيم : نعم يا سيدي ، ها هي ذي معي (يخرج الرسالة) .
 المتوكل : اقرأها علي :

(يقرأ إبراهيم)

إبراهيم : (وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائم) .
 المتوكل : أعد قراءة ما كتبت .
 (يعيد إبراهيم قراءة الفقرة مخاطباً شعلب)

المتوكل : ماذا ترى يا أبا العباس أليس في هذه العبارة

بيت شعر؟ .

ثعلب : بلى يا سيدي إنه في قوله :

أناة فإن لم تغن عقيب بعدها

وعبداً فإن لم يغن أغنت عزائه

أبو العيناء : نعم إنه بيت شعر .

المتوكل : هل قصدت أن تنظمه شعراً؟ .

إبراهيم : كلا يا سيدي وإنما وقع لي ذلك عفواً بدون قصد .

المتوكل : إن الشعر ليجري على لسانك دون قصد وقد

لاحظت ذلك في كثير من رسائلك .

ثعلب : يا أمير المؤمنين إن إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين وإني ما

رويت شعر أحد منهم غيره .

المتوكل : وماذا رويت من شعره؟ .

ثعلب : إني لأستحسن من شعره هذه الأبيات :

لنا إيل كرم يضيق بها الفضاً

ويغتر عنها أرضها وسمائها

فن دونها أن تستباح دماؤنا

ومن دوننا أن تستباح دماؤها

حمى وقرى فالوت دون فراقها

وأيسر خطب يوم حق فئاؤها

المتوكل : لقد أحسن والله فإن العربي ليحمي إبله

بدمه ولكنه يذبح إبله إكراماً لضيافته .

جعفر بن رفة : إذا سمح لي سيدي أمير المؤمنين فأني استمعت إلى

شعر لإبراهيم في مدحه وإن أذن لي أنشدته إياه .

المتوكل : قل يا جعفر بن رفة .

جعفر (يتناول العود ويغني) :

ما واحد من واحد أولى بفضل أو مروءة

ممن أبوه وجده بين الخلافة والنبوة

المتوكل : لقد أحسن أبو إسحاق في شعره وأحسن يابن

رفة في غنائك .

ثعلب : لقد نظم إبراهيم أبياتاً سرقها الشعراء بعده .

المتوكل : وما هي؟ .

ثعلب : لقد قال إبراهيم :

لفضل بن سهل يد تقاصر عنها المثل

فباطنها للنسدى وظاهرها للقبيل

وسطنها للفنى وسطونها للأجل

من الفضل أمواله ومن سائله الأمل

المتوكل : ومن سرقها وماذا قال؟ .

ثعلب : لقد سرقها ابن الرومي فقال :

أصبحت بين خصاصة وتجمل

والمرء بينها يموت هزيلة

فامدد إليّ بدأ تعود بطنها

بذل النوال وظهرها التقبيل

المتوكل : لقد أحسن ابن الرومي .

أبو العيناء : نعم لقد أحسن ابن الرومي ولكن إبراهيم أتى بالمعنى في

كلمات أربع فقط بينما احتاج ابن الرومي إلى تسع كلمات قابين الرومي

بقول :

فامدد إليّ بدأ تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقبيل

بينما قال إبراهيم :

فباطنها للنسدى وظاهرها للقبيل



ومع ذلك فابن الرومي لم يأت بالمعنى الذي قاله إبراهيم في البيت التالي :

وسطنها للغنى وسطونها للأجل

المتوكل : حقاً لقد أوجز إبراهيم في كلمات قليلة معاني كثيرة .

ثعلب : وقد سرق معنى إبراهيم شاعراً آخر يقال له ابن دريد
فُدح رجلاً من البصرة يسمى ابن يحيى فقال :

يا من يقبل كف كل مخرف

هذا ابن يحيى ليس بالخراف

قبل أنامله فلن أناملاً

لكهن مفاتيح الأرزاق

المتوكل : ليس هذا بشيء فقد قصر في المعنى وأطال في اللفظ .

أبو العناء : وهو مع ذلك قد قال :

قبل أنامله فلن أناملاً

فهل هي مغالب إذن ؟ .

المتوكل : إنك ناقد حصيف يا أبا العناء مثل ما أنت شاعر ظريف .



ثعلب : وإن لإبراهيم بيتين في وصف الليل كان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يعجب بها أيما إعجاب ويقول ما أعلم لقديم ولا محدث في قصر الليل أحسن منها .

المتوكل : وما هذان البيتان ؟ .

ثعلب : هما قوله :

وليلة من الليالي الزهر

لم تك غير شفق وفجر

حتى تولت وهي بكر الدهر

المتوكل : لقد أبدع في وصف تلك الليلة وقصرها فهي لم تكن إلا شفقاً وفجراً .

ثعلب : إن شاء أمير المؤمنين فيأمر إبراهيم أن ينشدنا شيئاً من شعره .

المتوكل : أنشد يا إبراهيم .

إبراهيم : سمعاً وطاعة :

(يبدأ في الإنشاد)

يقضي الأمور على بديته

وتريه فكرته عواقبها

فيظل يصدرها ويوردها

فيعم حاضرها وغائبها

وإذا ألمت صعبة عظمت

فيها الرزية كان صاحبها

المستقل بها وقد رست

ولوت على الأيام جانبها

وعدلها بالحق فاعتدلت

ووسعت راغبها وراهبها

وإذا الحروب غلت بعثت لها

رأياً تضل به كتابها

رأياً إذا نبت السيف مضى

عزم به فسقى مضاربها

المتوكل : أحسنت يا إبراهيم .

ثعلب : ما أرق شعره وأحسن تقسياته أنظر إلى قوله :

يقضي الأمور على بديته

وتريه فكرته عواقبها

فيظل يصدرها ويوردها

فيعم حاضرها وغائبها

وقوله :

وعدلتها بالحق فاعتدلت ووسعت راغبها وراهبها

إن هذا الشعر لما يطرب له السمع وينتشي به الفؤاد .

المتوكل : زدنا من شعرك يا إبراهيم .

إبراهيم :

فلو كان للشكر شخص يبين

إذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه

فتعلم أي امرؤ شاكر

المتوكل : لله درك يا أبا إسحاق : ماذا أعددت للاحتفال

بتنصيب أولياء العهد غداً في قصر العروس (قرب التل المطل على بغداد) .

إبراهيم : لقد أعددت قصيدتين :

المتوكل : إن شئت سمعناها الآن وإن شئت أجلنا ذلك

إلى غد حيث يقام الاحتفال .

إبراهيم . ساعد بعض أبيات من القصيدتين أشد من يدريك

غداً كاملتين .

المتوكل : حسناً فأسمعنا جزء من قصيدتك الأولى :

إبراهيم :

ولما بدا جعفر في الخميس

بين المطل وبين العروس

بدا لابساً بها حلقة

أزيلت بها طالعات النحوس

ولما بدا بين أحبابه

ولاة اليهود وعز النفوس

بدا قرأ بين أقاره

وشملاً مكلفة بالشموس

لإيقاد نار وإطفائها

ويوم أنيق ويوم عبوس

المتوكل : أحسنت فأسمعنا جزء من قصيدتك الأخرى .

إبراهيم :

أضحت عرى الإسلام وهي منوطة

بالنصر والإعزاز والتأييد

بخليفة من هاشم وثلاثة

حفظوا الخلافة من ولاة عهود

فمر توافت حوله أقاره

فحفن مطلع سعده بسعود

رفعتم الأيام وارتفعت بهم

فسموا بأكرم أنفس وجدود

المتوكل : أحسنت يا إبراهيم وسترك غداً إن شاء الله .

★ ★ ★

منظر آخر

(ثعلب وجعفر بن رفة وأبو العيناء جالسين في مجلس) .

جعفر بن رفة : لقد مررت اليوم بالسوق فوجدت هارون بن محمد ابن عبد الملك بن الزيات مختلفاً مع ابن برد الخباز .

ثعلب : وماذا كان خلافهما عليه ؟ .

جعفر : كان هارون الزيات يذكر محاسن أبيه وينشد شعره ويفضله ويقدمه على إبراهيم بن العباس وكان ابن برد ينكر ذلك ويفضل إبراهيم .

ثعلب : إذهب إليها وقل لابن برد فليقل لهاريون إن كان لأبيك الزيات شعر مثل قول إبراهيم .

أسد ضار إذا هيجته

وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا

يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أبو العيناء : بل قل له أن ينشد قول إبراهيم :

تلج السنون بيوتهم وترى لهم

عن جأر بيتهم ازورار مناكب

وتراهم بسيوفهم وشفارهم

مستشرقين لراغب أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم

نهب العقاة ونهزة للراغب

وليقل له إن كان لابن الزيات مثل هذا الشعر فليذكره ويفخر به ولا فليقلل من التطاول والافتخار بما ليس فيه طائل .

جعفر : حقاً إن شعر العباس لجميل ولقد أعجبني وصفه لقومه بأنهم يكونون في انتظار القادمين عليهم فإن كانوا ضيوفاً أكرمهم وإن كانوا معتدين صدوا عدوانهم



بقلم : زهير العلوف

الصهايات والحينات

— أنت خائن .

نظر إلى جدران المطبخ .. تأمل السقف .. أحسن بكآبة
تطفئ على قلبه .. سكاكين حادة تقطع شرايينه .. عيون
أطفاله الصغار تنتقل بينها .. الطاولة القديمة ، والكراسي
التي يجلس عليها .. أولاده زادت الصورة في نفسه حلكة
وأسى .

نظر إليها .. ثم إلى نفسه .. يداه تنوءان بحمل محفظته .. وسلّة
الخضار .. وقف متجمداً أمامها .. المروق في عنقها تنتفض ..
الأخاديد تغطي جبهتها ، والزرقة تسكن حول عينها .

« حقير وخائن » .

نسي نفسه واقفاً أمامها ، كان تلميذاً بليداً .. صخرة صماء .. كلباً
يصبص بذنبه .. قطعة من الفولاذ ما عاد يهدهمها الطرق .. غاصت عيناه
في أعينها .. امتصت نظراته .. أحسن أن ضربات عصي كثيرة تنهش
جسده .. عيون أولاده تنهشه أيضاً .. دار حول نفسه دورة كاملة ، تذكر
أنه مازال يحمل محفظته .. هه يسميها محفظة ، هذه التي حولها
الزمن إلى رمادية .

اقترب من الزاوية .. وماها بهدوء ، ثم رمى سلّة الخضار إلى
جانبها .. تطايرت الخضار هنا وهناك .. أراد أن يمد يده ليجمعها ..
وقع على الأرض .. نظر حوله بأسى .. رمى أولاده .. ينظرون إليه

بجمود .. اعتمد على نفسه ، ثم على الجدار .. نهض ببطء ولكنه توقف
على قدميه تماماً .. أسند ظهره إلى الحائط .. أحس أن المصباح اليوم
خافت ، مسح عينيه بجمع يمينه ، كأن المطبخ تقترب جدرانه منه ..
فأغمض عينيه .

بحث عن كرسي حوله .. جذب كرسيّاً أخرج .. أسنده إلى الجدار
وجلس .. السيوف تصهل في دماغه .. أصوات دبابات وطائرات
وقنابل نابالم .. عملاً المكان .. قال لنفسه : ليم لا ألبس لباس
الميدان في هذه الدار ؟

وشت شفتاه بابتسامة .. أعجبه الصورة .. تنهد بعد ذلك ، ولكنه
استمر في صمته .. عيناه تستمران في الاتساع أيضاً .. صدرها يضيق
كصدر دجاجة .. أصابعها تنكش بعصبية غريبة .. أراد أن يبكي ..
يصرخ .. يحتج .. ولكنه فضل الصمت .

عيون أولاده تنتقل بينها تنتظر الانقراض .. النهاية لديم
معروفة .. هجوم الأب بالأيدي والقباييب والصحون وسألواح الزجاج
أيضاً .. دفاع الأم وصمودها .. أصابتها بالدوار والاعياء .. استسلام
الأب في آخر الأمر للبحث عن الأطباء وزجاجات العطر ، وكل الكلمات
القليلة التي يعرفها في الملاينة واللفظ .. ورجاء الجيران بالانصراف .
الأولاد حفظوا كل هذه الخطوات .. والأب حفظها جيداً .. رأى
اليوم أن يصل إلى النهاية مباشرة .. لا ضرورة للمقدمات .. النتيجة هي



والصراخ .. كانت عيوناً تتسع وتتسع أيضاً .. أما عيون الأطفال
فما زالت حيادية .. إلا أنها اختلطت بمزيج من الخوف والأسى .
وقف وقفة حيادي .. يجمع الكلمات المتطايرة من فمها .. بحث عن
سبب هذه الثورة المجنونة .. توهمت أنه غازل جاريتها الجميلة ..
سأل نفسه إن كان قد نظر حقاً فلم يجد جواباً ، ولكنه ابتسم عندما قارن
بينها وبين زوجته .

المرأة مسجاة فوق السرير .. لا تتحرك .. تنفس بطريفة مبكية
مضحكة .. عيون الجيران مفروشة على وجهها .. الأفواه تردد ما حفظت
من الآيات ..
غادر المنزل .. ولكنه لم يذهب إلى الطبيب هذه المرة ، بل رأى نفسه
في طريق آخر ..

كانت الصخرة تطل على البحر .. عالية وسوداء .. نظر إليها بوذ
ومحبة .. أحس أنها صديقتها الوحيدة .. أسنانها النابتة الحادة
تسلقها بعزم وصعوبة .. وصل إلى قتها .. رفع رأسه .. القمر
هرب من السماء .. الظلمة تنعكس على صفحة البحر ، فتبعث في
القلوب رهبة .. أغمر عينيهِ .. أفواه الحيتان مفتوحة حوله ..
أحس بارتخاء في كل أعضائه .. أشار إليها بالاقتراب .. فتح عينيهِ عندما
كانت الذمعة تغطيها .. أحس بالاختناق ثم قال لنفسه :
« علي أن أبحث عن حل .. طالما أن لكل مسرحية نهاية .. فلأبحث
عن نفسي داخل هذا البحر .. »

استسلامه .. ليستسلم الآن اجتناباً للفضيحة والخسارة .

قرأت أفكاره في عينيهِ ، فقالت :

— أنت لست قدراً فقط .

ضيق عينيهِ .. ابتسم ابتسامة أخرى ، ثم قال ببرود :

— وهل لديك زيادة على هذه الصفات يا عزيزتي ؟

— نعم أنت بليد أيضاً !

وسع ابتسامته قليلاً .. كانت تحوي على قبلة محسوسة بالبارود ..
أحس أن صام الأمان بين نكته .. ولكنه لن يفجرها .. اعتصر
جبهته .. ابتلعت تنهيدته الابتسامة .. أحس أن وجهه قد ضيع لونه ..
شعر باليأس والمهانة .. نظر إلى وجهها : ما زالت عيناها في اتساع
مستمر .. وما زالت عروق يدها تنتفض وتنفض ، وعيون أولادها عيون
نمائل فقدت ألوانها ولماعها .. علق قائلاً :
— شكراً يا عزيزتي .

لم يقصد أن يقتلع بكلمته هذه صام أمانها .. لم يتذكر أن صامها
قابل لمغادرة القبلة في أية لحظة .. نظر إلى الصحن المتطايرة ، وإلى
الزجاج المنثور في أرض المطبخ ، وإلى بقايا الطعام التي علقت بالجدران
القدرة .. ثم نظر إلى عيون أولاده من جديد فلم يفهم أي شيء .. مد
يده إلى ظهر كفه لينفض قطعة زجاج .. ثم ابتسم ابتسامة أخرى .
جدران المطبخ قبلة بلا صام أيضاً .. كلها تردد الشتائم الفاجرة



★ محمد بن علي السنوسي ★



مطالعات...
في الكتب

واخيرا... تجدد السنوسي

بظام : عبد الرحمن محمد الرفاعي

وكيفية نظرت إلى الحياة وتفسيره لها ، وطبيعة انفعالاته .. فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب .. والأديب حين يعبر عن شخصيته تعبيراً صادقاً يصف تجاربها ، ونزعاتها ، ومزاجها ، وطريقة اتصالها بالحياة .. وهذا هو بغية القارئ من الأدب .

فالشاعر إذا قرأت شعره فإذك ستجد فيه : (مزاج هذا الشاعر ، وطبعه وخلفه ، ومذهبه في الحياة ، ومستوى ثقافته ، وظل روحه ، وتفسيره للحياة ، تعرف نوع كليته ، وجمله ، وطريقة تصويره ، تجد شخصية الشاعر أمامك حقيقة) .

وهذا ما كنت أرحل لأجله في كل ديوان يصدر لشاعرنا الأستاذ محمد علي السنوسي .. نعم لقد رحلت كثيراً ، وتعددت رحلاتي مع الشيخ الشاب ، والأديب المرح ، والشاعر الفحل ، والأب والأخ معاً ..

من المعروف أن الشعر فن جميل ، وهذا الجمال في الشعر ينبعث وينشأ : «... عن الناحية الوجدانية للنفس الإنسانية .. فيعبر الشاعر بلغته الكلامية الموسيقية عن أنواع الانفعال والعواطف ، والانفعال قوة وجدانية . وهذا الوجدان وهذه العاطفة التي يسندها الفكر والخيال التي تحتاجه العاطفة (الانفعال) للتعبير عنها ، وإظهار ما تحسه في نفسها ، تجد الشاعر بل تجد شخصيته ماثلة أمامك ، تحسها وتلمسها في أي نص يصدر عنه ، وهذه الشخصية تتبين مظاهرها المختلفة في الأسلوب الذي يقولون عنه : إن الأسلوب هو الأديب ، والأديب هو الأسلوب» .

وهذا الأسلوب هو : الألفاظ والتراكيب والصور البيانية .. والأسلوب لا يمكن أن يكون صورة لصاحبه ، صادقاً في تصويرها ، إلا إذا استمدّه الأديب من نفسه ، وصاغه بلغته وعباراته ، دون تقليد لسواه ، لأن كل أسلوب صورة خاصة لصاحبه ، تبين طريقة تفكيره ،

صراع الفكر الناضج ، التادم في حرقه ، الموفن في لوعة العارف ،
لم طار عصفور شبابي ؟

جلل الشيب عذاري ومعى الليل نهاري
وذوت نضرة روحي وخبت جذوة ناري

★ ★ ★

أسودي أصبح مبيضاً وطرفي في انحسار

وهنا تهدأ حدة الصراع العنيف حينما تتفجر من الوجدان الحقيقة
المرة ، المؤلمة الحزينة :

مضى عمري أباديد نشاراً في نشار

★ ★ ★

لماذا ؟ ...

جداري بات منقضاً وجهري كساري
ونسبي غير رفاف ومائي غير جاري

★ ★ ★

ونمضي حدة الصراع في هدوئها لتتلاشى عندما ينتجر بركان التعنيف
واللوم النفسي على التفريط والغفلة ، والتفادي في الهوى ، وتناسي النهاية
المؤلمة ... اللوم على ضياع الوقت من دون حس ، ضياعه في اللهو ،
ضياعه في الضياع ، وماضي في حسابه ولا رحمة ... فنهاية الغفلة
حسرة ..

كنت أهو ويمجد الد هر في قطف ثماري
ياخذ اللؤلؤ من كني ويسخو بالبحار
كنت مسحوراً ومأسوراً بتفريد القمراري
وأظن الدهر لا يقوى على لفح شراري
سائراً في ضجة الموج وتيار البحار

★ ★ ★

ونمضي التعنيف واللوم ، عندما تشتعل نار الحسرة نادية حظها ،
مستغيثة .. صارخة في حرقه ولوعة :

يا شبابي آه لو عدت ولو بعض نهاري
لمه ؟ ...

لم أكن أعرف مقدارك في فجر اغتراري
سوف أفديك إذا عدت بماسي ونضاري

★ ★ ★

ونمضي السنوسي الوجدان في رسم شخصية السنوسي المتلف لذكرى
الصبابة والفتوة .. فهنا نرى السنوسي الداخل ، نرى ما يسدور في

كنت أرحل لأعرف جديداً ، ولأعود بكسب جميل ، لكن لا جديد ، لأن
— دائماً — أجد في النهاية السنوسي الذي أعرفه ، اللهم إلا قطفات
نادرة ، ومضات تضيء من بعيد ، سرعان ما تختفي إذا ما جئتها جريباً ،
وهكذا أعود لأجلس مرة أخرى مع الشاعر السنوسي الذي عرفته ،
السنوسي الرجل الطويل ذو العقال والفترة والنظارة الطبية ، السنوسي
الذي أحاول جاهداً أن أعرفه وأسير غوره ، السنوسي الذي بذلت كل
وسيلة كي أصل إلى أعماقه ولأعرف ما يدور بداخله .

وهذا لا يعني أن السنوسي ليس شاعراً فحلاً ، لا بل فحل وعملاق
من عمالقة الشعر ، شاعر بكل ما تحمل كلمة الشعر من معاني ، شاعر إن
كتب ، وشاعر إن نطق ، وشاعر إن صمت ، فصنته شعر ، لأنه إن
سكت لسانه طار بخياله إلى العالم الذي يقصر عن رؤيته من ليس
بشاعر ، يطير بجناحي فكر أنضجته الحياة والتجارب ، بأنات وجدان
أضفته المشاعر ، يحوي عاطفة أضرمتها حاسية الشاعر الفائضة ... وهذا
هو السنوسي الذي أريد أن أعرفه ، السنوسي الفكر والوجدان ، السنوسي
الخيال والعاطفة ، السنوسي المشاعر والأحاسيس ، السنوسي التجارب
والثقافة . هذا هو السنوسي الذي وددت أن أراه وأعرفه ... وكنت واثقاً
تمام الثقة أنه موجود معنا ، وهو الذي يريد أن لا يكون معنا ... ولست
أدري لِمَ ؟

يريد ذلك لأنه موجود ، ويزيدني يقيناً على أنه موجود تلك القطفات
والمضات التي كنت أجدتها في رحلاتي السابقة معه ... وهذا ما كان
يشدني إليه كلما عدت من رحلة من تلك الرحلات لأن موقن تمام اليقين
أنني سأجده ، سأجد السنوسي الداخل ، لا السنوسي الذي أراه بعيني ،
مؤمن أو سائنس اخالته "السادسه" التي يقول عنها :

وأخيراً وجدت السنوسي الذي أريده ، وجدته حينما أراد هو أن يكون
موجوداً ، وجدته حينما انفجر يصيح خفياً ، ينادي بحرقه ، يتحسّر
حوله ... ينادي ... يتوسل لكنه قد طار ... ومضى :

طار عصفور شبابي من يدي رغم حذار

هنا وجدت الشاعر ، النابع من الوجدان الحزين ، التادم على انقضاء
أيام الشباب النضرة ، الأسى على الزهرة التي ذبلت ، ومات نضارها
وأملت كورد الزينة ورق وأصباغ :

وتهاوت زهرات الو رد مني والعرار

هنا وجدت الشاعر الحزين ، المتسائل في ذهول عن الغصن الرطب ،
الذي أضحي عرجوتاً :

من رأى غصناً بلا ماء ندي الاخضرار

وجدته في صراعه العنيف في أسى ، الصراع المشبوب ، صراع الفكر
والعاطفة ، العاطفة التي تصرخ في لوعة مشددة متسائلة :

يا شباباً ضاع كالأ مطار في عرض القفار

كيف ولي ولماذا وإلى أي دار ؟

متى طار فلاني لست والله بداري

الأعماق ، نرى الأسى والألم ، نرى السنوسي الشيخ المتعقل ذو الوقار
ينادي في حسرة ، يستغيث في حرقة ، يستجدي في ضعف ، يستجدي
الحياة ، بناشدها بأعلى ما تملك الحياة بأن تعيد إليه فقيداً غالياً ، غالياً إلى
نفسه ، إلى روحه العطشى لذكره الطامنة للقياء .

أعيدي فدتك النفس ذكرى صباية

وأحلام وجد كالحريق عذاب

وهنا نجد الشاعر حقيقة لا تغطيها مادية الحياة ولا ملقها الاجتماعي ،
نجد الشاعر اسماً ومعنى ، الوجد في وجدانه الملتبب الحزين في صدق ،
صدق العاطفة التي تصور لك حقيقة ما تحسه دون زين أو مراء ، هذا
الصدق الذي تحسه وتلمسه في هذه الصور المتلاحقة المتطابقة :

قسوي فإن النفس عطشى إلى قم

يحدثني عن سحرها وعذابي

عن السهر في ليلي عن النار في دمي

عن البدر يحصي محبتي وذهابي

عن الوعد لم يصدق عن السعد لم يرق

عن الكأس لم تطفح بغير شراب

عن الشوق ظمناً عن ناعم

عن الليل جحماً والنجوم كؤاب

عن الدل رياناً عن السحر فائناً

عن اللفظ حلواً واللحاظ سراب

★ ★ ★

ويمضي جمال التصوير وروعه في رسم شخصية السنوسي الشاعر ،
الذي طالما تمنينا أن نراها ، أن نحسها ونلمسها حتى وجدناها أخيراً ،
وجدنا الشخصية التي يعصرها الحزن والألم ، الشخصية التي يغلفها
الأسى ، وببكها في حرقة اليأس القنوط :

طواها الأسى واليأس حتى كأنها

بقايا حطام من دماء شهاب

فألك يا نفس تعبيدين ذكرها

وتورين من جمر الحنين خوابي

وهكذا كلما توغلنا في نفحات السنوسي وجدنا ملامح الشخصية
تظهر لنا أكثر فأكثر ، فثلاً إذا أردنا أن نحدد إطاراً عاماً لهذه
الشخصية كما ظهرت في هذا الديوان ، فإننا سنجد أن ملامح
هذا الإطار هو : الأسى العميق على الماضي ، على الشباب الذي
طار طيراناً لا رجوع بعده ، الأسى على ذكرى الصباية ، على الهوى وغرام
الشباب . ثم الحزن الدامي نتيجة للوحشة المظلمة التي يحسها الشاعر في
داخله ، كيف كان ؟ وكيف أصبح ؟ الوحشة التي أظلمت في جوانبه ،
وجعلته لم يعد يرى ما حوله ، ولا النهاية التي يريد بها :

كيف أرسو ولم يلح بعد

مرساي ولا أشرق لعيبي منائر

★ ★ ★

ونهارى ضياؤه شاحب اللون

وليلي كأنه قلب كافر

★ ★ ★

وتبلغ الوحشة في نفس الشاعر مداها حينما تستفجر إلى يأس قانط
غيف ، يأس يُكَيِّم الشاعر وبذله ، يبروعه في النهاية ، وبقصر عزمه
ليقعده عن الخوض في بحر الحياة ، التي تتلاشى محل أمانيها ورغائبها في
عيني الشاعر .

يظهر هذا اليأس عندما يصبح داخل الشاعر صارخاً : وأمامي مدى
بعيد طويل ما له أول ولا فيه آخر ، ولأن الشاعر قد يش عن الفوز بما
في الأرض من كنوز في مصادر أخرى ، كما أنه قد يش من الأرض وما
فيها (وما تحت الثرى) :

وسمائي ممسوحة لا بصيص

لنجم ولا جناح لطائر

★ ★ ★

وهنا تتفجر العاطفة المدهوشة في ذهن ، الحائرة في قلق لتعلن في
صدق ، الصدق الوجداني الذي لا يعرف الخجل ، أو المغالطة تعلن
هذه الدهشة والخيرة والخوف والقلق من المجهول :

ولحاضي مدهوشة ترمق

الجهول حيرانة وقلبي مغامر

وحياتي تدور حول رؤاها

والرؤى لعبة على كف ساحر

★ ★ ★

وإذا أردنا أن نجد مصدراً لهذا الخوف والخيرة والقلق النفسي عند
الشاعر نجد أنها تنبعث من الوحشة التي حسها في نفسه ، الوحشة التي
تنبع من وجدان الشاعر الذي تكتنفه الظلمة التي سببها حزن الشاعر
وأساءه ويأسه ، وهذه الظلمة . وإن حاول الشاعر أن يطرد هذه الفكرة
من نفسه ، ومحاوله اقناعها من أن ما تحسه وهم وأنها تعيش في نور
ساطع قوي :

أنا والدجى يلف كياني

رغم أنف الدجى أرى نور باهر

وأرى — أيضاً — أن من أهم مصادر هذه الوحشة والظلمة عند
الشاعر ، قلقه النفسي ، وخوفه من النهاية المؤلمة ، والانحراف الخفيف
الحزن ، من الفساد الأخلاقي ، والتباعد الاجتماعي المؤسف ، من الهدم
الذي يوشك أن يحل ويتبع ، نتيجة لما وصلت إليه هذه الحضارة المادية
الطاغية ، من هذا الصخب المدمر . . . فالشاعر محق إن خاف ،
فأسباب الخوف موجودة :

عالم صاحب ودنيا عنيفة
ميكانيكية الحياة مخيفه
وازدحام أنى ذهبت
كان الحياة صماً كفيفه
كهريتنا سلوكها بسلوك
أحرق الروح والمعاني اللطيفه
كل شيء فيها تعقد
حتى الأكل والشرب والتحايا الخفيفه
هذه تستحق السكنة
حقاً يفقد المرء نفسه واليفه
وهناك ينتف أندى الأحاسيس
وأحلى المشاعر الصوفيه
قربتنا وباعدتنا نفساً
وجسوماً قوية وضعيفه
ليس في طبيها اهدوء ولا العرق
ولا رقة الشعور الشفيفه

★ ★ ★

وهذا الخوف والقلق النفسي والذهول لدى الشاعر وصل - كما
أراه - نتيجة لصدمة عنيفة وقع فيها الشاعر ، إثر الانقلاب الحيوي ،
الذي قلب الحياة للشاعر ، لتغير الحياة نتيجة لطغيان الحضارة
المادية ... فالشاعر كان يحيا حياة روحية طابعها هدوء الريف ،
وجمال الطبيعة يجمعها رباط الأخاء ، ويغنيها الحب الصادق التابع من
النور الإلهي غذاء الأرواح ، إذ كانت نشأة الشاعر نشأة دينية محضة ،
فالأسرة ، أسرة قضاء شرعي ، ومحيطه محيط تقى وزهد ، ومن هذا النبع ،
تغذى الوجدان ، ونهلت العاطفة ، ولما تغيرت الحياة وأصبح داخل
الشاعر لا يحس ولا يرى ما ألفه في الخارج ، ذهل ، واستوحش وخاف
وقلق ... فهو حزين لأن داخله يحترق ويتعذب ، مستوحش لأن صلة
داخله انقطعت عن خارجه ، فاحتار كيف يوفق بين نقبضين ، مادي
قاتل ، وروحي منير :

يا لقلبي من وحشة مزقت
قلبي وهدت أنفاسه ورقيعه
أنسا وحدي أعيش أم أنا
في دنيا من الناس حلوة ولطيفه
حسرت يا نفس فيك فالتس درياً
وعيشي أحلامك الفيلسوفه

★ ★ ★

وتمضي الحيرة مشتتة في وجدان الشاعر ، وفي قلبه وفكره وفي
مشاعره وأحاسيسه ، ويزيده اليأس حزناً حتى تبيض عيناه ، وينهك

جسده ، وتكاد تذبل روحه ، حتى يتدارك وينقد نفسه ، وينتشل جسده ،
قبل أن يذبل ويموت ، ينتشل نفسه لأنه يجد ضالته ، يجد الحل الذي
يرتضيه داخله ويعشقه ، يجد الوفاق ، الذي ينهي الحرب بين داخله
وخارجه ، ليعيش الأصل في الحياة ، قبل أن يطير من يده كما طار
عصفور قلبه ، فيندم ندم الموت يجد ضالته عندما يصرخ :

لا لن أضل فقد وجسدت سكينتي
في الدين وهو دليل كل لطيف

★ ★ ★

فالدين ظل الله ملكوته
والله بالإنسان خير رؤوف
من قال إن الدين أفيون الوري
فهو الشقي بعقله المخطوف

★ ★ ★

وهذه الرجعة الدينية للشاعر تفسر لنا جانب خطير في هذه
الشخصية ، كاد يقضي عليه لولا أن من الله بنعمة من عنده ، هذا
الجانب هو انفصام في شخصية الشاعر ، يبين داخله وخارجه كما رأينا
آنفاً ، هذا الانفصام ... الذي جعله يعيش حزيناً ... يائساً ، تائهاً
حائراً ، باحثاً ولا هدف ، ناظراً ، ولا رؤياً ؟
اختلطت الأصوات عليه فأصبح لا يميز بين جميلها وقبيحها :

كيف أرسو ولم يلح بعد
مرساي ولا أشرقت لعيني منائر

★ ★ ★

وإمامي مدى بعيد طويل
ماله أول ولا فيه آخر
سمائي ممسوحة لا بصيص
لنجم ولا جناح لطائر
ولخاطي مدهوشة تشرق
المجهول حيرانة وقلبي مغامر
وحياتي تدور حول رؤاها
والرؤى لعبة على كف ساحر

وإذا نحن حاولنا أن نبحت عن سبب لهذا الانفصام الذي حصل في
شخصية الشاعر نجد أن من أهم الأسباب .. هو محاولة الشاعر إرضاء
خارجه ، الذي يحسه ويلمسه ، ويراه ثم إرضاء من حوله ... إرضاء
واقعه الاجتماعي ، الذي طرأ عليه ... في الوقت الذي هو غير مقتنع من
داخله بما يعمل ... حاول أن يرضي قيم عصره المادي - بما شاهدناه في
دواوينه السابقة - بغير ما ألفه واقعه الداخلي فلم يفلح ، أصر ، فتألم ،
ضغط على داخله فجتمحت عواطفه ، ونفرت مشاعره وجف وجسدانه
الري ، فشد أكثر على داخله ليرضي خارجه ، فأعلن داخله الحرب على

خارجة ، فنشأ الصراع العنيف الذي أوجد الحزن الأسى ، والوحشة المظلمة ، واليأس في النهاية .



وهنا نجد الشاعر أيضاً ، كما وجدناه سابقاً ، نجده على خلاف ما وجدناه ، نجده هادئاً في رضى ، قانعاً في غنى ، مؤمناً برجعته ، منتصراً لما نشأ عليه في قوة ، قوة الحق الصامد أمام الزوابع التي سرعان ما تنتهي وتبطل في أمام قوة الحق الضاربة :

كتب الله لي حياتي ورزقي

فتنحي يساً فلسفات العباد

أنا آمنت بالذي خلق الكون

وما فيه من هدى أو فساد

ونمضي مع الشاعر ، فنجد الشاعر أكثر ، نجد الإنسان المؤمن بحق الإنسان ، المؤمن بالحب شعاراً ، والأخاء الإنساني رباطاً ، الإنسان الأخير ، المحقق للشر ، العاشق للوفاء والإخلاص ، الإنسان السلام ، لا الإنسان المدفع :

أيها الإنسان في كل مكان يا أخي قلباً ولباً وكيان
حبك الأوطان لا يعينك عن حبك الإنسان في أي لسان
اجعل الحب شعاراً ثابتاً وانتزع عنك طباع الحيوان
ولينبض قلبك خيراً ولتنبض بالندى من ساعديك الراحلتان



حطم المدفع لا تحمله ثم حاو رني بفكر وبيان
ولتكن مفتاح خير وهدى ولتكن مغلاق شروء خان

لقد حققنا الكسب بل وأكثر من الكسب من رحلتنا مع الشاعر ، فأينما تجولنا وجدنا الشاعر ، وجدنا لسانه في كل زاوية ، في أحزانه ، في أساه ، في وحشته ، في قلقه وحيرته ، دهشته وذهوله في تحسره ، ثم في هدوئه وسكينته ، في ثورته ، في نصرته لعقيدته ، نجده في وعظه ، في نصحه ، نصح من خبر الحياة فصرف جميلها وقبيحها ، عرف خيرها وشرها ، نجده في إنسانيته ، في حبه وإخاه ، نجد صدق الوفاق الذي حصل بين داخل وخارج شخصية الشاعر بعد أن وجد ضالته ، ورضي بواقعه . هذا الواقع نجده أخيراً في إشراق الوجدان الذي كادت الظلمة تودي به ، نجده في النفس المضية ، في إعجاب القوي ، لكنه إعجاب الشيخ الذي قنع من الدنيا وعزف عن لذاتها . شيخ صحيح ، لكنه شاب في عاطفته ، شاب قلبه ، ناضج عقله ، لذا تراه ، يهوى في خوف ، ويعشق في حذر ، ويعجب ولكنه لا يتأذى في إعجابه .

وسرعان ما يقلب الخوف والحذر عشق الشاعر للعيون إلى الأرض التي أنجبت هذه العيون وهذا يعطينا كسباً آخر نظفر به في شخصية الشاعر هو عشقه للبيئة العربية الأصيلة ، البيئة التي تغلغل حبها في قلبه

واختلط بدمه ، فهو لم يتنكر لها ولم ينسها ، فهي معه أينما سار ورحل :

صحراؤنا العذراء لا ينمو بها

إلا أهوى العذري والحسن الأبى

تلد الكواكب والشموس ويلتقي

الشاعر الفنان فيها والنبي

طابت مناظرها وأشرق وجهها

بهدي النبوة والجمال اليعزلي

سمت فكل ثنية من أرضها

حرم وكل ثرى عليها يثرى



وبعد هذه العجالة التي مررنا بها سريعاً في ديوان الشاعر واستطعنا من خلالها أن نوجد إطاراً عاماً لهذه الشخصية ، التي طامنا بحثنا ونقبتنا عنها ، وقد وجدنا أن هذا الإطار ، كما ظهر في الديوان — بتجسد كما سبق — في الحزن والأسى ، وأحياناً اليأس ، وحيناً الوحشة المظلمة ، ثم الحيرة والخوف ثم القلق النفسي ... وأخيراً الهدوء والطمأنينة والرضى والقناعة إلخ ... هذا الإطار من أين كان يستمد غذاءه ، بل وما عناصره ..

إذا بحثنا فإننا سنجد أن أول هذه العناصر العاطفة المؤلمة : عاطفة الأسى والحسرة ، التي سيطرت على نفس الشاعر وحملت على العكوف والتفكير في شأنه فهو حزين ، لأنه مهزوم ، أمام واقعه المؤلم ، متحسر حزين ، أمام حاضره المر ، مهزوم أمام الأيام التي سلبته وانتزعت منه أغلى وأجل شيء في حياة المرء ، الدهر الذي سلبه شبابه ، فالشاعر هنا شاكى ، يرثي ماضيه ، يرثي أيامه الخلو ، أيام الشباب ، أيسامه التي ضاعت دون فائدة ، زرع ولم يحصد لأن التربة التي زرعها — كما يقول — غير صالحة للبذر ، وهذه العاطفة الحزينة المتحسرة ، أنطقت الشاعر بأبيات رقيقة مؤثرة حشدت : الخوف والفزع ، والحرق والالام والجزع حيث الحذر الذي لا ينجي من القدر ...

هذه المعاني السلبية التي اتخذتها العاطفة الشجية في نفس الشاعر ، هي الأفكار التي سندت هذه العاطفة كما مر شرح كل منها في محله ... ونلاحظ أيضاً أن هذه العاطفة الحزينة يبنغ الحزن بها والأسى أحياناً إلى درجة تعجز عن تصوير ما تحسه ، فنراها تلجأ إلى الخيال لتصوير هذه الحسرة والأسى ، فتأتي بقيمة التصوير المعاني الحزينة والحسرة مزهورات الشباب — يا حسرة — ثبات وذبلت ، ونضارة الروح قد خبت والنشوة اضمحلت ، والحسر الطرف ، والسوء الصباح ، ظلام لا نور ، موت محقق ... وبلغ الأسى والحسرة قننه في نفس الشاعر ، للخسارة الفادحة التي روعته في فقيده الذي ضاع ضياع المطر في الصحارى القاحلة :

يا شباباً ضاع كالآ مطار في عرض القفار

دائرة المعارف

في الفقه المالكي (العبادات)

ب

البول :

الأبول في مذهب الإمام مالك تابعة لأجناس اللحوم بالنسبة لنجاستها وطهارتها ، فما يؤكل لحمه من الحيوانات بوله طاهر إلا أن يتناول النجاسات وما يحرم أكله فبوله نجس يجب إزالته ، وتعاد الصلاة لمن صلى وثوبه أو جسده ملوث به ، كما تعاد من سائر النجاسات .

وقلبه وكثيره سواء كبافي النجاسات ما عدا الدم خلافاً للشافعي وأبي حنيفة ، حيث يسوي الشافعي بين الدم وغيره من النجاسات في عدم العفو عنها .

ويعني أبو حنيفة عما كان قدر الدرهم من النجاسات على الثوب . وبول الأطفال ذكوراً وإناثاً نجس عند مالك سواء أكلوا الطعام أم لم يأكلوا خلافاً لما عليه الشافعي من العفو عن بول الصبي الذي لم يأكل الطعام بخلاف بول الأنثى .

وقد روى مالك في موطنه حديثاً عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن بصبي فبال على ثوبه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فأتبعه إياه . الموطأ (١/ ١٢٨) ص ٤٣ ، ١٢٨ .

ت

ترك القراءة خلف الإمام :

يقول مالك : « الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة » ، ويترك القراءة فيما يجهر فيه الإمام بالقراءة .

ل

إعادة الصلاة مع الإمام :

روى مالك في موطنه أن رجلاً من بني الدليل اسمه محجن كان في مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن بالصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع ومحجن في مجلسه لم يصل معه ،

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منعك أن تصلي مع الناس أهلي . »

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت » . الموطأ ، ج ١ ، ٢٣٢ .

وعلى هذا مذهب إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه أن الرجل إذا أتى المسجد وكان قد صلى منفرداً وأقيمت الصلاة فليبعدها مع الإمام ، أما إذا كان قد أدها جماعة مع إمام آخر فليس عليه أن يعيدها ، ووافقه على هذا الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما ، أما الإمام أحمد بن حنبل فبى إعادة الصلاة مع الإمام حتى ولو صلى جماعة قبل ذلك . وهذا ما عدا صلاة المغرب فقد قال مالك : « ولا أرى بأساً أن يصلي مع الإمام من كان صلى في بيته إلا صلاة المغرب فإنه إذا أعادها كانت شفعاً » .

كل ذلك فيما عدا المساجد الثلاثة المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى ، فمن وجد الجماعة تقام فيها فليصل ولو كان قد أدها جماعة لفضل الصلاة فيها على غيرها .

واستدل على ذلك بحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال : « هل قرأ معي منكم أحد آتفاً ؟ » .

فقال رجل : نعم ، أنا يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أقول ، مالي أنزع القرآن » فأنهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه بالقراءة حين سمعوا ذلك منه . الموطأ (١٦٠ / ١) .

وإذا كان الإمام ممن يسكت قبل قراءة الفاتحة ، أو بعدها ، فيجوز أن يقرأها المأموم ، فذلك خير له من التفرغ للوسواس .

زيادة فرائد المعجم مع جهر الإمام : إذا تلبس بالترتيب ، أكنه كبدنة .

أساء .



ثواب الجماعة :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك عن نافع عن ابن عمر : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » . الموطأ (٢٢٨ / ١) .

وقال أيضاً : « بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح » .

ولفضل صلاة الجماعة ، وكثرة ما ورد فيها من أحاديث صحيحة ، ذهب جماعة إلى أنها فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولكن لا بد من إقامتها .

وذهب البعض إلى أنها سنة مؤكدة ، وهذا هو مشهور مذهب مالك .

ويزداد الثواب على الجماعة في صلاة الصبح والعشاء ، لما يترتب على حضورهما من معاناة ، ومجاهدة للنفس ، فلذا أكد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم .



الجبيرة :

الجبيرة : ما يوضع على العضو من عيدان الجريد أو نحوه كالجبس ، وتطلق على كل ما يوضع على العضو الجريح أو المكسور من عصابة أو دواء .

ويرخص للمتوضئ أن يمسح عليه ، إن كان من أعضاء الوضوء ، وكذلك يمسح عليه في الغسل إذا كان الغسل يضره ، أو يؤخر الشفاء أو يزيد الألم ، ولا بد من المسح مرة واحدة ، إلا في الرأس ، فإن تيسر مسح جزء منها مسح ، وإلا كانت كسائر الأعضاء الأخرى ، ويصح المسح ولو تجاوزت الجبيرة محل المرض لضرورة .

وإذا سقطت الجبيرة عن براء بطل المسح عليها ، ووجب تطهير ما تحته بالغسل أو المسح ، إن كان صاحب الجبيرة متطهراً ويريد البقاء على طهارته ، بشرط الإسراع بذلك ويغتفر التأخير في حالة النسيان . وإن سقطت عن غير براء ردت إلى موضعها ومسح عليها .

أما إذا سقطت في الصلاة فتبطل ، ويجزى في المسح عليها أو غسل العضو ومسحه مما سبق .



حجامة المحرم :

الحجامة : نوع من العلاج عند العرب يكون بشق الجلد لإخراج بعض الدم .

ومعلوم أن المحرم بحج أو عمرة يمتنع عليه الترفه بحلق شعر الرأس أو غيره ، كما أنه يتجرد من الخيط والخيط من الثياب ، ولا يتطيب إلى غير ذلك .

فإذا اضطر المحرم أن يحتجم لضرورة فحلق شعره من رأسه أو جسده مكان الحجامة فعله فدية .

ويجيز مالك الحجامة للمحرم تمسكاً بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى سليمان بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم فوق رأسه وهو يومئذ يلحي الجمل (مكان بطريق مكة) الموطأ (٢٣٩ / ٢) . فإن اقتضت الحجامة إزالة شعر فالفدية لازمة لقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » (سورة البقرة ، الآية ١٩٦) .

ويستوي شعر الرأس والجسد في لزوم الفدية ، وقد اتفق على ذلك مالك وأبو حنيفة والشافعي بينما يرى الظاهرية أن لا فدية ما لم يخلق شعر الرأس .



خروج النساء إلى المساجد :

يباح للمرأة أن تشهد صلاة الجماعة في المسجد ، ولا بد لها من إذن زوجها ، وإذا كان الحجاب والاحتشام واجباً في حق المرأة عموماً فلا بد منه عند خروجهن إلى المساجد ، ولا تتطيب عند ذهابها إلى المسجد وقد استند مالك في ذلك إلى ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » ، وقوله : « إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء ، فلا تمسن طيباً » .

وما روي أن امرأة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كانت

تستأذن عمر في الذهاب إلى المسجد ، فيسكت ، فتقول : « والله لأخرجن إلا أن تمنعني ، فلا يمنعها » . الموطأ (١ / ٣٤٢) .

أما ما يحدث الآن من بعض النساء يخرجن إلى المساجد في كامل زينتهن ، فلا يجوز ذلك ، لما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد » . الموطأ (١ / ٢٤٣) .



الدعاء في الصلاة :

الدعاء مخ العبادة ، وقد أمرنا الله به فقال ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ ، وقال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ، كما قال ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ .

هذا متفق عليه ولكن ما حكم الدعاء في الصلاة ؟

سئل مالك عن الدعاء في الصلاة المكتوبة - المفروضة - فقال :

« لا بأس بالدعاء فيها » . الموطأ (١ / ٣٦١) .

ومذهبه رضي الله عنه جواز ذلك في صلاة الفرض أو النافلة بما شاء الداعي من أمر دينه ودنياه سواء كان الدعاء بما ورد في آيات القرآن الكريم أو غيره ، ولا تبطل صلاة الداعي ، بل فعله ذلك داخل تحت حث القرآن على الدعاء .

وهذا خلاف ما رأى بعض الأئمة من عدم جواز الدعاء بغبر ما ورد في القرآن للمصلي .

وقد استدل مالك على ما ذهب إليه بما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول : « اللهم أنج الوليد بن الوليد ، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » رواه البخاري .



الزكاة :

عرفها المالكية بأنها السبب الموصل لحل أكل الحيوان البري اختياراً ، وتم بأربع طرق :

● الأولى : الذبح ويكون في البقر والجاموس والضأن والمعز والطيور والوحش المقدور عليه ما عدا الزرافة فإنها تنحر .

والذبح عبارة عن قطع الحلقوم والودجين من المقدم بمحدد بنية ولا بد أن يكون مسلماً ذاكر لاسم الله أو كتابي ذبح ما يحل له بشريعتنا وأن لا يهل لغير الله ، وأن يذبح بحضرة مسلم عارف بأحكام الزكاة فلا يؤكل ذو الظفر إذا ذبحه يهودي كالبط والأوز لأن اليهود يحرمونه وثبت في شريعتنا تحريمه عليهم .

● الثانية : النحر ويكون في الإبل والزرافة والفيلة ، ويكره في البقر والجاموس ، وهو عبارة عن طعن المسلم أو الكتابي بالشروط السابقة بلبه الحيوان بنية .

● الثالثة : العقر ويكون في الوحش غير المقدور عليه إلا بعسر وهو جرح المسلم للحيوان الوحشي بمحدد أو حيوان صيد معلم بنية ، وفي عقر الكتابي خلاف في المذهب بالجواز وعدمه .

● الرابعة : أي فعل مميت يعتبر ذكاة ما لا دم له كالجراد مثلاً فذكاته إماتته بنار أو أسنان أو غيرها ، وفي كل ما سبق لا بد من النية والتسمية من المسلم ، وما سبق من الشروط في الكتابي (اليهودي والمسيحي) .



الرعاف :

الرعاف هو نزيف الأنف ، فإذا حدث للمصلي أثناء الصلاة فإنه يقتله بأصابعه ، فإذا انقطع أكمل صلاته وإذا استمر فإنه يخرج من صلاته إذا كان منفرداً أو يستخلف إماماً من الصف الذي يليه ليصلي بالناس ، ويخرج فيغسل الدم في أقرب مكان مستديماً حالة الصلاة من عدم الكلام ثم يعود فيم صلاته بانياً على ما كان قد صلى فيم ثلاث ركعات إن كان قد أنجز واحدة وهكذا .

هذا هو مذهب مالك رحمه الله مستدلاً بما رواه مالك عن نافع ، أن عبد الله بن عمر كان إذا رعف انصرف فتوضاً ثم رجع فبني ولم يتكلم ، وكذلك كان يفعل عبد الله بن عباس .

وحدث مالك عن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي أنه قال : رأيت سعيد بن المسيب يرفع فيخرج منه الدم حتى تختضب أصابعه من الدم الذي يخرج من أنفه ثم يصلي ولا يتوضأ .



زكاة الحلي :

الحلي ما يتزين به وهو نوعان : محرم ومباح . فالمحرم كالخواتم والأساور الذهبية للرجال والأواني والمروء والمكحلة عموماً تجب فيه الزكاة إذا بلغ نصاباً ، والنصاب عشرون مثقالاً وهو الدينار ، وإن كان الخنابلة يرون أن الدينار أصغر من المثقال . ويراعى في النصاب الوزن لا القيمة ، ويخرج ربع العشر إذا حال عليه الحول .

أما المباح فالمالكية يرون أن لا زكاة فيه إلا في الأحوال الآتية :

● الأولى : أن يتكسر ولا يمكن إصلاحه إلا بسبكه مرة أخرى ، أو يمكن عوده بدون سبك ولكن لم ينو مالكة إصلاحه .

● الثانية : أن يكون معداً لنائب الدهر وحوادثه لا للاستعمال ، أو لمن سيوجد للمالك من زوجة وبنت مثلاً .

● الثالثة : أن يكون معداً لصداق من يريد أن يتزوجها أو يزوجه

لولده .

● الرابعة : أن ينوي به التجارة .

وقريب من هذا مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، وفي المذاهب الأخرى اختلاف ليس بمجاله الآن .

س

سجود السهو :

عند المالكية سجود السهو سنة للإمام والمنفرد ، ويتحمل الإمام عن المأموم سهوه حال الاقتداء ، وعليه أن يتابع الإمام في سهوه ، وإن لم يدرك حال السهو .

وأسبابه : نقص سنة مؤكدة ، أو سنتين خفيفتين فأكثر أو ركن من أركان الصلاة ، ولكن في الحالة الأخيرة لا يغني السجود وحده بل لا بد من الاتيان بالنقص سجدة كانت أم ركعة .

زيادة فعل ليس من جنس الصلاة كأكل خفيف أو كلام خفيف أو بعض من الصلاة كركعة أو ركعتين فإن لم تكن الزيادة فريضة بل سورة الركعتين الأخيرتين فلا سجود عليه زيادة ونقص بأن يجمع ما بين ما سبق من نقص وزيادة .

فإن كان السبب نقصاً أو نقصاً وزيادة فالسجود قبل السلام ، وعلى الساهي أن يسجد سجدتين ويتشهد بعدهما بدون دعاء ، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا نية عليه للسجود حينئذ .

وإن كان السبب زيادة فقط فالسجود بعد السلام ولا بد من النية . ولكن إذا كان السهو في صلاة الجمعة — في غير حال الاقتداء بأن أدرك ركعة فقط مع الإمام — ففي حالة النقص لا بد من سجوده في نفس الجامع الذي أدى فيه الجمعة .

وإن كان زيادة فيسجد في أي جامع كان ولا يجزئ سجوده في غير جامع تقام فيه الجمعة .

ش

الشهادة :

الشهداء كثيرون فقد وردت أحاديث صحيحة تفيد أن من مات دون دينه أو ماله أو أهله ، أو مات في وباء كالطاعون مثلاً أو بمرض مزمن أو بغرق فهو شهيد .

ولكن هؤلاء جميعاً شهداء بمعنى ينالون نواباً في الآخرة يفضلون به عن غيرهم نظراً لنصرهم ودفاعهم عما يجب الدفاع عنه .

غير أن هناك نوعاً من الشهداء هو الذي يطلق عليه : الشهيد في سبيل الله ، وهو من قُتل في معركة مع عدو لتكون كلمة الله هي العليا .

وهذا النوع في مذهب الإمام مالك قد حاز فضيلة تسقط فرض غسله وتكفينه والصلاة عليه ، وبهذا قال الشافعي أيضاً . وإن كان أبو حنيفة يقول بالصلاة عليه . وذكر بعض الأئمة أنه يغسل ويصلى

عليه .

وقد استدلل مالك بما روى عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتل أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم .

وهذا متفق عليه في المذهب فيمن خرج غازياً ، أما من غزي في عقر داره فاختلف فيه ، فقليل يغسل ويصلى عليه وقيل إن دافع عن نفسه ولا يكفن وإلا غسل وكفن .

ص

صيام أيام منى :

أيام منى هي الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر ، وفي مذهب مالك لا يجوز صيام هذه الأيام تطوعاً ، ومن صام يوماً منها تطوعاً فليطهر منى ذكر من نهاره ، وكذلك لا يصام اليومان الأول والثاني عن نذر معين أو غير معين ، بخلاف اليوم التالي فيصام عن النذر واختلف قول مالك وأصحابه عن صومهما (الأول والثاني) في صوم واجب التتابع كالكفارة ولا تصام في الفدية .

وتصام هذه الأيام للمتمتع في مشهور المذهب .

وقد استند مالك في ذلك إلى ما رواه في موطنه من حديث سليمان ابن يسار « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام أيام منى » .

وحديث ابن شهاب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبيد الله بن حذافة أيام منى يطوف يقول إنما هي أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى » .

ض

الضحى :

صلاة الضحى من النوافل غير التابعة للصلوات المفروضة وقد اختلف في حكمها . ويهنا هنا بيان مذهب مالك فيها .

فهي عند المالكية مندوبة ندباً أكيداً وليست سنة ، ووقتها وقت حل النافلة بعد شروق الشمس والأفضل تأخيرها حتى يمضي بعد طلوع الشمس مقدار ما بين دخول وقت العصر وغروب الشمس .

وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ، وما زاد على ذلك صح عند المالكية بدون كراهة .

وقد روى مالك ما ذكره عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ بنت أبي طالب أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عام الفتح ثمان ركعات وقالت وذلك ضحى .

وما روي عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تصلي الضحى ثمان ركعات ثم تقول : لو نشر لي أبواي ما تركتهن .

يدفعونها للمسلمين ، ومن بين عهدهم تنمية أموالهم في آفاقهم التي يقيمون فيها .

فإذا انتقلوا بتجارعتهم إلى آفاق المسلمين فيؤخذ منهم - غير الجزية - العشر ، ويجوز للحاكم أن يخفف من العشر في أنواع خاصة إذا احتاجت الجماعة الإسلامية إليها .

ودليل ذلك عند مالك ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخذ نصف العشر من التبت - أهل الشام الذين لم يسلموا - من الخنطة والزيت والعشر من غيرها أي غير الخنطة والزيت . لما حدث زمن عمر رضي الله عنه إجماع سكوتي وهو دليل عند جمهور المالكية والأحناف .

غ

الغلول :

أخذ شيء من الغنيمة قبل القسم المعروف شرعاً وقد حرمه القرآن الكريم وتوعد عليه فقال ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٦١) .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء الغلول فقال في حديث طويل رواه مالك في الموطأ : « إن الغلول عار ونار وشنار (أي عيب وعار) على أهله يوم القيامة » .

ويحرم القليل والكثير ، فقد توفي رجل يوم خيبر فذكروه للرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « صلوا على صاحبكم » ، فتغيرت وجوه الناس ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم قد غل في سبيل الله » قال راوي الحديث : « فتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز يهود ما يساوين درهمين » .

لمن أخذ شيئاً وضبط قبل رده يؤدب ويتصدق بمثله وإن كان الأثمة الآخرين قالوا يحرق متاعه كله .

وإن أراد رده قبل أن يضبط قبل منه وإن فات وقت الرد فيبيعه ويتصدق بثمنه لتعم منفعة المسلمين بسد فاقة فقير من فقرائهم أو مرفق من مرافقهم .

ف

فوائت الصلاة :

إذا ألمّ بالإنسان تأخر بسببه عن أداء بعض الصلوات ووجب عليه قضاؤها .

فعند المالكية يجب ترتيب الفوائت في نفسها قليلة كانت أو كثيرة بشرط التذكر للسابقة والقدرة على الترتيب وبأثم إذا لم يرتب ، ولا تعاد التي قدمها على غيرها .

وبالنسبة للفوائت مع الحاضرة فإن قلت الفوائت بأن كانت خمساً فأقول فيجب ترتيبها مع الحاضرة وبأثم إذا لم يفعل وتصح بشرط التذكر والقدرة .

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال : « أوصاني خليلي بثلاث لا أَدْعِهَن حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر » .

ط

الطواف :

الطواف حول الكعبة المشرفة - متعنا الله بالطواف حولها - منه ما هو ركن من أركان الحج وهو طواف الإفاضة ، ومنه ما هو واجب وهو طواف القدوم عند دخول مكة المكرمة وذلك لمن أحرم بالحج وحده ومعنى الواجب ما يجبر بالدم .

ومنه ما هو مندوب وهو طواف الوداع . ولكي يقع الطواف صحيحاً لا بد من كونه سبعة أشواط ، فإن قل لا يجبر بالدم إن كان ركناً ثم الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر ومن النجاسة في البدن والثوب وستر العورة وجعل البيت عن يسار الطائف وخروج يده عن الحجر والشاذروان - بناء محدودب لاصق بالكعبة والمالاة وكون الطائف داخل المسجد .

ويجب صلاة ركعتين بعده والمشي للقادر . ويسن تقبيل الحجر الأسود لمن تمكن منه أو لمسه أو التكبير عند محاذاته .

ظ

ظهور العورة في الصلاة :

العورة تختلف في الرجل عن المرأة وفي كل إما أن تكون مغلظة أو مخففة ، فبالنسبة للرجل المغلظة السوأتان والمخففة ما زاد عليهما مما بين السرة والركبة وما حاذى ذلك من الخلف .

وبالنسبة للمرأة - الحرة - المغلظة جميع بدنها ما عدا الأطراف والصدر وما حاذاه من الظهر والمخففة لها هي الصدر وما حاذاه من الظهر والذراعين والعنق والرأس ومن الركبة إلى آخر القدم .

لمن صلبى مكشوف العورة المغلظة كلها أو بعضها ولو قليلاً مع القدرة على الستر بطلت صلاته إن كان ذاكرًا ويعيدها وجوباً بقي وقتها أم خرج .

أما المخففة فإن كشفها كلاً أو بعضاً لا يبطل الصلاة رغم حرمة الكشف ويستحب له أن يعيد الصلاة في الوقت مستوراً .

ع

عشر أهل الذمة :

أهل الذمة من عاهدوا على حفظ أموالهم وأنفسهم نظير جزية

أما إذا كان ناسياً فتذكر أثناء أداء الحاضرة فإنه يقطعها إلا إذا كان قد أدى ثلاثاً من الرباعية فيتمها .

وإذا كانت أكثر من خمسة فلا يجب تقديمها على الحاضرة بل يندب تقديم الحاضرة إن اتسع الوقت ويجب إن ضاق الوقت عن أدائها بعد الفوائت .

ويجب ترتيب الحاضرتين المشتركيتين الوقت كالظهر والعصر أو المغرب والعشاء .

ق

قصر الصلاة في السفر :

قصر الصلاة سنة مؤكدة عند المالكية أكد من صلاة الجماعة ويصلي منفرداً محافظة على القصر إن لم يجد من يصلي معه ممن يقصر، ويكره الاقتداء بالمقيم لأنه يلزمه الإتمام فتصورت سنة القصر المؤكدة ويشترط لصحة القصر :

أن تكون المسافة ستة عشر فرسخاً أي ثمانين كيلومتراً ونصفاً ومائة وأربعين متراً ، (٤٨ ميلاً) .

ويصح القصر إن نفصت في حدود ثمانية أميال ويستثنى من اشتراط المسافة أهل مكة ومنى ومزدلفة والمحصب إذا خرجوا في موسم الحج للوقوف بعرفة فيقصرون حال ذهابهم وإيابهم إذا بقي عليهم عمل من أعمال الحج التي تؤدي في غير وطنهم .

ويصح القصر ولو كان السفر محرماً مع الإثم ويكره في المكروه . ويشترط مجاوزة محل الإقامة .

ويشترط أيضاً عدم الاقتداء بمقيم وإلا أثم . ولا بد من نية القصر وتكفي في أول صلاة يقصرها كنية الصوم في أول ليلة من رمضان فإنها تكفي لباقى الشهر .

ك

الكفن :

هو ما يستر به الميت عند الدفن ، وقد تعددت الآراء في كيفية وكفه ، وسنعرض هنا رأي المالكية .

قالوا : الواجب ما يستر الميت ، ولكن يندب أن يكفن الرجل في خمسة أشياء : قميص له أكمام وإزار ، وعمامة لها عذبة قدر ذراع تطرح على وجهه ، ولفافتان .

وأن تكفن المرأة في سبعة أشياء إزار ، وقميص ، وخمار ، وأربع لفائف .

ثم لكل منها حفاظ من قطعة من القماش فوق قطن يوضع بين الفخذين .

ويستحب أن يكون الكفن أبيض ، ويكفن الميت فيما كان

يلبسه لصلاة الجمعة ، ولو كان قديماً .

ويندب تبخير الكفن ، وأن يوضع طيب داخل كل لفافة ، وعلى قطن يجعل بمنافذه كأنفه وفه وعينه وأذنيه ومخرجه ، كما يندب ضمير شعر المرأة والقاذو من خلفها .

فقد روت عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض . . ليس فيها قميص ولا عمامة » .

أي أن الثلاثة غير القميص والعمامة والذي جعلهم يرون ذلك ما رواه جابر بن عبد الله قال : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي : ما أدخل حفرة فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه » .

وما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص : الميت يقمص ويؤزر ، ويلف في الثوب الثالث ، فإن لم يكن إلا ثوب واحد كفن فيه . الموطأ (٢ / ٨٢٧) .

ل

لبس الحرير والذهب والفضة واستعمالها :

يرى المالكية أن لبس الحرير للرجال لا يحل ولو لدفع أذى أو لرفع مرض .

أما استعماله فالمشهور عندهم تحريم الجلوس أو الاستناد عليه ولو فرش عليه شيء آخر .

وبعضهم أباح الجلوس عليه والاستناد ، أما جعله ستارة على نافذة فإنه جائز بدون كراهة .

واللبس والاستعمال جائزان للمرأة وكل ذلك في الحرير الطبيعي المنتج من دودة القز .

وبالنسبة للباس الذهب والفضة :

فقالوا يحل للرجل التختم بالفضة في حدود درهمين على نية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الذهب فلا يجوز .

وبالنسبة للاستعمال فيجوز اتخاذ السن من الذهب إذا سقطت ويحرم استعمال أواني الذهب والفضة الخالصة للرجال والنساء .

أما المطلي بهما أي الأواني المصنوعة من معدن آخر ولكنها طليت بالذهب والفضة ، فقليل بالجواز وقيل بالتحريم ، وهما قولان متساويان .

م

المسح على الخفين :

من الرخص التي ثبتت بالسنة المطهرة المسح على الخفين . ويشترط لصحة المسح عليها عند المالكية :

أن يمكن نتابع المشي فيه ألا يكون واسعاً جداً ، أو ضيقاً ، وأن يكون من الجلد فقط فلا يصح المسح على الجوارب عندهم ، وأن يكون ساتراً للقدم مع الكعبين فإذا بلغت خروقه قدر ثلث القدم لا يمسح

عليه .

وإن يكون طاهراً وإلا وجب إزالة النجاسة مع الذكر والقدرة وأن يلبس على طهارة مائية .

ولا بد أن يقصد بلبسه اتقاء برد أو حر أو حفظ عموماً لا مجرد الترفه .

ويجب أن يمسح ظاهره كله أما مسح أسفله فمستحب .

ولا يقيد المسح عند المالكية بمدة محددة وإنما يندب نزعهما كل يوم جمعة لمن عليه حضور الجمعة أو كل أسبوع عموماً إلا لموجب الغسل .

٦

نقل الميت ونش القبر :

يجوز للمالكية نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشروط ثلاثة :

● أولها : ألا يتغير حال نقله .

● ثانيها : ألا تنتهك حرمة بأن يكون فيه تحقير له .

● ثالثها : أن يكون نقله لمصلحة بأن يخشى على قبره من تسرب ماء إليه أو ينقل إلى مكان ترجى بركته أو إلى مكان قريب من أهله لتسهيل زيارتهم له وإلا حرم النقل .

ولا يجوز نش القبر إذا تغير الميت ، فإن دفن معه مال يعطى مثله لصاحبه أو قيمته أما إذا كان ملكاً له فتركه الورثة إلا إذا بلي الميت ولم يبق منه جزء محسوس فيجوز النش حينئذ للدفن والمشي عليه .

وأما الزرع والبناء عليه فلا يجوز ، لأنه بمجرد الدفن صار حبساً لا يتصرف فيه بغير الدفن سواء بقي الميت أو فني .



الهدى :

ما يهدي من النعم للمحرم ويكون من الإبل والبقر والغنم ولا يجزئ من الإبل إلا ما أكمل خمس سنوات ودخل في السادسة ولا من البقر إلا ما له ثلاث سنوات ودخل في الرابعة ولو بيوم ، ومن الضأن ما أكمل سنة ودخل في الثانية ولو بيوم ، ومن المعز ما أكمل سنة ودخل في الثانية دخولا بينا بشهر ونحوه .

وهو إما واجب كهدي التمتع والقران والهدي اللازم لترك واجب من الواجبات وكذلك المنذور .

وإما نطوع على جهة التبرع .

ووقت ذبحه ابتداء من يوم العيد ويستحب أن يكون بعد رمي جرة العقبة ، ويمتد وقته إلى آخر اليوم الثالث من أيام العيد ، ولو فاتت هذه الأيام ذبحه أيضاً .

ومكان الذبح « منى » إذا كان مسوقاً في إحرام الحج ووقف به أو نائبة بعرفة جزء من ليلة يوم النحر وأراد نحره في يوم من الأيام الثلاثة

السابقة وإلا ذبح بمكة في أي مكان بها وإن كان يستحب عند المروة .

٤

الوتر :

الوتر سنة مؤكدة وهو أكد السن بعد ركعتي الطواف والعمرة ، وهو ركعة واحدة يكره وصلها بالشفع ويندب أن يقرأ فيها بعد الفاتحة سورة الاخلاص والمعوذتين ووقته :

الاختياري يبتدئ من بعد صلاة العشاء الصحيحة المؤداة بعد مغيب الشفق الأحمر ، فإن جمع المصلي العشاء مع المغرب أخر الوتر إلى أن يغيب الشفق ، ويمتد هذا الوقت إلى طلوع الفجر .

ووقته الضروري من طلوع الفجر إلى تمام صلاة الصبح ، فلو تذكر الوتر في صلاة الصبح ندب له قطعها ليصلي الوتر سواء كان منفرداً أو مأموماً أو إماماً ويستخلف من يؤم الناس ويكره الجلوس فيه لمن قدر على القيام .

وتقديم الشفع عليه شرط كمال فيكره فعله دون أن يتقدمه شفع . ويندب تأخيره إلى آخر الليل لمن عادته الاستيقاظ ليتمم به صلاة الليل امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترأ » .

ولا تطلب الجماعة في الشفع والوتر إلا في رمضان .



اليمين :

اليمين هي الحلف والحلف إن كان بالله فهو إما لغو كأن يحلف على شيء يعتقد صحته ثم يظهر خلاف ما اعتقد ، أو يكون ذلك عادة من غير قصد يمين مثل لا والله بلى والله فهذا لا كفارة فيه ولا إثم عليه قال تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

وإما يمين منعقدة وهو ما عرفه مالك بقوله : « أن يحلف الرجل ألا يبيع ثوبه بعشرة دنانير ثم يبعه بذلك فهذا الذي يكفر صاحبه عن يمينه » وفيه يقول الله تعالى ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ .

وهناك نوع ثالث وهو أن يحلف الإنسان عالماً بكذبه فهو يمين الغموس ، أي الذي غمس صاحبه في الإثم ، وفيه يقول مالك « فأما الذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه آثم ، ويحلف على الكذب وهو يعلم ليرضي به أحداً ، أو ليعتذر به إلى معتذر إليه ، أو ليقطع به مالا فهذا أعظم من أن يكون فيه كفارة » الموطأ . (٢٤٣/٣) .

والكفارة بيئها القرآن الكريم استكمالاً لسلاية السابقة : ﴿ فكفاراته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٨٩) .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

- ١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي:
 - أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال
 - ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال
 - ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريالإلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .
- ٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .
- ٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .
- ٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .
- ٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

ما الدولة التي كان يطلق عليها اسم « إريانا » في السابق ؟ وما اسمها في الوقت الراهن ، وفي أي سنة أطلق عليها الاسم الحالي ؟

السؤال الثاني :

أين تقع قمة « إفيرست » ؟ .. وكم يبلغ ارتفاعها ؟ .. ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

السؤال الثالث :

لماذا سمي « المعتزلة » بهذا الاسم ؟

السؤال الرابع :

المعروف أن كلمة « صائمون » هي صيغة من صيغ الجمع لكلمة « صائم » . ما الصيغ الأخرى لجمع هذه الكلمة .

السؤال الخامس :

أذكر ثلاثة أحداث في التاريخ الإسلامي وقعت في شهر رمضان المبارك .



<p>الاسم: _____</p> <p>المهنة: _____</p> <p>العنوان: _____</p> <p>_____</p>	<p>قسمية</p> <p>مسابقة مجلة</p> <p>الفيصل</p> <p>العدد (٥١)</p>
---	---

● نتائج مسابقة العدد (٤٤) ●

- فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفي ريال سعودي الأخ عبدالله محمد الصانع ، ص. ب. (١٦٤٢٧) - الرياض .
- وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسة ريال سعودي الأخ الزاهي الرحوني من تونس ، حي المعلمين بحي التحرير 307 - تونس .
- كما فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ ميسرة أبو العباس محمود محمد سالم من طنطا ، ٧ شارع الجلاء المساكن التعاونية ، أمام مصنع الكوكاكولا - مصر .
- وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماءهم :
- من لبنان - معسكر الجليل ، بعلبك ، مدرسة شفاء عمر للبنات الأخ صالح علي صباح .
- من السودان - خرطوم بحري ، مصلحة المخازن والمهيات الأخ محبوب عثمان محمد خير .
- من الأردن - جبل الحسين ، عمان
- الأخت خولة علي محمد مصطفى .
- من سورية - حلب ، بلدية حلب الأخ محمد حاج حمدي .
- من المغرب - المراقبة الجهوية للالتزامات والعواد ، ص. ب. 17 - أغادير الأخ حري محمد .
- من سورية - دمشق الأخت نسرين فيصل شقير .
- من الجزائر - حي الجنيبة رقم 6 - البلدية الأخ علي عامر .
- بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماءهم :
- من الأردن ، الجامعة الأردنية كلية الآداب - عمان الأخ حسين سليمان سالم .
- من السودان - جامعة أم درمان الإسلامية ، ص. ب. (٣٨٢) الأخ قسم الكريم محمد عبد العال .
- من الإمارات العربية المتحدة - أبو ظبي الأخت رجاء سليم عدي .
- من قطر - قسم شرطة أم سعيد ، البشري حسين إلياس إبراهيم .
- من المغرب - الحى الحسى . بلوك 7 رقم 68 ، الناظور الأخ السلياني عمر محمد .
- من مصر - المينيا ، أرض سلطان ٤٢ شارع عدنان المالكي ، بقالة فؤاد بدوي الأخ عواد عودة النجيلي .
- من المغرب - إعدادية ابن سودة فاس الأخ الأزمي حميد .
- من الجزائر ، 25 نهج الإخوة ابن تركية المدية الأخ ابن تركية عبد الحفيظ بن محمد .
- من بيشة - آل عبيد ، مدرسة مجاهد الأخ أحمد محمد أحمد ناصر .
- من تونس - خنيس ولاية المنستير الأخ الحبيب الفردلي .

● أجوبة مسابقة العدد (٤٤) ●

- ج ١ يتشكل الجزء الأكبر من الحرارة الأرضية من تلف المواد النووية العميقة في الأرض ، واحتكاك الحركة الصخرية ، وقوى المد والجزر .
- ج ٢ ما ضر إن لم تكن أكفاه شرفاً في المودة كاف من تكافينا الشاعر : ابن زيدون . وعيوبته : ولادة بنت المستكفي .
- ج ٣ تفرق الصبية جميعاً إلا صبياً واحداً سألهم أمير المؤمنين : لماذا لم تهرب مع رفقائك ؟ فأجابه الصبي : يا أمير المؤمنين لم أفعل ذنباً فأخافك ، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك . فسر أمير المؤمنين .
- أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب . الصبي : عبدالله بن الزبير . « رضي الله عنهما » .
- ج ٤ عمر بن عبد العزيز ولد عام ٦٢هـ ، ولما تولى الخلافة عام ٩٩هـ ، صعد إلى المنبر ، وقال : « أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فاختاروا لأنفسكم » . فصاح من في المسجد صيحة واحدة : « اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك » .
- ج ٥ العبرة « بـ كسر العين » بمعنى العظة . العبرة (يفتح العين) بمعنى الدفعة .
- ج ٦ الشاعر : نصيب وكان شديد السواد وجعله ذلك يفتح لونه كثيراً على شاكلة قوله : فإن يك من لوني السواد فإني لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه
- ج ٧ علي بن محمد الأشعري توفي حوالي ٩٠٠هـ . ألف الشرح المشهور على الفية ابن مالك في النحو وسماه « منج السالك » .
- ج ٨ من أسماء السفن عند العرب : السفينة ، الفلك ، البارجة ، القرقور ، العدولية ، البوصي ، المدرعات ، المعبرة ، الهندي ، العمام ، القادس . الخ .
- ج ٩ للادة ثلاث حالات هي : سائلة ، غازية ، صلبة ، كما اكتشف العلماء حالة رابعة هي : البلازما ، وهي حالة فيزيائية تسير وتتحرك كسائل وتتفاعل مع المواد الأخرى كمحلول كيميائي منتشر وتتأثر بال مجالات المغناطيسية والكهربائية المطبقة عليها ، وسميت هذه الخليطة بالبلازما لأنها تشبه ظاهرياً السائل الموجود في الدم والذي تطوف فيه الكريات الحمراء والبيضاء .
- ج ١٠ الزمان . . . والمكان . . . والحدث : الوحدات الثلاث التي أثار إليها أرسطو في كتابه « فن الشعر » ، هذه الوحدات يشترطها البعض في القصة ، والرواية ، والمسرحية .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Chief

All Correspondence To :
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3

Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
Franca	FF	15
F.R.G.	DM	10
Graeca	DR	100
Italy	L	4000
Natharlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Swadan	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U. S. A.	\$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

لأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150

Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

٨ ريال	المملكة العربية السعودية
٦٠٠ فلس	الكويت
٧ دراهم	الإمارات العربية المتحدة
٦ ريال	قطر
٥٠٠ فلس	البحرين
٦٠٠ بسة	سلطنة عمان
٤٠٠ فلس	الأردن
٦ ريال	ج.ع.ع. اليمنية
٨٠٠ فلس	ج.ع.ع. اليمن الديمقراطية الشعبية
٣٠٠ مليم	مصر
٣٠٠ مليم	السودان
٥ دراهم	المغرب
٥٠٠ مليم	تونس
٥ دينار	الجزائر
٤٠٠ فلس	العراق
٥ ليرات	سورية
٥ ليرات	لبنان
٨٠٠ درهم	ليبيا

المراسلات : دار الفصل الثقافية - الرياض - ٣٠٢٦٠٠
الاشتراكات : دار الفصل الثقافية - الرياض - ٣٠٢٦٠٠
الاعلان : دار الفصل الثقافية - الرياض - ٣٠٢٦٠٠
الطبع : دار الفصل الثقافية - الرياض - ٣٠٢٦٠٠
الطبع : دار الفصل الثقافية - الرياض - ٣٠٢٦٠٠
الطبع : دار الفصل الثقافية - الرياض - ٣٠٢٦٠٠

تمهامة
للإعلان والعلاقات العامة
وإبحاث التسويق